الأب بيار نجم ر.م.م.



مريم العذراء
في فكر القدّيس أفرام السريانيّ

مع تعريب،

لأناشيد في الطوباويّة مريم العذراء
منسوبة الى القدّيس أفرام

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU
PRESS

مريم العذراء
في فكر القدّيس أفرام السرياني

مع تعريب

لأناشيد في الطوباويّة مريم العذراء

منسوبة إلى القدّيس أفرام

مريم العذراء
في فكر القدّيس أفرام السريانيّ

مع تعريب
لأناشيد في الطوباويّة مريم العذراء
منسوبة إلى القدّيس أفرام

الأب بيار نجم ر.م.م.

تحـــريـــر جورج مغامس
قـــــراءة سامي سلامه
منشـــورات جامعة سيّدة اللويزة ©الحقوق محفوظة
ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل – لبنان
تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١
فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١
www.ndu.edu.lb
الطّبعة الأولى أيّار ٢٠٠٤
القيـــــاس ١٧×٢٤ سم
تـنفيـــــذ مطابع معوشي وزكريّا
ISBN 9953-418-97-7

الأب بيار نجم ر.م.م.

مريم العذراء
في فكر القدّيس أفرام السريانيّ

مع تعريب
لأناشيد في الطوباويّة مريم العذراء
منسوبة إلى القدّيس أفرام

منشورات
NDU PRESS
جامعة سيّدة اللويزة

لا مانع من طبعه

أوّل أيّار ٢٠٠٤





ألاباتي فرنسوا عيد

الرئيس العام للرهبانيّة المارونيّة المريميّة

تقديم

الأباتي فرنسوا عيد
رئيس عام الرهبانيّة المارونيّة المريميّة

تاريخ الخلاص لا يبدأ بمريم، لكنّه يمرّ حتمًا بها!

يقول عالم الكتاب المقدّس أندريه فوييه: "من أراد التعمّق في التعليم المريميّ، عليه أن يبدا بالسعي إلى اكتشاف واسع لتاريخ الخلاص. والعكس صحيح أيضًا؛ فمن أراد أن يفهم بعمق أكبر تاريخ الخلاص، سيصل حتمًا إلى **أمّ المخلّص** التي يوحّدها مع **مركز تاريخ الخلاص** علاقات لا تنفصم أبدًا"[1].

مع هذا القول يتّفق اللاهوتيّ الكبير هانس أورس فون بالتازار الذي كتب: "عند تلاقي كلّ الطرق الآتية من العهد القديم نحو العهد الجديد، يوجد **اختبار مريم لحياة الله**، اختبار غنيّ ومختفٍ، وبالكاد نستطيع أن نصفه. لكنّه اختبار مهمّ إلى درجة أنّه يظهر دومًا كأنّه **عمق** لكلّ شيء يتراءى لنا. فيها تنتقل صهيون إلى الكنيسة، والكلمة إلى الجسد، والرأس إلى الجسم. إنّها في الواقع مكان البحبوحة الفائضة".[2]

فمريم هي "مختصر تاريخ الخلاص"[3]، نتيجة لدعوتها ودورها الذي أوكله الله إليها في تاريخ الخلاص.

وقد جاءت تعاليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني تأكيدًا لما كتبه القدّيس أفرام، قبل أكثر من ١٦٠٠ عام، عن أمّ المخلّص الوالدة والعذراء الممتلئة نعمة، التي ستكون حوّاء الجديدة سبب الحياة للعالم، كونها قبلت، بإيمان حرّ وطاعة فريدة، أن تعاون الله في خلاص

١ Feuillet A, *l'heure de la femme (Jn. 16, 21) et l'heure de la Mère de Jésus (Jn. 19/25-27)*. In *Biblia* 47(1966), P. 572

٢ Von Balthasar H.U., *La gloire et la Croix*. Aubin Paris 1965. PP. 260-261

٣ *De Fiores S. Enchiridion Vaticanum 14*, PP. 994-995

٤ *Lumen gentium* n. 56

البشر.[٤] فمن سرّ المسيح ينبع سرّها ويتحقّق في الكنيسة. ومن الوسيط الوحيد[٥] تكتسب العذراء دورها ووساطتها، وتستمدّ فاعليّتها، فتصبح أمّ المسيح وأمّ البشر معًا.

والعذراء هي مثال الكنيسة وصورة لها، في أمومتها الروحيّة وبتوليّتها. فالكنيسة، على مثال مريم، تحفظ كلمة اللّه بالأمانة وتلد أبناءها بالكرازة والعماد بفضل عمل الروح القدس[٦].

مريم هي أيضًا مثال لشعب اللّه في سيرورته نحو حجّه الأبديّ، وعلامة أكيدة للخلاص والتعزية.

لقد كُتب الكثير عن فكر مار أفرام اللاهوتيّ، والمريميّ منه بنوع خاص؛ فماذا يحمل من جديد كتاب "**مريم العذراء في فكر مار أفرام السرياني**" للأب بيار نجم، الراهب المارونيّ المريميّ؟

هذا المؤلَّف هو مساهمة جادّة في إكمال مسيرة مضيئة، بدأها كبار في العلم والمعرفة لنشر الآداب السريانيّة وتراثاتها. وقد ساهم فيها وحقّقها الأب بطرس مبارك والعلاّمة يوسف شمعون السمعانيّ (روما ١٧٤٦) وأوفربيك (١٨٦٥) وناشرو مجموعة لامي الشهيرة، والآباء المخيتاريّون الأرمن في البندقيّة (١٨٩٣) ولولوار (لوفان ١٩٦٣) وغرافين (باريس ١٩٦٨).

فكتاب الأب بيار نجم يساهم بجدّة لافتة، كونه يقدّم، للمرّة الأولى، مترجمةً إلى اللغة العربيّة، مجموعةً من **عشرين نشيدًا** منسوبة إلى القدّيس أفرام السريانيّ، مع مقدّمة بحثيّة تاريخيّة ولاهوتيّة وكتابيّة وافية، فيحمل القارئ على فهم فكر المعلّم المريميّ، كما يدخله في قلب سرّ مريم على ما فعل قبله أبوه المؤسّس، العالم جرمانوس فرحات في **ديوانه المريمي**"[٧]؛ فيكمّل بذلك مساهمة عالم آخر في الآداب السريانيّة، ابن رهبانيّتنا المريميّة العلاّمة الأباتي جبرائيل القرداحي، صاحب **اللباب**، الذي قيل عنه: "إنّ القرداحي

٥ *bidem* n. 60

٦ *bidem* n. 64

٧ ديوان السيّد المطران جرمانوس فرحات. الطبعة الثانية– المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٨٩٤.

قد أحيا اللغة السريانيّة"[8]. فهذا الاسهام، وإن بدا متواضعًا، إذا ما قورن بالثلاثة ملايين بيت شعر كتبها مار أفرام، يظلّ إسهامًا مهمًّا لما يقدّمه من جديد.

لقد أحبَّ القدّيس أفرام العذراء مريم، فشُغف بها قلبه وأُعجب بها عقله وتأمّل فيها باستنارة، فترنّم بمزاياها؛ وهذه الأناشيد العشرون هي نشيد انبهاره، هذا المعلّم المريمي!.

إنّ سرّ مريم هو من سرّ ابنها يسوع "**فيه هي كلّ شيء، وبدونه هي لا شيء**". لهذا استطاعت بطاعتها أن تصبح "**شجرة حاملة الحياة**"، وتساهم في تحقيق قصد اللّه الخلاصيّ، "فيتمّم الانسان غاية خلقه، بالتأليه والاتحاد باللّه.

بذلك تكون مريم قد ساهمت في عمل اللّه "لكي يكون للانسان **بالارادة** ما للّه **بالطبيعة**". فرغبة آدم في التأليه، تمّمها الابن من خلال الأمّ البتول، لكي يشترك الانسان في حياة اللّه ومحبّته، ويعاين جماله الإلهيّ. فمريم كانت **الأولى** في تأمّل هذا الجمال في صمت القلب وخلوة الصلاة، وفي عمق السرّ الذي لفّها زمانًا، فعاشته بكلّ تجلّياته الالهيّة ومآسيه الانسانيّة. وكونها خضعت وأطاعت إرادة الربّ، فقد أعطت العالم **ثمرة الحياة:** يسوع المسيح الفادي والمخلّص!

مريم الأمّ والمعلّمة هي للكنيسة وأبنائها المثال والقدوة!

فأناشيد مار افرام تعلّم وتمجّد!

واليوم، كما يقول البابا يوحنّا بولس الثاني، "نحن خدّام عرس قانا. لذا، علينا، أيّها الإخوة، أن نفعل ما يأمرنا به الربّ"[9]، فتمتلئ أجاجيننا خمرة جديدة!

فبوركت يداك أخي الأب بيار لما تقدّم في هذا الكتاب من أناشيد هي الزاد لوليمة عرس أمّ الحَمَل!

---

٨ المجلّة البطريركيّة (١٩٣١) ص. ٧٠٢-٧٠٣.

٩ تعاليم يوحنّا بولس الثاني، المجلّد ٢، مكتبة الفاتيكان ١٩٨٣، ص. ٨٤-٨٥.

لعائلتي،

لرهبانيّتي،

حيث نشأت على حبّ مريم،

أهدي هذا الكتاب...

شكر وصلاة للأب جهاد يونس ر.م.م.

فلولاه لما أبصر هذا العمل النور

مريم العذراء
في فكر القدّيس أفرام السرياني

«لم أبلبلْ قطيعَك؛ ولكن، بقدْرِ ما استطعت، أبعدتُ عنه الذئاب، وبنيت، بحسَب موهبتي، مراعيَ من أناشيدَ للحملان التي في مراعيك»

مار أفرام السرياني

حياة القدّيس أفرام

أبصَرَ أفرامُ النورَ في مدينةِ نُصَيبين (هي اليوم على الحدودِ الجنوبيّةِ الشرقيّةِ لتركيا)، في وقتٍ كانت فيه الإمبراطوريّةُ الرومانيةُ تمرُّ في أوضاعٍ سياسيّةٍ وعسكريّةٍ متقلّبة. فعلى أثرِ توسّعِ الإمبراطوريّةِ وامتدادِها، شرقًا وغربًا، كثُرَ أعداؤُها، وتوالت غزواتُ البرابرةِ لها، خاصّةً من الناحيةِ الشرقيّة. فما كانَ منَ الامبراطورِ ديوكليتيانوسَ (٢٨٤-٣٠٥) إلاّ أن قسمَ الإمبراطوريّةَ إلى شرقيّةٍ وغربيّةٍ، ونقلَ مكانَ إقامَتِهِ من روما إلى الناحيةِ الشرقيّةِ، إلى مدينةِ نيقوميديةَ، لكي يكونَ، هو وجيشُه، متأهّبَين للتصدّي لغزواتِ البرابرةِ. ثمّ عادَ ديوكليتيانوسُ وولّى على كلٍّ من القسمينِ حكّامًا ومساعدينَ لتسهيلِ إدارةِ الإمبراطوريّة.

وكانَ أن نشبت في داخلِ الإمبراطوريّةِ أعمالُ شغبٍ، عُزيت أسبابُها زورًا إلى وجودِ المسيحيينَ، ما أدّى إلى اضطهادِهِم وسَوقِهم إلى المحاكمةِ وسومِهم أشدَّ العذاباتِ حتى الاستشهاد.

وبعدَ موتِ ديوكلتيانوسَ، نشبَ الصراعُ بينَ الولاةِ الشرقيّينَ والغربيّينَ، وبينَ الولاةِ ومساعِديهم، إلى أن انتُخِبَ قسطنطينُ الكبيرُ سنة ٣٠٦ حاكمًا على القسمِ الغربيِّ خَلَفًا لوالِدِهِ، فحاولَ إعادةَ توحيدِ الإمبراطوريّةِ تحتَ سيطرتِهِ، ومعهُ هدأتِ الاضطهاداتُ ضدَّ المسيحيين في غربِ الإمبراطوريّةِ، بينما كانت تَشتَدُّ وطأةً في الشرق.

في هذِهِ السنةِ (٣٠٦) وُلِدَ القدّيسُ أفرامُ في مدينةِ نُصيبينَ الزاهرةِ بالثقافةِ، والشهيرةِ بمدرستِها اللاهوتيّةِ وأساقفتِها القدّيسينَ. وتعدّدتِ الرواياتُ حولَ مولدِ أفرام ونشأته. ومِن أهمِّ الرواياتِ الشعبيّةِ أنَّهُ كانَ ابنَ كاهنٍ وثنيٍّ، طردَهُ والدُهُ من البيتِ لرَفضِهِ الذبحَ للأصنام. إلاّ أنّ هذه الروايةَ الشعبيّةَ تبقى غيرَ مرجّحةٍ، إذ يقولُ، متكلّمًا عن نفسِهِ، في أحدِ أناشيدِهِ: "...إنّما قد وُلدتُ على طريقِ الحقيقة"[١]، ما يدلُّ على أنّه وُلِدَ في عائلةٍ مسيحيّةٍ مؤمنةٍ.

---

١ مار أفرام السريانيّ، الأناشيد ضدّ البدع ٢٦، ١٠.

ولمّا صار له من العمر ثماني عشرَة سنة، لبّى دعوة الربّ له للتكرّس والخدمة، فغادر البيت الوالديّ وذهب إلى أسقف المدينة للتتلمذ على يده، وكان ذلك حوالى السنة ٣٢٤.

في غضون ذلك، كانت أحوال الإمبراطوريّة قد أخذت في التقدّم. فعلى أثر مرض عضال ألمّ به، أصدر غاليريوس قيصر، حاكم القسم الشرقيّ، مرسومًا، يأمر فيه بكفّ الاضطهاد عن المسيحيّين، شرط أن يصلّوا لإلههم من أجل شفائه. وكان قسطنطين يكمّل مخطّط توحيد الإمبراطوريّة تحت سيطرته، فتغلّب على غريمه ومساعده السابق ماكسنس في معركة، رأى خلالها الصليب مشعًّا في السماء مع عبارة: "بهذه العلامة تنتصر"، فعزا انتصاره إلى إله المسيحيّين. وبعدما نجح في توحيد الإمبراطوريّة غربًا، عقد مع حاكم الشرق ليكسنسيوس، خليفة غاليريوس، معاهدة في مدينة ميلانو، وأصدرا مرسومًا يقضي بإعطاء الحريّة للمسيحيّين في ممارسة العبادة، وكان ذلك سنة ٣١٣.

وفي سنة ٣٢٤، عاد قسطنطين إلى مشروعه التوحيديّ، فتغلّب على ليكسنسيوس، وصار الامبراطور الأوحد للامبراطوريّة، وتوّج، وأعلن إيمانه المسيحيّ مع الحفاظ على حريّة الوثنيّين في ممارسة دياناتهم.

وكان أن خرج من الاسكندريّة كاهن يدعى آريوس قائلاً: إنّ المسيح ليس هو اللّه، إنّما هو مخلوق من اللّه له الأوّليّة، فعمّت الفوضى والمنازعات أرجاء شرق الإمبراطوريّة. عندها، دعا قسطنطين، بناء على طلب أساقفة الكنيسة، إلى عقد مجمع مسكونيّ في نيقيا سنة ٣٢٥ لدرس المشكلة. وأعلن في هذا المجمع، بحضور ١٥٠ أسقفًا، الإيمان "بالإله الواحد، وبالابن المساوي للآب في الجوهر، المولود غير المخلوق، الإله من الاله، النور من النور، الإله الحقّ من الإله الحقّ"[٢]، وحُرم آريوس ونُفي هو ومن معه من مؤيّدين.

وتروي التقاليد الشعبيّة أنّ القدّيس أفرام قد حضر هذا المجمع، إذ رافق، وهو بعمر التاسعة عشرة، معلّمه الأسقف إلى نيقيا. وإن كانت هذه الرواية غير مؤكّدة تاريخيًّا لعدم توفّر المصادر المكتوبة، إلاّ أنّ أفرام قد كتب كتابات كثيرة حول آريوس وغيره من المبتدعين، ملبسًا الفكر اللاهوتيّ الغنيّ لباسًا شعريًّا رمزيًّا كيما يفهمه كلّ قارئ وسامع.

---

٢ وثائق مجمع نيقيا، ٢١.

في سنة ٣٣٧، مات قسطنطين الملك، وخلفه على العرش أبناؤه الثلاثة: قسطنطين الثاني الذي تولّى فرنسا وإسبانيا وبريطانيا، قسطنس الذي تولّى الشرق وبلاد اليونان، وقسطنت الذي تولّى إيطاليا وأفريقيا؛ فتقاتلوا، وعمّت الاضطرابات العسكريّة والدينيّة، إلى أن استبدّ قسطنس بالحكم شرقًا وغربًا. وبعد موته سنة٣٦١، انتخب يوليانوس الجاحد، ابن أخ قسطنطين، وكان يطمح للعودة إلى الوثنيّة، فمنع المسيحيّة وأمر بالاضطهاد وتعذيب من يرفض الذبح للأوثان. في هذه الأثناء، كان أفرام في مدينة نُصيبين، وقد ارتسم شمّاسًا، يخدم الشعب ويساعده. ففضلاً عن الاضطهاد، كانت المدينة نقطة تنازع بين الروم والفرس، لأنّها كانت على حدود الإمبراطوريّة. وفي عهد يوليانوس، هاجم الفرس مدينة نُصيبين للاستيلاء عليها، فضربوا حولها الحصار لأربع مرّات على التوالي، لكنّ النصيبيين قاوموا الفرس مقاومة مستميتة، فأمر شابور، ملك الفرس، أن يحوّل نهر قريب من المدينة عن مجراه الطبيعيّ نحو المدينة كيما يضرب أسوارها فتسقط وتقع في قبضته، إلاّ أنّها صمدت. وكان أفرام، في هذه الأثناء، في المدينة، يساعد ويعضد المحتاجين والجرحى والجائعين، إذ بسبب الحصار ضربتها مجاعة عظيمة. لقد رفع أفرام التوسّلات إلى الربّ عن مدينته، طالبًا المغفرة والعون الالهيّ، وكتب خلال ذلك قسمًا من أناشيده المعروفة بأناشيد نصيبين[٣]، وهي عبارة عن صرخة المدينة التي أضحت كفُلك نوح ضائعة في خضمّ الأمواج: أمواج جيوش الفرس، وأمواج مياه النهر التي تكاد تغرقها[٤].

وخرج الجيش الرومانيّ للتصدّي للخطر الفارسيّ، وعلى رأسه الامبراطور الجاحد الايمان، فقُتل في أثناء المعركة، وعاد الجيش مهزومًا. إلاّ أنّ الجيش الفارسيّ لم يكن يملك من القوّة ما يؤهّله لاقتحام الإمبراطوريّة بسبب مشاكله الداخليّة، فعقد الفريقان، بعد انتخاب الامبراطور جوفيانوس، معاهدات صلح قضت بالاتّفاق على وقف الغزوات الفارسيّة في مقابل أراض من الإمبراطوريّة الرومانيّة. وكانت نُصيبين من ضمن هذه الأراضي. ولمّا علم الشعب بالاتفاقيّة، آثر الرحيل، فأُخليت نُصيبين وتشتّت أهلها، فانتقل القسم الأكبر منهم، ومن بينهم أفرام، إلى مدينة الرُها، وهي تبعد حوالى المئة والخمسين

٣ راجع: Ed. E.BECK, Des heiligen Ephraem des syrers carmina nisibena, CSCO, .Louvain,1963

٤ مار أفرام السريانيّ، أناشيد نصيبين.

كيلومترًا غرب نُصيبين. هناك راح أفرام يكمل عمله الرسوليّ المعتاد، طبعًا بعد وقف الاضطهاد على أثر وفاة يوليانوس الجاحد، فأسّس مدرسة الرُها اللاهوتيّة بديلاً من مدرسة نُصيبين فأسهمت إسهامًا فعّالاً في نشر الايمان الصحيح في أنحاء المنطقة.

كانت الرها مدينة زاهرة. وكما في كلّ مدينة تلتقي فيها ثقافات متعدّدة، راحت تنتشر البدع: من الآريوسيّة، إلى المرقيونيّة، فبدعة أسقف فارسيّ الملقّب بابن ديصان، والذي راح يعلّم أنّ للنجوم والأفلاك دورًا مهمًّا في تحديد مصير الإنسان[5]، ويؤلّف أغنيات وأشعارًا تتضمّن تعليمه المغلوط؛ فانتشرت أفكاره انتشار النار في الهشيم، وصارت على كلّ شفة ولسان. وظلّت هذه الأغاني تتردّد بين الشعب إلى أن جاء أفرام الرُها. عندها، راح هو يؤلّف الأشعار والأغاني التي تحتوي الايمان السليم، وألّف جوقًا من العذارى والأرامل وراح يعلّمها لهنّ حتى حلّت محلّ أغاني ابن ديصان[6]. وظلّت هذه الألحان تتردّد عبر الأجيال إلى أن دخلت الليتورجيا السريانيّة، وعُرفت فيما بعد بألحان مار أفرام.

استمرّ أفرام في خدمته الراعويّة، رغم توقه الكبير إلى اعتناق حياة التوحّد. ويظهر ذلك لنا من رسائله إلى المتوحّدين، سكّان الجبال، يحثّهم فيها على الثبات والصلاة وتأمّل الجمال الإلهيّ من دون التفات نحو العالم الزائل[7]. أمّا هو فقد مارس دعوته بأمانة بين

---

٥ إنّ المسائل العقائديّة كانت من صميم حياة أفرام. لذلك، أخذ على عاتقه إعلان عقيدتي الثالوث الأقدس والتجسّد محاربًا البدع المختلفة: «المفتّشون» الساعون إلى إدراك الحقيقة الإلهيّة بواسطة قواهم العقليّة لا بنعمة الربّ وبالإيمان، وهم على الأرجح آريوس وأتباعه. المانويّون القائلون بفساد المادة والطبيعة وشرّهما، ووجود إلهين، أحدهما خيّر والآخر شرّير، في صراع دائم. المنجّمون الذين كانوا يربطون مصير الإنسان بالأجرام السماويّة. لذلك شدّد أفرام على دور الحريّة الإنسانيّة التي تقودها النعمة الإلهيّة وتنيرها. المرقيونيّون الذين كانوا يقولون إنّ إله العهد القديم ليس هو نفسه اللّه الرحوم أبا يسوع المسيح مخلّصنا، وبالتالي علينا ألاّ نأخذ العهد القديم كأحد أساسات إيماننا المسيحيّ. حارب أفرام هذه البدعة، معتمدًا الطريقة التيبولوجيّة في شرح الكتاب المقدّس. فالعهد القديم هو صورة غير واضحة، اكتملت وأخذت معناها الكامل بيسوع المسيح المتجسّد. برديصان وأتباعه، الذي إلى جانب اعتقاده بتأثير الأجرام السماويّة على مصير الإنسان كان ينكر قيامة الأجساد. اليهود الذين كانوا يعتبرون المسيحيّة بدعة يهوديّة منشقة، وأنّ المسيحيّة كديانة لا وجود لها. لذلك، شرح أفرام البعد الإكليزيولوجيّ لموت المسيح على الصليب وإعطاء الحياة للكنيسة من جنبه المفتوح، تمامًا كما ولدت حوّاء من جنب آدم في الفردوس.

٦ قال القدّيس يعقوب السروجي في مار أفرام: «إنّ موسى الحكيم قد جعل العذارى لا تتوقّفن عن رفع المدائح، وهكذا فعل أفرام الذي ظهر موسى آخر لجنس النساء فعلّمهنّ ترتيل المدائح التي تلذّ للربّ...الطوباويّ أفرام حين رأى أنّ النساء لا تسبّحن (إذ لم يكن مسموحًا لهنّ رفع الصوت في الكنيسة)، قرّر بحكمته أنّه يجب عليهنّ رفع التمجيد. وهكذا، مثل موسى الذي أعطى الدفوف للصبايا، قد نظم هذا الرجل الحكيم الأناشيد للعذارى. حين كان يقف بين الأخوات، كان سروره يكمن في إثارة حماس النساء العفيفات على التسبيح. لقد كان مثل نسرٍ زاهٍ بين اليمامات». Ed. P.BEDJAN, Acta Martyrum et Sanctorum, Paris-Leipzig, 1892, III, pp. 668,672.

٧ Ed. J. LAMY, Sancti Epraem Syri Hymni et Sermones, Mechlinia, 1902, IV,col.207-216.

الشعب، وعاش حياة شبه رهبانيّة في جماعة من القدّيسين، أي من الأشخاص الأعفّاء المنقطعين إلى الصلاة وخدمة الجماعة. وقد استطاع أن يوفّق تمام التوفيق بين حياة الصلاة وعمل الخدمة، إذ أيقن أنّ محبّة الله لا يمكن أن تنفصل عن محبّة القريب وخدمته، فراح يخدم جماعته ويعضدها ويقوّيها في الايمان عبر العظات اللاهوتيّة البسيطة والعميقة في آن معاً، وعبر الأناشيد والقصائد الكثيرة. واشتُهرت قداسته وغنى لاهوته، حتى صار الشعب ينسج بعد موته الأخبار حول زيارته للرهبان في صحراء مصر ولقائه آباء الصحراء، وزيارته قيصريّة الكبادوك، حيث التقى القدّيس باسيليوس اللاهوتيّ الكبير ورسمه هذا الأخير شمّاسًا[٨]. وما هذه الروايات المنحولة إلاّ دليل على عظمة هذه الشخصيّة الفريدة وشهرتها.

وفي سنة ٣٧٢-٣٧٣، أصابت مدينة الرُها مجاعة عظيمة، فراح يحاول مساعدة الجائعين والمحتاجين، منظّمًا الحملات والاغاثات، زارعًا الرجاء والعزاء. ثمّ، ضرب الوباء المدينة من جديد، فراح أفرام يساعد المتألّمين والمرضى إلى أن أصابته العدوى والتقى السيّد الذي طالما اشتاقت إليه نفسه، وظمئ إلى رؤيته، محقّقًا في حياته الحبّ الأعظم، حبّ من يبذل ذاته في سبيل أحبّائه، ليسمع: "تعال يا مبارك أبي، ادخل ورِثِ الحياةَ الأبديّة المعدّة لك منذ أساسات العالم، لأنّي كنت مريضًا فعدتني، وجائعًا فأطعمتني؛ فكلّ ما فعلته لأحد إخوتي الصغار، فلي أنا فعلته". وكان ذلك في التاسع من حزيران سنة ٣٧٣.

---

٨ راجع:.Ed. J.E ASSEMANI, Opera omnia sancti patris nostri Ephraem Syri, Roma, 1743, I

مؤلّفاته

"أكثر من ثلاثة ملايين بيت شعر كتبها أفرام، عدا عن العظات اللاهوتيّة النثريّة"[٩]، يضاف إليها العديد من القصائد والأناشيد التي تنسب إليه لاقتراب مضمونها من فكره اللاهوتيّ، أو بسبب التشابه في أسلوب الكتابة المعتمد. لكنْ علينا ألاّ ننسى أنّ أفرام هو مؤسّس لمدرسة لاهوتيّة عريقة هي مدرسة الرُّها التي أنجبت العديد من اللاهوتيين والشعراء الذين تأثّروا بأسلوبه الأدبيّ، فضمّنوا كتاباتهم أفكار معلّمهم وقلّدوا أسلوبه حتى صارت تنسب إليه لشهرته.

من أهمّ مؤلّفاته

- تفسير الدياتسّرون، أي الإنجيل، الذي جمع فيه تاتيانوس الأناجيل الأربعة في نصّ واحد بين سنتي ١٧٥ – ١٨٠، وقد نشره الأب لويس لولوار، معتمدًا، في طبعته الأولى التي صدرت سنة ١٩٥٣، على النصّ المترجم إلى الأرمنيّة، والذي نشره دير الآباء الأرمن المختياريين في مدينة البندقيّة الإيطاليّة سنة ١٨٤٦، ثمّ عاد وأصدر طبعة ثانية سنة ١٩٦٣، بعد اكتشاف مخطوط في متحف لندن يحتوي على أجزاء كبيرة من المخطوط السريانيّ الأصليّ"[١٠].
- تفاسير أسفار متعدّدة من العهد القديم، أبرزها التكوين والخروج والعدد وأشعيا وسواها، وقد نشرها السمعاني في مجموعته.[١١]
- تفسير رسائل القدّيس بولس الرسول، وقد نشرها الآباء المخيتاريّون باللغة الأرمنيّة مع ترجمة لاتينيّة"[١٢].

---

٩ يؤكّد المؤرّخ سوزومين أنّ القدّيس أفرام السريانيّ قد كتب ثلاثماية ألف مقطع شعريّ، أي ما يوازي الثلاثة ملايين بيت شعر. بهذا الصدد راجع: GHARIB G., Testi Mariani del Primo Millenio, t., ed. Città Nuova, Roma 1988, p. 70.

١٠ راجع: EFREM DE NISIBE, Commentaire de l'Evangile concordant ou Diatessaron, edite par L.Leloir, Sources Chretiennes, Louvain,1963.

١١ راجع: Ed. J.E ASSEMANI,Opera omnia sancti patris nostri Ephraem Syri, Roma, 1743, I.

١٢ راجع: Mechitiaristae, Ephraemi Syri Commentarii in Epistolas S. Pauli, Venetiis 1893.

- ٨٧ نشيدًا عن الايمان، ظهرت من خلال عدّة دور نشر، منها مجموعة لامي.
- ١٥ نشيدًا عن الفردوس، ظهرت من خلال عدّة دور نشر، منها مجموعة لامي[١٣].
- ٢١ نشيدًا عن الفصح، ظهرت من خلال عدّة دور نشر، منها مجموعة لامي.
- ٥٢ نشيدًا عن الكنيسة، ظهرت من خلال عدّة دور نشر، منها مجموعة لامي.
- ٥١ نشيدًا عن البتوليّة، ظهرت من خلال عدّة دور نشر، منها مجموعة لامي.
- ٨ أناشيد عن الصَلب، ظهرت من خلال عدّة دور نشر، منها مجموعة لامي.
- ٨٨ نشيدًا دعيت أناشيد نُصيبين، كتب أفرام ٢١ نشيدًا منها في نُصيبين، ثمّ أكملها في الرُها.

وثمّة أيضًا أناشيد وعظات ورسائل كثيرة ومنها إلى المتوحدّين والرهبان النسّاك سكّان الجبال[١٤] وإلى تلاميذ أو أصدقاء، ومؤلّفات لا تزال محفوظة باليونانيّة أو الأرمنيّة بعد فقد الأصل السريانيّ، وأخرى محفوظة بدافع الاستعمال الليتورجيّ، ولكن مع إدخال تعديلات وتحويرات عليها بمقتضى الحاجة الليتورجيّة، ما صار يستدعي دراسة علميّة تتيح استخراج الأصيل في كتابات أفرام وإخراجه من ظلمة المكتبات والمتاحف إلى متناول أيدي أبناء الكنيسة كيما نعرف تراثنا وغنى تاريخنا الكبير.

١٣ راجع: Ephrem de Nisibe, Hymnes sur le Paradis, (trad. F. GRAFFIN), S.C., ed. Cerf, Paris 1968.
١٤ راجع: OVERBECK, J., S. Ephraemi Syri, Rabulae Episcopi Edesseni, Balaei Aliorumque Opera Selecta, Oxonii 1865.

حول مخطوط أناشيد
الطوباويّة مريم أمّ الله

إنّ أناشيد الطوباويّة مريم قد حُفظت في متحف لندن، في المخطوط الرقم ١٤٥٠٦ الذي يحتوي جميع الأناشيد ما عدا الأخيرين؛ وفي المخطوط ١٤٥١٥ الذي يرقى إلى العام ٨٩٣ ويحتوي الأناشيد: ١-٤، ٦، ١٤؛ وفي المخطوط رقم ١٤٥١٦ الذي يرقى أيضًا إلى العام ٨٩٣ ويحتوي الأناشيد: ١-٤، ٨، ١٥ و١٦ وحوار مريم مع الملاك؛ وفي المخطوط رقم ١٤٥١١ العائد إلى القرن العاشر ويحتوي الأناشيد: ١، ٣، ٥ مع بعض الأناشيد على لحن الترنيم للأطفال؛ وفي المخطوط ١٤٥١٢ ويحتوي فقط النشيد:[١٥]؛ وأخيرًا في المخطوط ١٧١٤١ الذي يحتوي بعض مقاطع الأناشيد ٥، ٧ و١١١٥.

أمّا المخطوط الموجود في متحف باريس الرقم ١٤٩ فيحتوي أيضًا البعض القليل من هذه الأناشيد.

ولتعذّر الوصول إلى هذه المخطوطات، آثرت الاستعانة بالمجموعة التي نشرها لامي (Lamy)، والتي تحتوي مجموعة أعمال مار أفرام (غير كاملة) تحت عنوان Sancti Ephraem Syri hymni et sermones في أربعة أجزاء، صدرت في لوفان (Louvain) سنة ١٨٨٢، وفي الجزء الرابع منها، وردت أناشيد الطوباويّة مريم ، في الأعمدة ٥١٧-٦٤٢. وقد نشر (Lamy) النصّ السريانيّ مع ترجمة لاتينيّة وحواشٍ حول رقم المخطوط، مقيمًا المقارنة بين المخطوطات السبعة، مكمّلاً الواحد بالآخر. إنّه عمل جدّي وعلميّ قام به، أوليته ثقتي، واعتمدت عليه في ترجمتي لأناشيد العذراء مريم.

وقد وجدت نفسي أمام خيارين في ترجمتي لهذه المجموعة من الأناشيد: فإمّا أن أترجمها ترجمة حرفيّة أمينة للمعنى كيما تكون في خدمة البحث العلميّ، وهذا ما قد يُفقد

---

١٥ من أجل معلومات أوسع، راجع:

WRIGHT, W., *Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum I*, London, 1870, pp. 247-249 (ms. 14506), pp. 249-250 (ms. 14511), pp. 250-251 (ms. 14512), pp. 241-243 (ms. 14515), pp. 244-246 (ms. 14516) and pp. 359-363 (ms. 17141)

الأناشيد رهافتها الشعريّة الأصليّة أحيانًا، أو أن تكون الترجمة ترجمة شعريّة، قد تضحّي أحيانًا بالمعنى اللاهوتيّ الدقيق في سبيل جمال أدبيّ تستسيغه أذن السامع وروح المتأمّل. وقد فضّلت أن أكون أمينًا للنصّ الحرفيّ السريانيّ، لما يحمله من دقّة في التعبير اللاهوتيّ، وأضعه في متناول الباحثين في مجالي اللاهوت وعلم آباء الكنيسة غير الملمّين أحيانًا باللغة السريانيّة، وفي متناول الشعراء الذين قد يرغبون في صقل هذا النصّ الأدبيّ وسبكه في قالب شعريّ أو ليتورجيّ كنسيّ. وهكذا، بالمقدّرات المتواضعة التي منّ بها اللّه عليّ، أكون قد خدمت المنحيين، مسهمًا، قدر الإمكان، في إظهار تراثنا السريانيّ العتيق والقيّم للتنقيب العلميّ، آملاً في أن أراه يومًا يزهو في قالب شعريّ مرهف.

مقدّمة

إنّ الدور الذي كان للعذراء مريم منذ الأجيال الأولى لحياة الكنيسة من مساعدة وشفاعة قد دفع الجماعات المسيحيّة إلى التعلّق بأمّ المسيح الإله والانسان، فراحوا يعلون لها المدائح والنشائد لما لها من دور في العمل الخلاصيّ الذي قام به المسيح. وصارت المثال الأوّل لكلّ مسيحيّ يسعى إلى اتّباع المعلّم، وإلى سماع صوته كما سمعت هي، وإلى حمله كما حملته هي، وإلى إعطائه للعالم على مثالها.

وكان آباء الكنيسة الطلائع والروّاد في إدراك المعنى الحقيقيّ لأمومة مريم، فتخطّى إكرامهم إيّاها المعنى الروحيّ العاطفيّ البسيط إلى المفهوم الحقيقيّ لهذا الإكرام، من دون أن يفصلوا مطلقًا سرّها عن سرّ الابن. ففيه كانت هي كلّ شيء، وبدونه ما كانت شيئًا، هي "ابنة الفقراء التي حملت بمصوِّر الأجنّة"[١٦]، وهي التي "أعطت الحليب لمن يعطي القوت للأمم"[١٧]، فربطوا سرّ مريم بسرّ المسيح، وكانت "الباب الملوكيّ"[١٨] الذي دخل منه الفادي تاريخ الإنسان المتألّم، وكانت الوسيلة التي بها عبر اللاهوت إلى ناسوتنا، كيما يصير الفداء للإنسان والكون، هكذا "قلب الأنظمة حشا مريم"[١٩].

وهذا الدور العظيم الذي كان لمريم قد انطبع في ذاكرة الشعب وعاطفته، حتى باتت مريم حاضرة دومًا وفي كلّ مكان، وأضحت الأمّ والرفيقة.

وظلّ الآباء، أعمدة الايمان، الشهود الحقيقيين على دور مريم العظيم وأهميّتها في التصميم الخلاصيّ من دون أن ينزلقوا إلى مستوى العاطفة البحتة والأحاسيس الروحيّة العابرة، بل تعمّقوا في سرّ مريم على ضوء سرّ ابنها وأظهروا المعنى اللاهوتيّ الحقّ لهذه الأمومة الإلهيّة.

لقد كان الشرق المسيحيّ، دومًا، عميق "التعبّد" لوالدة الإله الدائمة البتوليّة، حتى

---

١٦ راجع النشيد ٤،٤.

١٧ راجع النشيد ٤، ٤.

١٨ راجع حز ٤٤، ١-٢، والنشيد ٤، ١٣-١٤.

١٩ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الميلاد ١٢، ٧.

اغتنى التقليد والليتورجيا الشرقيّان بتذكارات مريم ومدائحها. كان الآباء الشرقيّون أساسًا لهذه التقوى وهذا الغنى المريميّ. وكانوا، رغم الاضطهادات الدامية التي كابدوها، أوفياء للتعليم الرسوليّ المقدّس، ملتفّين حول والدة الإله بثقة غير محدودة، ومعظّمين تذكارها، ولائذين بحماها.

ومن بين آباء الشرق بزغ نور القدّيس أفرام، "شمس السريان وكِنّارة الروح القدس"، و"فارس مريم"، و"المعلّم المريميّ"، فنظم الأشعار لمريم وأنشد المدائح حول سرّها "الذي لا يُفهم" بنور العقل، إنّما يُدركه بهبة إلهيّة فقط من يحبّها ويحبّ ابنها. ولا تزال بصمات أفرام اللاهوتيّة والمريميّة مطبوعة حتى اليوم في كلّ الليتورجيّات والعبادات الكنسيّة السريانيّة، شرقيّة كانت أم غربيّة: مارونيّة، سريانيّة، أشوريّة وكلدانيّة، شاهدة لعمق هذا الإرث المريميّ وغناه المستمدّين من سرّ الابن المتجسّد لخلاصنا.

أفرام والكتاب المقدّس

لم يفصل أفرام دور مريم عن النبوءات والصور التي جُعلت في الكتب المقدّسة. فاختلفت، في ذلك العصر، طرق قراءة الكتاب المقدّس بين مدرسة وأخرى، ومنطقة جغرافيّة وأخرى بحسب ثقافة كلّ منطقة. لقد كانت أنطاكيا والإسكندريّة القطبين الأهمّين في العالم المسيحيّ الشرقيّ، من حيث طرق قراءة النصّ الكتابيّ وفهمه: فالإسكندريّة متأثّرة بالفلسفة الأفلاطونيّة والأفلاطونيّة الحديثة (وبالتالي تقول بتقسيم الإنسان إلى جسد ونفس وروح، وبسلبيّة المادّة والجسد)، وانطاكيا، خاصّة في قسمها السريانيّ حيث التأثّر بالثقافة اليهوديّة الساميّة القائلة بوحدة الإنسان وجودة المادّة والمخلوقات لأنّها خارجة من اللّه.

ففي مدينة الإسكندريّة المزدهرة في ذلك الوقت بشتّى المدارس الفكريّة العريقة، وعلى رأسها الأفلاطونيّة، تبلورت طريقة قراءة للكتاب المقدّس وشرحه متأثّرة بالفكر الإغريقيّ الأفلاطونيّ. وكان في أساس ذلك فيلون الفيلسوف اليهوديّ المعاصر للمسيح. ففي الحلقات الفلسفيّة الإسكندريّة لم يكن يُعتبر الفكر الكتابيّ فكرًا فلسفيًّا، بل كان يُنظر إليه نظرة سخرية لاعتماده على الأساطير والأخبار. أراد فيلون أن يُلبس الكتاب المقدّس ثوبًا فلسفيًّا، وذلك بشرحه حسب الفكر الأفلاطونيّ. وبما أنّ أفلاطون كان يقسم الوجود إلى عالم المثل الذي هو العالم الحقيقيّ، وإلى عالم المادّة الذي ما هو إلاّ صورة مشوّهة عن ذاك العالم الحقّ، راح فيلون يدرس ويشرح الكتاب المقدّس بمنهجيّة أفلاطون نفسها، فاصلاً الوحي الإلهيّ (عالم المثل) عن الكلمة المكتوبة (عالم المادّة) التي لا يمكنها أن تجسّد الوحي بشكل تام. لذلك، فهي لا تحوي الوحي كلّه، بل تحمل فيها معنى آخر غير ذلك الواضح في النصّ، فراح يشرح الكتاب المقدّس، مظهرًا نقاط الالتقاء بين الفكر البيبليّ والفكر الفلسفيّ اليونانيّ. من هنا، كانت نشأة ما سُمّي بالأليغوريّة، أي استخراج المعنى المحتجب الذي لا يُظهره النصّ.

إنّ القراءة المسيحيّة للكتاب المقدّس، في المدرسة الإسكندريّة، تأثّرت تأثّرًا عميقًا بالمنهجيّة التي اتّبعها فيلون. ويُعتبر أوريجانوس من أبرز دارسي الكتاب المقدّس

الإسكندريين. وقد انطلق أوّلاً من القراءة الرمزيّة (تيبولوجيّة) للكتاب المقدّس فاهمًا أنّ كلي العهدين يشكّلان عملاً خلاصيًّا واحدًا، يتطوّر في مرحلتين: مرحلة تحضير، ومرحلة تحقيق هذا العمل الخلاصيّ. "لقد كان واعيًا ضرورة وجود طريقة تفسير للكتاب المقدّس، تأخذ بعين الاعتبار الوحي الإلهيّ في الكتب المقدّسة، ليظهر طريقة فهم حقيقيّة، مراعيًا القاعدة والتعليم الذي سلّمه يسوع المسيح إلى تلاميذه، وهم بدورهم نقلوه بالتتالي إلى خلفائهم معلّمي الكنيسة السماويّة"[٢٠]. وهكذا نفهم أنّ تاريخ الخلاص يتمّ تدريجيًّا، كيما يفهم الشعب هذا العمل الإلهيّ، من خلال قراءة أحداث التدخّل الإلهيّ في التاريخ البشريّ. وهذا العمل التربويّ الإلهيّ يتحقّق ويكتمل بتجسّد الابن الذي جاء يضع حدًّا لمرحلة التحضير هذه، بتتميمه الوعود النبويّة. لذلك، وجد أوريجانوس أنّ المعنى الحقيقيّ للنصّ البيبليّ نجده في الكتاب المقدّس عينه؛ "فالطريق الصحيح لفهم الكتب والتفتيش عن أفكارها، نراه في ما تعلّمنا الكتب المقدّسة عينها أن نفكّر فيها"[٢١].

وهكذا، من خلال سرّ تجسد الابن، وعلى ضوء قيامته، يفهم المسيحيّ الرموز الموجودة في الكتب المقدّسة، والتي بلغت اكتمالها بسرّ المسيح الفصحيّ. فمع الحفاظ على المعنى التاريخيّ للنصّ البيبليّ، تتّضح الرموز والأشكال التي تهدف إلى تنوير الإنسان في مسيرته وراء الربّ نحو أرض الميعاد. وبالتالي، فإنّنا نفهم نبوءات العهد القديم وأحداثه ورموزه على ضوء العهد الجديد وعمل المسيح الفصحيّ.

إلاّ أنّ أوريجانوس، تلميذ المدرسة الفيلونيّة، قد تخطّى المعنى التاريخيّ- التيبولوجيّ الذي انطلق منه، قائلاً كفيلون إنّ في النصّ معنىً آخرَ محتجبًا "ألّيغوريّ" يجب استخراجه. لذلك، رأى أنّ النصّ يحوي ثلاثة معانٍ تتناسب والعناصر الثلاثة التي تكوّن الإنسان: الجسد والنفس والروح، ولكلّ جزء يتناسب معنى من معاني النصّ الثلاثة: التاريخيّ والأدبيّ وأخيرًا المعنى الروحيّ الصوفيّ. فكما أنّ الإنسان مركّب من جسد ونفس وروح (١ تس ٥/٢٣)، هكذا هو أيضًا الكتاب المقدّس المعطى من سخاء اللّه لخلاص

---

٢٠ راجع: ORIGENE, *Traité des principes (Peri Archon)*, IV,2,2, (trad. M. Harl, G. Dorival, A. Le Boulluec), Paris 1976, p.218.

٢١ المرجع نفسه: IV,2,4, trad. P.220

الإنسان"[٢٢]؛ "وفي كتاب أمثال سليمان، نجد وصيّة من هذا النوع أعطيت بخصوص التنقيب الدقيقْ في الكتب المقدّسة: "(راجع أم ٢٢/٢٠). إذًا يجب أن يكتب كلّ واحد في نفسه معنى الكتابات المقدّسة، وعندها يُبنى القارئ الأبسط بجسد الكتاب (النصّ). أمّا الذين قد بدأوا في التقدّم، ذوو البصيرة الواسعة، فأولئك يُبنون بروح الكتاب (النصّ). والكاملون الذين صاروا يشبهون من قال فيهم الرسول: "على أنّ لنا حكمة نتكلّم بها بين البالغين، ولكنّها حكمة ليست من هذا العالم الزائل، بل إنّنا نتكلّم بحكمة اللّه المحتجبة في سرّ الحكمة المحجوبة التي سبق اللّه فأعدّها قبل الدهور لأجل مجدنا" (١قور ٢/٦-٧)،.. هؤلاء الكاملون يبنون بالشريعة الروحيّة (روم ١٤/٧) التي "تحتوي ظلاًّ للخير المزمع أن يأتي" (عب ١٠، ١)"[٢٣]. ومن هذا النصّ الثالث الصوفيّ الذي يهمّ اللاهوتيّ، أي المتأمّل سرّ اللّه الثالوث، تنطلق القراءة الألّيغوريّة بالنسبة للإسكندريّة، والتيبولوجيّة بالنسبة لإنطاكيا.

فقراءة النصّ تاريخيًّا هي درجة أولى. وهذا لا يلغي مطلقًا حقيقتها التاريخيّة. "فهناك أشياء قد تمّت حقيقة بالمعنى التاريخيّ، أكثر بكثير من تلك التي أضيفت لتفهم فقط بالمعنى الروحيّ"[٢٤]. إنّما على القارئ تخطّي هذه الدرجة، وإلاّ فتبقى قراءته للنصّ الكتابيّ قراءة عالم تاريخ أو اجتماع أو آثار، يستنتج منها ما يفيد معلوماته في نطاق بحثه، أو هو قد يقع في خطأ القراءة بالطريقة التاريخيّة ما قد جُعل ليقرأ ببعده الروحيّ. فغالبًا، المعنى الحرفيّ يقول أشياء تكون ليست فقط غير منطقيّة إنّما مستحيلة أيضًا"[٢٥].

الدرجة الثانية هي فهم النصّ من الناحية الأخلاقيّة، أي كيفيّة تصرّف المسيحيّ أدبيًّا من ناحية حفظ الوصايا واتّباع التعاليم الإلهيّة. هي موقف الشاب الغنيّ الذي حفظ الوصايا كلّها فاستحقّ السماء، إلاّ أنّه لم يخطّ المرحلة الثالثة، مرحلة ترك كلّ شيء واتّباع المسيح.

وهذه المرحلة الثالثة هي القراءة الصوفيّة للكتاب المقدّس: تخطّي منطق الجائز وغير الجائز، المسموح به وغير المسموح، والانتقال إلى تأملّ اللّه من خلال النصّ الكتابيّ وفهم

---

٢٢ المرجع نفسه.
٢٣ المرجع نفسه.
٢٤ المرجع نفسه: IV,3,4, trad. p.228.
٢٥ المرجع نفسه: IV,2,9, trad. P.224 ss.

الرسالة المحتجبة التي تتخطّى الحروف المكتوبة. هذه القراءة قد حافظت عليها إنطاكيا قراءة تيبولوجيّة_ رمزيّة، بينما طوّرتها المدرسة الإسكندريّة إلى قراءة ألّيغوريّة، وصار هدف قارئ الكتاب المقدّس استخراج المعنى الآخر الذي يحتويه النصّ المقدّس. في هذه المرحلة، وحده الايمان يقدر على إعطاء القارئ الفهم ومعرفة الكتب وأسرارها. المعرفة تصبح توسيعًا للإيمان، تضحي فهمًا، بقوّة الروح القدس، للروح الذي يختبئ وراء الحرف، وتفسير الكتاب المقدّس يضحي هنا تأمّلاً، من خلال كلمات الله، في الكلمة الوحيدة، الكلمة المختبئ تحت شكل الحرف. "إن كنت تقدر أن تدخل في السماوات بذكائك وبروحك، وتتبع يسوع الذي دخل السماوات والذي هو قائم وسيط لنا إزاء وجه إلهنا سوف تجد الخيرات التي "يحوي الناموس ظلّها" (عب ١٠، ١)، الخيرات المعدّة للسعداء، التي لم ترها عين ولا سمعت بها أذن ولم تخطر على قلب بشر"[٢٦].

إنّ المدرسة الإنطاكيّة اعتمدت القراءة التيبولوجيّة. ورغم أنّها لم تكتف بالنصّ التاريخيّ، بل تخطّته إلى ما يحمل من معان ورموز تتّضح وتظهر جليًّا من خلال تجسّد الله الكلمة واعتلانه للبشر كيما على ضوئه تفهم كلّ الخفايا. إلاّ أنّها ظلّت محافظة على صدقيّة معنى النصّ التاريخيّ كحدث حقيقيّ تمّ في مسيرة الخلاص. وفي صدقيّته رمز إلى حدث خلاصيّ آخر مزمع أن يتمّ في العهد الجديد. وهكذا، رغم تاريخيّة حياة موسى مثلاً، الذي قاد شعب الله من أرض العبوديّة إلى أرض الميعاد، أضحى هذا رمزًا وصورة ستتحقّق نهائيًّا بواسطة المسيح الذي يقود شعب الله من عبوديّة الخطيئة إلى حريّة أبناء الله. لذلك، ظهر في أنطاكية من هاجموا أشدّ الهجوم الطريقة الإسكندريّة في شرح الكتاب المقدّس، وعلى رأسهم تيودورس المبسوسطي الإنطاكي الذي دعا إلى احترام النصّ الحرفيّ والتقيّد به. وهذا الاتجاه قد ظهر كردّة فعل معاكسة للمدرسة الإسكندريّة. إلاّ أنّ إنطاكيا لم تأخذ كلّها هذا الموقف، بل تأثّرت بالمنهجيّة الألّيغوريّة بواسطة آباء الكبادوك الإنطاكيين الذين طالتهم البشارة من خلال القدّيس غريغوريوس التومترجي، تلميذ أوريجانوس المعلّم الإسكندريّ، فجمعوا، في نهج قراءتهم للكتاب المقدّس الألّيغوريّة الإسكندريّة والتيبولوجيا الإنطاكيّة؛ وهكذا ظلّت إنطاكيا معتدلة بين أقصى النقيضين.

---

٢٦ راجع: ORIGENE, Mom. In Ps. 38,II,2 in PG 12, 402 A.

أمّا كنيسة ما بين النهرين فقد كانت أقرب إلى الفكر الإنطاكيّ منها إلى الإسكندريّ، وذلك من دون شكّ لما يربطهما من ثقافة ساميّة مشتركة: مفهوم بيبليّ للإنسان وقلّة تأثّر بالفكر اليونانيّ.

وقد ظلّ القدّيس أفرام وفيًّا للفكر الإنطاكيّ والتقليد الساميّ الراسخ في الثقافة اليهوديّة- المسيحيّة. فبالنسبة له إنّ ذكاءنا البشريّ لا يمكن أن يفهم من الله إلاّ ما أوحاه إليه الله نفسه. وما أوحاه الله لنا هي ألقابه أوّلاً، ثمّ الرموز والصور الكتابيّة التي تشكّل نقطة التقائه بالإنسان. إنّ الله قد تنازل إلى درجة الإنسانيّ، وأهّل الكائن البشريّ لاكتشاف رموز الله له ورسائله من خلال الطبيعة والكتب. وفهم هذه الرموز لا يكون بالعمل العقليّ فقط، بل باستعداد الإنسان المطلق لاستقبال الوحي الإلهيّ، من خلال الإيمان فقط ثمّ من خلال الذكاء. وقد رأى أفرام في النصّ الكتابيّ معنيين: معنى تاريخيّ ومعنى روحيّ، تمامًا على مثال المسيح: المسيح الإله والمسيح الإنسان. فمن يتأمّل يسوع من دون إيمان لن يدرك إلاّ المسيح الإنسان. أمّا إذا نظر إليه "بعين الإيمان الداخليّة" فسوف يدرك ألوهة المسيح. وكذلك هو الأمر بالنسبة للكتاب المقدّس، فمن يبتغي درس النصّ الكتابيّ من دون الإيمان، فلن يدرك إلاّ معناه السطحيّ التاريخيّ. أمّا الذي يتأمّل الكتب بنور الإيمان و على ضوء المسيح، فهو الذي يدرك المعنى الأعمق بهبة من الله. يقول أفرام "إنّ الكتب قد وضعت مثل المرآة، ووحدها العين الطاهرة ترى صورة الحقيقة"[٢٧]."إنّ الطبيعة المزدوجة في الشخص الواحد للمسيح، إبن الله، تشكّل النقطة الأساسيّة في طريقة القدّيس أفرام في شرح الكتاب المقدّس، إلى جانب طريقته التيبولوجيّة ذات المراحل الثلاث، التي عبّر عنها شمّاس الرُها بهذه الطريقة: "الرمز كانت مصر، والحقيقة هي الكنيسة، أمّا ختم المكافأة فسيكون في الفردوس"[٢٨]. فبفضل التجسّد صارت الكنيسة تمام العهد القديم واكتماله؛ وهي، في الوقت عينه، صورة عن الملكوت السماويّ الإسكاتولوجيّ. فالحياة بالنسبة للقدّيس أفرام هي مسيرة من عدن إلى صهيون، ومن صهيون إلى الكنيسة، ومن الكنيسة إلى الملكوت[٢٩]. هذا المفهوم للتاريخ ينسجم بشكل قويّ مع ما هو وارد في

---

٢٧ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الإيمان ٦٧، ٨.

٢٨ أناشيد في الخبز الفطير ٥، ٢٣.

الرسالة إلى العبرانيين (عب٨،٥،٩،٢٤،١٠،١)، الذي هو بكر الآب وصورة اللّه غير المنظور، بعد أن أعلن عنه بالرموز، قد أضحى الصورة المنظورة للّه غير المنظور موضحًا كلّ الرموز، كيما يقود البشر إلى ملء الحقيقة بمعاينته"[٣٠].

يشدّد أفرام على ضرورة استخراج المعنى الروحيّ من النصّ الكتابيّ، مع احترام المعنى التاريخيّ الحرفيّ. فهو مهمّ جدًّا، كما أنّ إنسانيّة المسيح مهمّة جدًّا. من دون المسيح الإنسان لما أمكننا معرفة المسيح الإله، ومن دون الجسد لما كان للروح وجود، وكذلك من دون المعنى الحرفيّ لما قدّر للمعنى الأعمق أن يظهر؛ فيقول: "هناك من يكتفي بالتعلّق بأهداب الحقيقة، وهي بقوّتها تمنعه من السقوط. أمّا أنت، فلا تتوقّف عند برّاق الكلمة الظاهريّ، الذي تحت قشرته الخارجيّة يخفي معنى النصّ الحقيقيّ. إنّما احرص أن تبحث في معناها الأعمق، وأن تعرف عمّا هي تتكلّم في الحقيقة؛ لا تته في طرقات ملتوية، إنّما بقناعة راسخة وصحيحة، (سِرّ) في العهد حيث فيه رسم الروح أعضاء المسيح، كيما يُظهر، بالأسرار التي انكشفت، شكلها المحتجب، لأنّه قد أخفى أشياء عظيمة بأخرى صغيرة، وأظهر بأشياء مكشوفة أخرى محتجبة"[٣١]. إنّما ممّا لا شكّ فيه أنّه لا يمكن فهم كلّ الرموز والمعاني في الكتاب المقدّس وإدراكها، إذ إنّها تفوق إدراك الإنسان. وفقط بالنعمة الإلهيّة يقدر الإنسان أن يفهم بقدر استطاعته وعلى حسب حاجته. لذلك يقول: "كلّ واحد، على قدر تمييزه قد أدرك ذاك الذي هو أكبر من كلّ شيء"[٣٢]. "فمن يقدر أن يفهم غنى كلّ كلماتك يا اللّه؟ فما نحن نفهمه هو أقلّ بكثير ممّا نتركه، تمامًا مثل الشعوب العطشى التي ترتوي من الينبوع. أبعاد كلماتك كثيرة هي، كما أنّها متعدّدة أيضًا أبعاد الذين يدرسونها. لقد لوّن السيّد كلمته بجمالات شتّى، كيما يقدر كلّ باحث فيها أن يتأمّل ما يحبّه. وأخفى في كلمته كلّ الكنوز، كيما يجد كلّ منّا غنى في ما يتأمّله. كلمته هي شجرة حياة تمدّ من كلّ الجهات ثمراتها المباركة، وهي مثل صخرة مفتوحة في الصحراء، صارت لكلّ إنسان

---

٢٩ راجع الأناشيد ضدّ المبتدعين ٢٦، ٤.

٣٠ راجع: DE MARGERIE. B, *Introduction à l'histoire de l'exegèse, I, les Pères Grecs et Orientaux (Initiation)*, Cerf, Paris 1980, p.183.

٣١ ديات ١٢، ٣.

٣٢ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الميلاد ٤، ٢٠٠

شرابًا روحيًّا، "لقد أكلوا طعامًا روحيًّا وشربوا شرابًا روحيًّا (١قور١٠، ٤)، فلا يظنّ الذي ينال بالمشاركة شيئًا من هذا الغنى أن ليس في كلمة اللّه إلاّ ما وجده هو، بل ليعرف أنّه لم يقدر أن يكتشف إلاّ شيئًا واحدًا بين أشياء كثيرة. وإذا اغتنى من الكلمة فلا يظننّ أنّ الكلمة قد افتقرت. ولأنّه غير قادر على اكتساب كلّ غناها، فليؤدّ الشكر عن عظمتها. ابتهج لأنّك شبعت، ولا تحزن لأنّ غنى الكلمة يفوقك. من هو عطشان فليبتهج وهو يرتوي، ولا يحزن بسبب عدم قدرته على إنضاب الينبوع"[٣٣]، "لو كان هناك معنى واحد فقط يُعطى لكلمات الكتاب (المقدّس) لكان وجدها الشارح الأوّل، ولكان السامعون الآخرون فقدوا تعب التفتيش ولذّة الاكتشاف. إنّما لكلّ كلمة من كلمات سيّدنا شكلها، وكلّ شكل عنده أعضاء كثيرة، وكلّ عضو عنده تكوينه الخاصّ. كلّ واحد يفهم بحسب قدرته ويفسّر بقدر ما أعطي"[٣٤].

وينوّه أفرام عن عدم قدرة الإنسان على فهم أسرار اللّه. لذلك، كان تدخّل اللّه في تاريخ الإنسان. فقبل أن يتجسّد، دخل اللّه إلى حياة الإنسان بواسطة الرموز، إنْ في الطبيعة أو في الكتب المقدّسة. وهكذا انحدر إلى إنسان بواسطة الصور والرموز، كيما يعود ويرفعه إليه. فهدف اللّه النهائيّ في علاقته بالإنسان هي أن يتمّم الإنسان الغاية التي خلق من أجلها: الاتحاد باللّه، "حتى يكون للإنسان بالإرادة ما للّه بالطبيعة"[٣٥]. لذلك، "أجهد اللّه ذاته بكلّ الوسائل الممكنة كيما يربحنا كلّنا"[٣٦].

ويتّفق أفرام في قراءة الكتاب المقدّس مع المدرسة السريانيّة الإنطاكيّة التي فهمت النصّ الكتابيّ تيبولوجيًّا. وتدخّل اللّه في تاريخ شعبه كان من خلال أشخاص أو أحداث أو رموز تاريخيّة حقيقيّة لم تبق مغلقة على الحدث التاريخيّ، بل تخطّته وأضحت رمزًا لما هو مزمع أن يتحقّق في تصميم اللّه الخلاصيّ، فيتعدّى النصّ تاريخيّته ليظهر ما هو منطوٍ في حناياه من أسرار ورموز ستتّضح وتنجلي على ضوء التجسّد الإلهيّ. فالعهد القديم ذاته

---

٣٣ ديات ١، ١٨-١٩

٣٤ديات ٧، ٢٢.

٣٥ ديات ٦، ٥.

٣٦ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الإيمان٣١، ٤.

رمز ذو شكل غير واضح تمامًا، قد ظهر بوضوح عبر العهد الجديد. وهذه التيبولوجيا تتناول إذًا إمّا الكتاب المقدّس بعهده القديم بحدّ ذاته كرمز ونبوءة للعهد الجديد، وإمّا أشخاصًا من العهد القديم قد شكّلوا، رغم تاريخيّة وجودهم، رمزًا لأشخاص سيظهرون، رمزًا قد يكون سلبيًّا وتحقّقه الإيجابيّ سيتمّ بأشخاص من العهد الجديد ضمن مخطّط اللّه الخلاصيّ (آدم الساقط- المسيح المخلّص، حوّاء أمّ الموت- مريم أمّ الحياة، أورشليم الخائنة- الكنيسة الوفيّة)، أو رموزًا إيجابيّة ستتّضح فقط عندما تتحقّق (إسحق الذي كاد يقدّم ذبيحة- الإنسانيّة التي كادت تهلك)، وإمّا رموزًا كتابيّة تحقّقت بأشخاص (شجرة الحياة- صليب المسيح المعطي حياة، ثمرة الحياة- المسيح، جنّة عدن التي أعطت ثمرة الحياة- مريم...). لذلك، شبّه أفرام الكتابات بصورة تنعكس على مرآة. والمرآة في أيّام أفرام ما كانت زجاجيّة تعكس الصورة بوضوح، بل كانت معدنيّة تظهر صورة غير واضحة المعالم. والعهد القديم هو كذلك صورة عن العهد الجديد غير واضحة المعالم تتّضح فقط على ضوء نور الإبن المتجسّد، فيقول القدّيس أفرام: "لأنّه لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارج أورشليم (لو١٣، ٣٣) وهذا يتناسب مع: "ممنوع عليكم أن تذبحوا الفصح إلاّ في المكان الذي يختاره لكم الربّ إلهكم ليحلّ اسمه فيه" (تث ١٦، ٥-٦). وهكذا يعلن الرسول: "إنّ فصحنا هو المسيح الذي ذُبح" (١قور ٥، ٧)، لكي يظهر أنّ الرمز كان في إسرائيل، والحقيقة كانت في يسوع"[٣٧]. ورموز العهد القديم تُفهم فقط عبر أشخاص العهد الجديد الذين ينيرون غموضها. لذلك، لا يمكننا أن نفصل مطلقًا بين العهدين: "العهدان اللذان يحاول المنكرون أن يفصلوهما، هما متّحدان، الواحد (موجود) في الآخر، مختومان بالوحدة...العهد الجديد قد انتشر بواسطة صور صديقه (العهد القديم) وبواسطته (الصور) قد تمّت"[٣٨].

٣٧ ديات ١٤، ١٣.

٣٨ أناشيد ضدّ المبتدعين ٣٦، ٨.

مريم في الكتاب المقدّس

إنّ اللّه قد هدف، من خلال الكتب المقدّسة، إلى تحضير شعبه لاستقبال البشرى الخلاصيّة، وذلك بواسطة الرموز التي تنير مسيرة الشعب رويدًا رويدًا إلى أن يبلغ ملء الزمن. وحينها لا يعود الربّ يتكلّم بواسطة الرموز، بل بالوسيط الوحيد بين اللّه والعالم: كلمة اللّه المتجسّد.

ودخول المسيح التاريخ البشريّ، والذي تمَّ بواسطة العذراء مريم، قد حُضِّر له بواسطة رموز أشارت إلى هذا الباب الذي يدخل منه السيّد عالم الخطأة. وأفرام، كمجمل الآباء السريان الأوّلين ، قد وجد عددًا كبيرًا من الرموز والصور في العهد القديم، دلّت على العذراء مريم، شرحها سواء بالنثر أو بالشعر والألحان، مترنّمًا بمزايا هذه الفريدة التي شُغف بها قلبُه وأُعجب بها عقلُه وتأمّلت جمالَها عينا قلبه النيّرتان. فلولا طاعةُ مريم ما كان استطاع الربّ أن يحقّق ما يصبو إليه، أي أن يعيد آدم إلى مجده الأوّل، فيلبسه رداء المجد ويشركه في ألوهته.

لقد أدرك أفرام دور العذراء العظيم الأهميّة في تاريخ الخلاص وتحقيق الفداء، فاستخرج رموز مريم المخفيّة في العهد القديم.

مريم حوّاء الجديدة

إنّ غاية خلق اللّه للإنسان هي إشراكه في ألوهته، "كيما يكون للإنسان بالإرادة ما للّه بالطبيعة"[٣٩]. وهذا الهدف الذي يجب على الإنسان بلوغه يبتدئ أوّلاً بعطيّة من اللّه. بالنسبة لأفرام، هناك هوّة كيانيّة تفصل جوهر اللّه عن الجوهر الانسانيّ. لذلك، ما كان يمكن للانسان أن يعبر نحو اللّه، أو على الأقلّ أن يدرك شيئًا عنه، لولا أنّ اللّه قد أخذ المبادرة وملأ هذه الهوّة من محبّته بالتجسّد كيما يقدر الإنسان أن يدرك نبعه الأوّل وغايته الأخيرة:

"أيّ كائن مخلوق يقدر أن يفحص الألوهة؟ إذ إنّ هناك هوّة بين المخلوق وخالقه. إلاّ أنّ الألوهة ليست بعيدة عن مقتناها، بسبب الحبّ الموجود بين الخالق والمخلوق"[٤٠]،

---

٣٩ ديات ٦، ٥.

"الكائن المتعالي والممجّد من الكلّ، قد تنازل بحبّه، تبنّى طرقنا، وعانى كلّ الآلام كيما يعيدنا إليه" [41].

إلاّ أنّ النعمة الإلهيّة لا تنفي دور الحريّة الانسانيّة في السعي والسير نحو الألوهة، بل إنّ الحريّة هي صورة اللّه في الانسان، "لقد أعطى السيّد الحريّة للانسان كيما يصير له بالارادة ما للّه بالطبيعة". وهذه الحريّة الانسانيّة، التي هي هبة من اللّه، تقدر أن تختار الخير أم الشرّ، أي العيش في اللّه والسعي إلى التألّه، أي للعيش خارجًا عن اللّه، "فإنّ القلب يقدر أن يختار النور أو الظلمة"[42].

وحين خلق اللّه آدم وحوّاء، خلقهما في حالة قدرة أن يختارا إمّا الخير أو الشرّ. وسعي الإنسان نحو الألوهة ليس شيئًا خاطئًا، بل هو هدف خلق اللّه للانسان. إنّما الخير والشرّ يكمنان في طريقة تتميم هذا الهدف: التألّه بالنعمة الالهيّة، أي أن يعرف الإنسان محدوديّته وكونه خارجًا من اللّه ومتعلّقًا به، ينال ألوهته من ألوهة خالقه، أو أن يسعى للتحرّر عن اللّه جاعلاً نفسه إلهًا خارجًا عن اللّه فيفصل الجدول نفسه عن الينبوع فينضب ويجفّ.

وهذه كانت حالة آدم وحوّاء. فحوّاء، أمّ كلّ الأحياء، المعدّة لأن تعطي الحياة لكلّ بشر وللطبيعة أيضًا والكون بتتميم وصيّة اللّه، قد فعلت العكس وأعطت الأجيال كلّها ثمرة الموت. يقول أفرام: "كان يمكن لحوّاء أن ترفض التجربة، وعندها لكانت نالت المعرفة المعصومة عن الخطأ، ولكانت نالت من شجرة الحياة الحياة الأبديّة"[43]. وهكذا، برغبتها في أن تكون هي مصدر الألوهة، قد ابتعدت عن مصدر حياتها، ففقدت الحياة وأورثت بنيها الموت الذي كان ثمرة حريّتها الخاطئة، "لكان يمكن لحوّاء أن تقول للحيّة: إنْ كنتُ لا أقدر أن أرى كما تقولين، فكيف أبصر ما أنا أبصره، أو إنْ كنتُ لستُ أعرف التمييز بين الخير والشرّ كما تهمسين، فلماذا يمكنني إذًا أن أميّز أنّ ما تقولينه الآن خير هو أم شرّ؟ لماذا يمكنني أن أعرف أنّ الألوهة هي شيء حسن، وأنّ انفتاح الأعين شيء عظيم، وأنّ الموت

---

٤٠ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الإيمان ٦٩، ١١-١٣.

٤١ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الإيمان ٣١، ١-٧.

٤٢ مار أفرام السريانيّ، العظات حول الإيمان٢، ١٤-١٥. (وهي غير أناشيد الإيمان).

٤٣ مار أفرام السريانيّ، في تفسير سفر التكوين ٢، ٢٣.

شرّ؟ كلاّ إنْ كان كلّ هذا ليس بمقدوري، فلماذا جئتِ إليّ؟ إنّ مجيئك هو شاهد أنّنا نملك حقًا هذه الأشياء... ولكنّ حوّاء لم تلفظ هذه الأقوال التي بها كانت قدرت أن تغلب الحيّة، بل بالعكس ثبتّت عينيها على الشجرة واندفعت نحو هلاكها"[٤٤].

إنّما خطيئة الإنسان ليست قادرة على تحجيم محبّة اللّه ورحمته العظيمة. لذلك بقي يتدخّل في تاريخ الإنسان ويهدي خطاه إنْ من خلال الطبيعة أو من خلال الكتب المقدّسة: الرموز والصور والنبوءات الكتابيّة. لذلك، يرى أفرام أنّ مريم جاءت تتمّم ما وجب على أمّها حوّاء تتميمه. وبدل تمرّد حوّاء أطاعت هي. وطاعة العذراء مريم تتخطّى الطاعة الجاهلة البسيطة إلى طاعة أعمق وأهمّ. ففي الفكر الشرقيّ عامّة لا يمكن أن يُفصل وجود الإنسان وحياته عن فكرة نموّه الروحيّ وسعيه، كجواب على نداء اللّه، إلى التألّه. هذا العمل الذي تكلّم عنه آباء الشرق اليونانيّون معطينه اسم Theosis أي التألّه، أو Esichia أي حالة الكائن الصامت الهادئ والمستعدّ لاستقبال كلمة الربّ والسعي إلى الاتحاد بطاقته الالهيّة، دعاه آباء السريان، وعلى رأسهم أفرام، (ܫܠܝܐ Šelya) أي السكينة أمام الجمال الالهيّ، يقول أفرام: "إنّ العليّ حين عرف أنّ آدم أراد أن يصير إلهًا، أرسل له ابنه كيما يكون قادرًا على تحقيق هذه الرغبة"[٤٥].

إنّ الدعوة الكيانيّة المزروعة في قلب الإنسان هي أن يصبح إلهًا باللّه خالقه، فيشترك في حياة اللّه ومحبّته ويعاين جماله الالهيّ حتى يبلغ ملء الكمال الذي دعي إليه. وهنا تكمن أهميّة العذراء مريم التي كانت الأولى في تأمّل هذا الجمال الإلهيّ، في صمت الهيكل أوّلاً حيث أصغت فقط إلى صوت الربّ تاركة كلّ نداء آخر بعكس حوّاء أمّها. كذلك "خضعت وأطاعت" صوت الربّ وعملت بمشيئته قائلة "ليكن لي بحسب قولك" رغم كلّ المصاعب التي تستلزمها الطاعة هذه، فآمنت بالربّ ووثقت به فتمّمت ما كان على أمّها حوّاء القيام به. أمّا تردّد مريم أمام الملاك فما هو بحسب أفرام إلاّ خوفها من أن يكون الشرّير يريد تجربتها وخداعها "كما خدع أمّها حوّاء"[٤٦]. إنّ "حوّاء قد أعطت العالم ثمرة الموت المرّة". لذلك، جاءت ابنتها مريم وأعطت العالم ثمرة الحياة. إنّ مريم قد أعطت

---

٤٤ مار أفرام السريانيّ، في تفسير سفر التكوين ٢، ٢٠.
٤٥ مار أفرام السريانيّ، أناشيد نصيبين، ٦٩، ١٢.

الحياة للعالم بعكس حوّاء التي أورثته موتاً، رغم "أنّها كانت معدّة لإعطائه الحياة، "بتولتان أعطتهما الإنسانيّة: واحدة أعطت الموت وأخرى وهبت الحياة. بحوّاء كان الموت للعالم، أمّا الحياة فصارت بمريم"[47].

وكانت حريّة مريم في كلّ هذا حاضرة. لا بل إنّ مريم بطاعتها قد اكتسبت حريّتُها المعنى الحقيقيّ للحريّة الإنسانيّة، و بحريّتها رسمت ما كان يجب أن تكونه حريّة حوّاء السليمة. فحريّة حوّاء وحريّة مريم جوهرهما واحد؛ "فجوهر الحريّة واحد هو عند كلّ إنسان، إنّما مثل العسل الذي يبدو مرًّا للمريض. كذلك هي الحريّة: حريّة الخاطىء هي حريّة مريضة، أمّا حريّة الصِدّيق فسليمة"[48]. لذلك، فإنّ حريّة مريم قد وصلت إلى أقصى كمالها بقبولها مشيئة الربّ، لأنّ مشيئة الربّ هي التي تعطي الحريّة الحقّة السليمة، حريّة أبناء اللّه، معناها الحقيقيّ. أمّا حريّة حوّاء فهي حريّة مريضة، تسعى إلى الألوهة بقواها الخاصّة جاعلة نفسها مصدر حياة لها وللآخرين باستقلال عن اللّه مصدر وجودها وحياتها. لذلك، "شوّهت الحريّة جمال آدم، إذ أراد أن يصير إلهًا وهو ليس إلاّ بإنسان"[49]. إلاّ أنّ رحمة اللّه قد أعادت إلى آدم، بواسطة حريّة مريم، جماله الأوّل: "إلاّ أنّ النعمة قد جمّلت بشاعات آدم حين نزل اللّه و صار إنساناً".

إنّ مريم الإبنة قد أسندت حوّاء أمّها التي سقطت. وبدل حوّاء التي أعطت الموت للجميع صارت لنا الحياة بواسطة مريم.

مريم علّيقة موسى[50]

من أبرز الرموز الكتابيّة التي يربطها أفرام بمريم إنّما هي العلّيقة التي أبصرها موسى على جبل سيناء تشتعل ولا تحترق.

وترتبط صورة النار في كتابات أفرام بمراجع إلهيّة شتّى:

٤٦ راجع النشيد السابع عشر من أناشيد مريم.
٤٧ راجع النشيد الثاني المقطع ٨ من أناشيد مريم.
٤٨ مار أفرام السريانيّ، أناشيد حول الكنيسة ٢، ١٨ وما بعد.
٤٩ مار أفرام السريانيّ، أناشيد حول البتوليّة ٤٨، ١٥.

النار هي الألوهة، واشتعالها هو دليل الحضور الالهيّ؛ اللّه هو الكائن الناريّ.

النار هي الروح القدس الذي يلهب بمحبتّه الخليقة، ويطهّرها مثل الذهب في البوتقة[٥١].

النار هي الأفخارستيا، هذه الجمرة المشتعلة التي مسّت شفتي أشعيا وطهّرتهما، وهي الألوهة تعطى لنا عربون حياة أبديّة.

أمّا العلّيقة فقد رأى فيها أفرام رمز البشريّة الضعيفة المعرّضة للسقوط، رمز المادّة غير الكاملة. هي جوهر ليس من مرتبة جوهر النار، ورغم هذا حلّت فيها النار ولم تحترق.

إنّ رمز العلّيقة هذا أبصر فيه أفرام سرّ مريم ابنة طبعنا الضعيف. هي الكائن الترابيّ قد حلّت فيها نار اللاهوت المتجسّد، ذلك الذي تخشى القوّات السماويّة أن تنظر إليه قد عانقته مريم ولم تحترق. وفي هذا الحدث رأى أفرام سبيلاً لتقديس المادّة والطبع البشريّ، شدّد على قدرة المادّة على استقبال اللّه والاتحاد به من دون أن تتلفها النار الالهيّة. مريم العذراء، علّيقة موسى التي احتضنت اللهيب ولم تحترق، هي المثال الأوّل للكائن الأرضيّ السائر نحو التألّه، أي نحو حلول اللّه في هيكله الجسديّ والعقليّ والروحيّ، فصارت مريم القدوة لكلّ "صامت"، أي المتأمّل الجمالَ الإلهيّ والساعي نحو التألّه من دون أن يخشى الاحتراق.

مريم شجرة جبل موريّا[٥٢]

رمز آخر لمريم يشدّد فيه أفرام على دور بشريّتنا وإسهام طبيعتنا في عمل الفداء الإلهيّ. فحين همّ إبراهيم بذبح اسحق ابنه الوحيد كتقدمة للّه على جبل موريّا الذي أشار إليه اللّه، أوقفه الربّ، وأبصر إبراهيم في شجرة قربه حملاً معلّقًا سيفدي اسحق ابنه. وفي هذا الرمز يقول أفرام: "إنّ شجرة واحدة في كلّ الأزمنة قد أعطت حملاً (ليفدي اسحق)، كما أنّ امرأة واحدة قد ولدت من دون رجل. الحمل معلّق في الشجرة وربّنا على الجلجلة. الحمل فدى اسحق، وسيّدنا فدى البشريّة: واحد هما الشجرة ومريم"[٥٣].

---

٥٠ راجع خر ٣، ١.

٥١ ديات ١٠، ٤.

إسحق هو إذًا رمز لبشريّتنا المتألّمة التي وجدت فداءها في الحمل المعلّق على الجلجلة، إذ حصلت على الخلاص بواسطة الصليب. وعمل الفداء الإلهيّ لم يتمّ بمعزل عن طبيعتنا وانسانيّتنا، بل قد استخدم الخالق الطبيعة الحسنة ليتمّ هذا الفداء. وهذه النظرة الأفراميّة الايجابيّة لدور المادّة والطبيعة ليست مستغربة في الفكر الساميّ والأنتروبولوجيا الكتابيّة اليهوديّة-المسيحيّة ذات النظرة الحسنة للمادّة. الربّ قد استخدم الحمل والشجرة ليتمّم الخلاص لاسحق وريثِ الموعد، واستخدم مريم شجرة العهد الجديد لتحمل المسيح الحمل، فادي البشريّة كلّها.

إنّ إبراهيم بذبحه ابنه، أبصر كلّ وعود الربّ تنهار، هو الذي وُعد بنسل "أكثر من نجوم السماء"[٥٤]، هو الشيخ المسنّ يهمّ بذبح وحيده. وبسماع صوت الربّ رؤية الحمل في الشجرة قد عاد إليه الرجاء ووعى بوضوح أكبر مخطّط اللّه في حياته وفي تاريخ شعبه الموعود. إبراهيم هذا هو صورة البشريّة المتألّمة، التي بسبب الخطيئة فقدت طهارتها الأولى والحياة الأبديّة، وصارت طريدة الخوف من هاجس الموت، بل فقدت كلّ رجاء واحتجبت عنها كلّ وعود اللّه لها، وها هي تبصر مريم الشجرة التي تحمل من يحمل وقر خطيئتنا ويُذبح عن آثامنا كيما يكفّر بدمه عن خطيئتنا ويعيدنا إلى ميراثنا، إلى وعد اللّه لنا. الأمل الذي زرعته الشجرة حاملة الحمل في قلب إبراهيم، قد زرعته مريم حاملة الفادي في قلب بشريّتنا. المادّة التي قد لوّثتها الخطيئة فصارت مصدرًا للألم والموت، نسقيها بعرق الجبين وهي تُنبت الشوك، قد اعتمدت بدم الحمل الذي أعطته مريم، وصار للانسان بالنعمة الالهيّة وبواسطة مريم جسر عبور إلى الموطن الأصليّ، حتى يستعيد آدم طهارته الأولى، والمادّة طيبتها الأصليّة.

مريم جنّة عدن الجديدة

إنّ مجمل الآباء السريان يرون في شجرة الحياة رمزًا للعمل الخلاصيّ الذي قد تمّ

---

٥٢ راجع تك ٢٢، ١٣.

٥٣ راجع النشيد السابع من أناشيد مريم.

٥٤ تك ١٥، ٦.

بالمسيح. ورأوا في الشجرة النابتة في وسط جنّة عدن صورة نبويّة للصليب الذي أعطى ثمرة الحياة: المسيح. وكما أنّ شجرة الحياة قد أثمرت ثمرة تعطي حياة، كذلك أعطى الصليب الثمرة-المسيح الذي أعطى الحياة للعالم بأسره. وأفرام نفسه يشدّد على هذه الصورة مشبّهًا حشا مريم بجنّة عدن. وكما نمت شجرة الحياة في وسط الجنّة ، كذلك نبتت الشجرة في حشا مريم التي أعطت الحياة للجميع، "فعجيب هو ومملوء دهشًا حشا مريم"، وطاهر هو مثل جنّة عدن.

وبعد أن خطئ آدم وطُرد، لم تلحق بالجنّة لعنة الخطيئة، بل يقول الكتاب إنّ آدم وحوّاء قد طُردا ووُضع ملاك لحراسة باب الجنّة. كذلك مريم، كجنّة عدن الأصليّة، ظلّت بريئة من وصمة خطيئة أبويها الأوّلين، وحافظت بالنعمة الإلهيّة على نقاوة الخلق الأصليّة. وكما حُرست الجنّة بملاك، لأنّها مسكن القدّوس ولم تلوّثها خطيئة آدم، كذلك حُفظت مريم من دنس خطيئة أمّها لأنّها هي التي أُعدّت لأن تكون مسكن القدّوس. الثمرة التي اشتهى آدم وحوّاء أن يأكلا منها قد زرعها اللّه في وسط حشا مريم كيما يأكل منها الإنسان ويروي عطشه للألوهة. ولهذا أرسل اللّه ابنه، شجرة الحياة والثمرة التي أحيت آدم، كيما يكون الإنسان قادرًا على تحقيق رغبته في أن يصبح إلهًا. لذلك يقول القدّيس أفرام: "لأنّ العليّ كان يعرف أنّ آدم يريد أن يكون إلهًا، لذلك أرسل ابنه ليتجسّد، كيما يحقّق رغبته"[٥٥].

ويقول أيضًا: "لقد قلب الأنظمة حشا أمّك"[٥٦] (...)، إذ إنّ حشا مريم قد أعاد إلى الإنسان بهاء حالته الأولى. وبعد أن حكم على نفسه بالموت وبالخروج من جنّة الحياة، وأغلق بحريّته الأبواب دون شجرة الحياة، عاد اللّه وأعطاه وسيلة للعودة بواسطة حشا مريم، جنّة عدن الجديدة.

لذلك، قلب حشا مريم نظام الموت، إذ عاد وأعطى آدم ثمرة الحياة. وقلب حشا مريم نظام الشرّ، إذ عاد وطهّر الإنسان والطبيعة من وصمة آدم وأعاد إليهما بهاء نقاوتهما الأولى. إنّ آدم-الإنسان، الذي كان يتوق إلى التألّه والعودة إلى ينبوعه الأوّل، قد تحقّق له ذلك إذ فُتحت أمامه بمريم أبواب جنّة عدن، ووُهبت له ثمرة الحياة التي نمت في حشا البتول.

---

٥٥ أناشيد نصيبين ٦٩، ١٢.

مريم تابوت العهد

"إنّ موطنك فيّ، وحشاي تابوت عهدك، مسكنك على ركبتيّ، وكرسي عظمتك"، "فيها قد حضّر جبرائيل المُرسل تابوت عهدٍ لسيّده، وبها قد التقى الطبع البشريّ الحقير والوضيع بالطبع الإلهيّ المتعالي عن الآلام كلّها". يتردّد هذا التشبيه في أعمال القدّيس أفرام، النثريّة منها والشعريّة، ولا سيّما في أناشيده المريميّة. وتتشابه هذه الصورة المريميّة بالصور الأخرى من حيث أنّ سرّ مريم فيها لا ينفصل مطلقًا عن سرّ المسيح. إنّ تابوت العهد، الذي هو كناية عن صندوق خشبيّ مزخرف صُمّم خصيصًا كيما يحتوي لوحي الوصايا اللذين أعطاهما الربّ لموسى على جبل سيناء (خر٢٥: ١٠، ٣٧: ١) وقد كان يوضع أوّلاً في الهيكل ثمّ بعدئذٍ في قدس الأقداس، ويرافق اليهود في تنقّلاتهم أو في حروبهم (خر ٢٥: ٢٢). إنّ هذا التابوت كان يعني بالنسبة لشعب اللّه حضور الربّ بينهم، يقودهم خارج أرض مصر عبر نهر الأردن (يش ٣: ٦) ويعطيهم النصر في الغلبة (١صم ٥: ٧).

ما دور مريم في كلّ هذا؟ قد رأى أفرام في تابوت العهد صورة لمريم العذراء: تابوت العهد كان يحوي كلمة اللّه التي أوصى بها اللّه موسى على الجبل، ومريم قد أضحت خباءً لكلمة اللّه المتجسّد الذي حلّ فيها. لذلك، انتقل مع أفرام معنى كلمة اللّه من معنى حرفيّ:، مجموعة قوانين محفورة على صخرة، وأخذ معنى أبعد، المعنى الصحيح، أي اللّه نفسه. وهكذا أضحت مريم تابوت العهد الجديد، العهد الذي قام بيسوع المسيح اللّه المتجسّد، بدل العهد القديم القائم على وصايا من حجر.

ولا ننسَ شفاعة مريم في قلب الكنيسة، مريم الضارعة لدى ابنها، والمستمدّة من لدنه العون والغلبة في القتال. فكما كان يصرخ الأعداء حين يرون التابوت برفقة الشعب القديم: "إنّ اللّه في ساحة العراك" (١صم ٤: ٧)، كذلك يصرخ أعداء الكنيسة، الروحيّون منهم (الهراطقة والمبتدعون في أيّام أفرام) والجسديّون (الأمم الوثنيّة التي كانت تحتلّ مدنهم)، حين يرون والدة الإله: إنّ اللّه حاضر، لقد غلبنا.

---

٥٦ أناشيد الميلاد ١١، ٧.

رموز كتابيّة أخرى لمريم

قد رأى أفرام عدّة رموز أخرى، هدف اللّه من خلال إيحائها للأنبياء أو رسمها في تاريخ مسلسل الخلاص إلى إظهار سرّ مريم وإعلان دورها الأساسيّ في سرّ الفداء. وهذه الرموز كلّها قد وضحت وفُهمت على ضوء قيامة المسيح، إذ به وحده قد وضحت الأسرار وبلغت كلّ الرموز مِلأها[٥٧]. ولو لم يقم المسيح ويضئ بنوره تعاليم العهد القديم لما كان شعب اللّه قد فهم شيئًا عن مخطّط اللّه الخلاصيّ. وأبرز مثل على ذلك هو ما جرى لتلميذَي عمّاوس[٥٨]. تلميذان خارجان من أورشليم هربًا، إذ قد مات المعلّم واستولى الفشل والضياع. وحالتهما هذه إنّما هي صورة عن حالة جماعة الرسل كلّها، فمن لم يهرب قد اختبأ في عليّة صهيون مغلقًا الشبابيك والأبواب. وفي غمرة يأسهما وفقدانهما لكلّ رجاء حضر بينهما الربّ القائم من بين الأموات، وراح يفسّر لهما ما كُتب عن المسيح أنّه ينبغي أن يتألّم ويموت ويقوم في اليوم الثالث. وعلى ضوء قيامة المسيح فهم التلاميذ هذا الحدث ووضحت أمامهم الأسرار التي كانت مخفيّة في أسفار العهد القديم.

على ضوء المسيح أيضًا وضحت أسرار مريم، واستخرج أفرام العديد منها وترنّم بها في قصائده وكتاباته. ومن أبرز هذه الرموز المريميّة الثانويّة الأهميّة بالنسبة للّتي عُدّدت سابقًا:

صخرة حوريب

"كثيرة هي ألقاب مريم، وعادل استعمالها... هي الينبوع الذي منه جرت مياه الحياة للعطاش، وأولئك الذين شربوا منها تضاعفت ثمارهم مئات المرّات"[٥٩].

في مسيرة شعب اللّه من أرض العبوديّة إلى أرض الموعد، نقصه الماء وكاد يهلك فتذمّر. وكانت كلمة الربّ إلى موسى أنْ اضرِبْ بعصاك الصخرة فيخرجَ منها ماء يروي الشعب[٦٠]. ورأى أفرام في هذا الحدث رمزًا للعذراء مريم. فهي الصخرة التي من دون أن تُكسر قد أعطت المسيح، الماء الحيّ الذي لا يعطش ثانية شاربه، فارتوى منه شعب اللّه،

٥٧ راجع بهذا الصدد العظة حول الميلاد (وهي غير أناشيد الميلاد)، في: S. Brock, L'oeil..., pp. 298-304.

٥٨ راجع لو ٢٤، ١٣-٣٥.

أورشليم الجديدة التي هي كنيسة المسيح. من الصخرة أعطى الله شعبه الماء، ومن مريم أعطاه الحياة. من الصخرة أعطاه المياه التي تروي الجسد وتقيه من الموت، ومن مريم أعطاه المياه الحيّة التي تحيي الجسد والروح معًا، فلا يعود من يشربها يعطش. وبهذا المعنى يقول القدّيس أفرام: "الصخرة التي في حوريب إليكِ رمزت[٦١]، هي التي لم تُثقب قد أخرجت وأعطت ماء للجماعة المتعبة التي كادت تموت. سرّكِ قد طال الصخرة وأغناها، إذ منك قد أشرق وخرج الشراب السماويّ فارتوى منه العالم وشبع نعمة"[٦٢].

مريم سلّم يعقوب

"إذ كان يعقوب نائمًا أبصر في الحلم رؤيا سلّم منتصبةٍ على الأرض ورأسُها يلامس السماء والملائكة عليه صاعدون نازلون، وتجلّى الربّ معطيًا له الوعد بالبركة، فصرخ يعقوب أنْ ما أرهبَ هذا المكان! ما هذا إلا بيت الله! هذا باب السماء"[٦٣].

في هذا أبصر أفرام أيضًا رمزًا جديدًا لمريم العذراء. إنّها السلّم التي ربطت الأرض بالسماء، وأعادت العلاقة بين الخالق ومخلوقاته. إنّها السلّم التي بها عاد ممكنًا ارتقاء ناسوتنا إلى مستوى الألوهة، بعد أن انحدرت الألوهة إلى مستوى الناسوت. إنّها السلّم التي أعادت آدم إلى بيت أبيه، وأعادت ممكنًا تألّه الإنسان، أي اتحاده بالخالق بعد أن كان قد قطع كلّ علاقة معه بتمرّده عليه.

بحريّة الإنسان قد قُطعت العلاقة مع الله، وبحريّة مريم ابنة الإنسان قد انفتحت الأرض على السماء. على مريم السلّم ترتقي الخلائق لتعود إلى المقرّ الأوّل، وترتقي المادّة لتعيد ارتداء نقائها الأصليّ، ويرتقي الإنسان ليكمل سيره نحو التألّه.

قد صرخ يعقوب: "هذا هو باب السماء"، ومريم كانت باب السماء. الباب الأوّل قد أُغلق أمام حوّاء وآدم، ومريم كانت الباب الذي فُتح ليعود الطريدان إلى البيت الأبويّ. إنّ

---

٥٩ عظة حول الميلاد ١٤٠.

٦٠ راجع: خر ١٧، ١-٨.

٦١ راجع: خر ١٧، ١-٨.

٦٢ أناشيد مريم ١٢، ٣.

مريم قد أضحت، بملء حريّتها، الباب الذي منه دخل المخلّص تاريخنا المتألّم، وبه يعود آدم، كلّ إنسان، إلى اللّه مصدر وجوده. مريم هي الباب الذي منه دخل الإله وصار إنسانًا "كيما يكون الإنسان بالحريّة ما هو اللّه بالطبيعة".

مريم الباب الملوكيّ

"رجع بي إلى باب المَقْدِس الخارجيّ المتّجه نحو الشرق، وكان مغلقًا. فقال لي الربّ: إنّ هذا الباب يكون مغلقًا، لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان، لأنّ الربّ إله إسرائيل قد دخل منه فيكون مغلقًا"[٦٤].

صورة كتابيّة نبويّة يدرجها أفرام ضمن الصور الرمزيّة المريميّة. وتأخذ مريم أكثر فأكثر، من خلال هذه الرموز، صورة الإنسان المنذور للّه والمفصول له. وما هو باب الهيكل الذي دخل منه اللّه إلاّ حشا مريم الطاهر. وكما أنّ الربّ فقط قد دخل من هذا الباب دون أحد آخر، ولذلك "يبقى مغلقًا"، كذلك حشا مريم قد حلّ فيه اللّه المتجسّد، لذلك لا يقاسمه هذا الهيكل اللحميّ المقدّس أيّ انسان. وصورة مريم الدائمة البتوليّة هي صورة عزيزة جدًّا على قلب أفرام، يشدّد عليها في شتّى كتاباته؛ فهي التي كانت بتولاً قبل أن تلد، وفي الولادة "إذ خرجت الألوهة وتركت البتوليّة نائمة لم تشعر بخروجها"[٦٥]، "ولم يفضّ المسيح ختم البتوليّة من جسد مريم كما لم يفضّ ختم القبر حين خرج"[٦٦]؛ وحتى ما بعد الولادة لم تفسد مطلقًا بتوليّة مريم.

ويتخطّى مفهوم عذريّة مريم بالنسبة لأفرام المفهوم الجسديّ، أي البتوليّة الجسديّة، إلى المفهوم الروحيّ للكلمة. وحريّة مريم وتمييزها العقليّ يلعبان فيه دورًا مهمًّا. فقبل أن تخطأ حوّاء وتقطف الثمرة عاصية أمر الربّ، قبلت فكرة الخطيئة في فكرها أوّلاً، أي إنّ القبول العقليّ قد سبق التنفيذ الماديّ للمعصية. هذه السقطة العقليّة قد دخلت عقل حوّاء من خلال أذنها حين أصغت وقبلت عرض الحيّة. ومريم، حوّاء الجديدة، قد قلبت وعكست

---

٦٣ راجع: تك ٢٨، ١٠- ١٩.

٦٤ راجع حز ٤٤، ١-٢.

الخطيئة وحوّلتها إلى نعمة بالطريقة عينها. فقبل أن تحبل مريم بالجسد أصغت إلى صوت ملاك الربّ. وقبل أن يتمّ الحبل في حشاها الطاهر صار في عقلها أوّلاً، فحملت الربّ في قواها التمييزيّة واقتبلت كلمته بواسطة الاصغاء، فدخلت إلى حشاها بواسطة أذنها: "في حشا أذن حوّاء الصغير قد دخل الموت وانتصز على كلّ شيء، وبواسطة أذن مريم الجديدة دخلت الحياة وملكت على كلّ شيء"[٦٧]. وفي هذا المجال شابهت مريم أيضًا باب الهيكل المغلق، إذ إنّ أذنها قد استقبلت الربّ الكلمة. ولذلك، بعد دخول كلام الربّ أذنها أغلقت سمعها بوجه أيّ صوت آخر عدا صوت الإله. وهذا الإصغاء للصوت والارادة الإلهيين قد تدرّبت عليه مريم في حياتها في هيكل الربّ المقدّس. وما كان تردّدها أمام بشارة الملاك إلاّ خوفًا من سماع أيّ صوت آخر إلاّ صوت القدّوس. فكيف تعرف أنّ المجرّب الذي أفسد أذن أمّها حوّاء ليس هو نفسه يحاول أن يفسد بتوليّة أذنها؟ وبهذا أيضًا شابهت مريم باب الهيكل المغلق.

هكذا صارت أذن مريم وحريّتها الباب الذي دخل منه الملك إلى هيكله ولم يدخل منه أحد آخر. وكما حلّ اللّه في مقدسه "فامتلأت أرجاء الهيكل من مجد الربّ"[٦٨]، كذلك حلّ القدّوس في مريم الهيكل المقدّس. وكما امتلأ الهيكل من البهاء الالهيّ، كذلك امتلأت مريم منه أيضًا. والجسد الانسانيّ الذي خُلق لابسًا الروح القدس، صورة اللّه ورداء المجد، والذي خسر هذا الرداء بعد الخطيئة، قد أعادته مريم إلى مجده الأوّل. فبالخطيئة رأى آدم وحوّاء عريهما، إذ فقدا ثوب المجد أي الروح القدس. وبطاعة مريم قد عادت إلى الجسد نقاوته الأولى كهيكل اللّه اللحميّ. وبدل إرادة حوّاء التي أدخلت إلى هيكل اللّه المقدّس أصنام شهواتها ورفضها للّه، أعادت مريم إلى هذا الهيكل قيمته الأولى فصار مسكنًا لربّ المجد.

إنّ جسد مريم هو مثال لكلّ جسد إنسانيّ. فإن كان تجسّد الكلمة قد تمّ مرّة واحدة، فإنّ حلوله في العقل والجسد الانسانيّ هو وارد في كلّ لحظة مع كلّ انسان بواسطة ما دعاه

---

٦٥ راجع أناشيد مريم ١٢، ٤.
٦٦ ديات ١٢، ١٢.
٦٧ مار أفرام السريانيّ، أناشيد حول الكنيسة ٤٩، ٧، وأيضاً أناشيد حول البتوليّة ٦، ٩ و٢٣، ٥.
٦٨ راجع حز ١، ٢٢-٢٨.

أفرام "السكينة" والصمت إزاء تأمّل الجمال الإلهيّ للاتحاد بهذا الجمال. وهكذا يشعّ جسد الانسان بالأنوار الالهيّة كما أشعّ جسد مريم، ويرتدي كلّ انسان، بواسطة مريم، رداء المجد الذي فقده بخطيئة آدم وحوّاء: "فمريم قد نسجت رداء مجد وأعطته لأبيها الذي تعرّى في الفردوس"[٦٩].

إنّ مريم بالنسبة لأفرام هي أوّل من عاد ونال ثوب المجد، وبواسطة مريم قد نال كلّ حيّ هذا الثوب من جديد. يقول أفرام: "إنّ حوّاء في بتوليّتها قد استترت بأوراق الخزي، وأمّك أيّها السيّد في بتوليّتها قد ارتدت ثوب المجد وغطّت به كلّ البشر"[٧٠].

لقد ارتدت مريم ثوب المجد هذا بعمادها من الروح القدس الذي حلّ عليها، وبعمادها بحلول الابن فيها. وهي بهذا قد كانت الباب الذي بواسطته دخل السيّد تاريخ البشر كيما يعيد إليهم رداء مجدهم، الروح القدس، بواسطة العماد. فمريم هي الباب الذي منه دخل السيّد وحلّ في هيكل بشريّتنا كيما يعيد آدم إلى نقائه الأوّل.

٦٩ راجع أناشيد مريم ١، ١٢.

٧٠ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الميلاد ١٧، ٤.

مريم ونظريّة التألّه الشرقيّة

إنّ فكرة التألّه الإنسانيّ لا يمكن أن تنفصل مطلقًا عن الفكر الآبائيّ اللاهوتيّ الشرقيّ، وهي فكرة وجدت جذورها في الكتاب المقدّس، وراحت تتوسّع وتُلقى عليها الأضواء في الأجيال الأولى من تاريخ الكنيسة الشرقيّة. فكرة التألّه هذه ارتبطت خاصّة بالفكر اللاهوتيّ اليونانيّ، ودُرست دومًا كخاصّة من خاصّات الثقافة الهلّينيّة.

وإنْ كان هذا صحيحًا، ففكرة التألّه هذه لا يمكن أن تكون موجودة في فكر القدّيس أفرام، إذ إنّه من القلائل جدًّا الذين لم يتأثّروا بالثقافة الإغريقيّة ولا حتى تكلّم أو ألمّ باللغة اليونانيّة. كما أنّه لا يوجد أيّ أدلّة علميّة دقيقة تفيدنا عن اتصاله بأيّ من الآباء اليونان، و لا حتى بالكبادوكيين المتأثّرين بهذه الثقافة. إلاّ أنّ ما يثير الدهشة و يجعلنا نعيد التفكير في مدى صحّة حصر هذه الفكرة بالمدرسة اليونانيّة هو وجودها في فكر أفرام اللاهوتيّ وتشكيلها محورًا أساسيًّا في مفهومه الإسكاتولوجيّ والخلاصيّ، وحتى لناحية لاهوته المريميّ. فماذا يقول الآباء عن التألّه الإنسانيّ؟

التألّه في فكر آباء الكنيسة

إنّ اللّه خلق الإنسان على صورته ومثاله كدليل على عظمة محبّته. وقد تعدّدت النظرات حول هذه الصورة الإلهيّة في الإنسان: منهم من قال إنّها الروح القدس، وأنّ الإنسان هو جسد ونفس وروح قدس؛ ومنهم من قال إنّها القدرة التي لدى الانسان على اختيار الخير أو الشر، وبالتالي قدرته على اختيار مصيره، إنْ بالاتحاد باللّه مصدره أو بالانفصال عنه، وبالتالي تنحصر الصورة الإلهيّة في الإنسان بقواه العاقلة. رغم تعدّد النظرات هذه، اتفق الآباء المشرقيّون على كون الإنسان مخلوقًا غير كامل وغير مطلق، وهو ما تراه الأنتروبولوجيا الحديثة: النقص الكيانيّ الذي يسعى إلى المطلق وإتمام إكتماله الكيانيّ.

هذا التوق الكيانيّ الذي في الإنسان قد رآه الآباء عبارة عن هدف رسمه اللّه للإنسان ساعة خلقه. والهدف من خلق اللّه للإنسان كان في إشراكه في لاهوته، لا من ناحية الجوهر،

لأنّ الجوهر الإلهيّ مختلف عن الجوهر الإنسانيّ، إنّما من ناحية القوّة الالهيّة، أي من الطاقة التي يستمدّها الإنسان من الإله.

وقد تعدّدت الكتابات الآبائيّة في هذا الشأن، إذ كما قلنا لم يفصلوا وجود الإنسان وخلقه عن تحقيق هذا الهدف والاشتراك في المحبّة الالهيّة والرؤيا الطوباويّة. كذلك تعدّدت طرق تحقيق هذا التألّه بين مدرسة روحيّة وأخرى، وبين تيّار لاهوتيّ وآخر. فالاختلاف الثقافيّ بين الكنائس المختلفة قد خلق اختلافًا في طرق هذا السعي، بين مدرسة متأثّرة بالفكر الاغريقيّ والقائلة بوجوب الابتعاد عن المادّة والارتقاء الروحيّ نحو مشاهدة الأنوار الالهيّة غير المخلوقة، ومدرسة آخذة من الفكر الساميّ والأنتروبولوجيا الكتابيّة، القائلة بدور كِلَي الجسد والنفس في هذا الارتقاء التألّهيّ.

التألّه في فكر أفرام

لم تكن نظريّة التألّه الانسانيّ غائبة عن الفكر السريانيّ عامّة والأفراميّ خاصّة، بل أعار أفرام هذا الموضوع أهميّة كبرى في فكره اللاهوتيّ.

فهو لم يربط موضوع التألّه الانسانيّ بالخطيئة الأصليّة كوسيلة للعودة إلى حالة ما قبل الخطيئة، إنّما سبقت هذه الرغبة الانسانيّة نحو التألّه الخطيئةَ الأصليّة، وكانت بشكل من الأشكال سببًا لها. فآدم وحوّاء خُلقا كائنين غير كاملين، وبالتالي في سعي إلى ملء الاكتمال الكيانيّ وإكمال النقص من خلال السعي إلى اللّه مصدر كلّ كمال. ولهذا، فقد خُلقا في حالة "وسيطة"، في حالة قدرة على اختيار إمّا الخير أو الشر، وبالتالي إمّا الحياة أو الموت. والحريّة والشوق إلى الكمال والألوهة اللذان زرعهما اللّه فيهما يحدّدان معًا نوع هذا الاختيار. هذه الحالة الوسيطة التي خُلقا فيها هي نقطة انطلاق إمّا نحو الأمام، وبالتالي نحو السير على طريق التألّه ومعاينة الجمال الالهيّ، وإمّا نحو الوراء والسعي إلى الألوهة بمعزل عن مصدر الألوهة، قاطعَين كلّ علاقة مع مصدر حياتهما ليجعلا من نفسيهما مصدر حياتهما؛ وفي هذا يكمن موتهما. إختيار الحياة أو الموت كان متعلّقًا بحريّتها التي كانت، بالنسبة لأفرام، أحد الأشياء التي جُعل بها الإنسان على صورة الخالق: "وقال اللّه لنصنع

الإنسان على صورتنا ومثالنا (تك: ١، ٢٦)، أي أن يكون قادرًا على الاستماع إلينا، إذا حسُن لديه أن يستمع إلينا"[٧١] "فإنّ حريّتنا هي بمثابة الروح لأهوائنا، وبها تقدر (أهواؤنا) أن تحيا، إنّما إذا خلعتها، تضحي (الأهواء) كأنّها غير موجودة. لهذا، فإنّ حريّتنا هي التي تتحكّم بما أنّ بمشيئتها الدين يقوم، أو بمشيئتها الخطيئة تسقط. إنّها شبيهة بالسماويّ الذي تُمسك قوّته الكون، فإذا هو أفلتها، يسقط كلّ شيء"[٧٢]. إذًا، فبحريّتنا التي بها خلقنا على صورة الله، نحن نقدر أن نختار إمّا الوجود أو العدم، بما أنّ الله بحريّته الخيّرة يمسك الوجود فلا يعود إلى العدم. بحريّته يختار الإنسان الوجود الحقيقيّ الذي خلق ليتمّمه، أو العدم، أي عدم الإشتراك في الألوهة الإلهيّة.

لذلك، عندما خلق الله الإنسان من الأرض، على صورته ومثاله، عاد فأسكنه الفردوس. والفردوس بالنسبة للقدّيس أفرام، كما يظهر لنا من خلال دراسة أناشيد الفردوس، هو مكان خارج عالمنا هذا، خلق قبل الإنسان إنّما من أجل الإنسان، مؤلّف من عدّة مراحل، وليس طبقات، أوّلها السورُ الخارجيّ، حدودُ الفردوس، الذي يحتقره الذين في الفردوس؛ أمّا الذين في جهنّم فيشتهون الحلول فيه. وفي السور توجد شجرة التين التي بها ستر آدم وحوّاء عرييهما بعد الخطيئة. إذا درسنا هذه الصورة بالطريقة الرمزيّة المحبّبة لدى أفرام، نجد أنّها سقوط الإنسان من حيث كان يعاين الله، منحدرًا إلى مستوى الأهواء والرغبات. لذلك، أخفى آدم وحوّاء عورتيهما بأوراق هذه الشجرة[٧٣]. وهذا السور يشبّهه أفرام بالرواق الخارجيّ للهيكل، حيث كان الوثنيّون يدخلون أيضًا، وبالطبقة السفلى من فلك نوح[٧٤]، حيث وضعت البهائم، رمز الكائن الذي لا يفتّش عن الله فيضحي كالميت[٧٥]، وبأسفل جبل سيناء الذي على قمّته تجلّى الربّ لموسى[٧٦].

المرحلة الثانية هي الحديقة، حيث كان آدم وحوّاء يعيشان، ويتأمّلان بهاء الربّ

---

٧١ في شرح سفر التكوين الفصل الأوّل.
٧٢ في البتوليّة ٣، ٨.
٧٣ أناشيد الفردوس ٢، ٧.
٧٤ أناشيد الفردوس ٢، ١٢.
٧٥ أناشيد نصيبين ٥٠، ١.
٧٦ أناشيد نصيبين ٢، ١٢.

ويتمتّعان برفقته. في هذه الحديقة نجد شجرة معرفة الخير والشر. ودور هذه الشجرة "المتّشحة بالوصيّة ومفتاح العدل"[٧٧] هي أن تفتح أعين الجَسور على عدل اللّه، لتذكّره بالموت الذي سينتج عن مخالفة الوصيّة. هي دليل على عظم محبّة اللّه الذي لا يشاء موت الإنسان. لذلك وضع هذه الشجرة التي تحمل التهديد. فإن لم يرتدعِ الإنسانُ عنها بسبب محبّته للربّ ورغبته في السير بوصاياه، يرتدع مخافة من عقاب الموت[٧٨]. هي رمز التمييز والمعرفة الحقّة التي مصدرها اللّه أوّلاً، وليس فقط العقل الإنسانيّ، وُضعت لتحمي الإنسان من الاقتراب من شجرة الحياة والأكل منها قبل الأوان. لذلك، يشبّهها القدّيس أفرام بحجاب الهيكل الذي يغطّي قدس الأقداس، لئلاّ يرى الشعب اللّه بعيونهم ويموتون بحسب معتقد الشعب القديم[٧٩]. هذا المكان يشبّهه أفرام إذًا بمقدس الهيكل الذي يسبق قدس الأقداس[٨٠]. هو الطبقة الثانية من فُلك نوح حيث حلّت الطيور، رمز السعي للألوهة. وهو سفح جبل سيناء حيث حلّ هارون[٨١].

والمرحلة الأسمى هي قمّة الفردوس، حيث هي شجرة الحياة رمز المسيح وشمس الفردوس[٨٢]، وحيث هو اللّه موجود، وحيث مقدّر للإنسان أن يحلّ بإرادة اللّه وبحريّته متى آن الأوان. الحلول في قمّة الفردوس هو الإشتراك في الحياة الإلهيّة، ومعاينة الجمال الإلهيّ، هو اكتمال الكيان الإنسانيّ وبلوغ المخلوق هدفه. هذه المرحلة هي قدس الأقداس في الهيكل، حيث يدخل الكاهن وحده مرّة واحدة[٨٣]، وهي القسم الأعلى من الفلك "حيث حلّ نوح على مثال اللّه"[٨٤]، وهي قمّة جبل سيناء حيث حلّ مجد اللّه وظلّل شعبه.

لقد وضع اللّه الإنسان في الفردوس، بعد أن خلقه خارجًا، كيما يسير بحريّته درب التألّه هذه. وأعطي القدرة على التمييز على ضوء وصيّة اللّه له. والقدرة إمّا أن يختار الطاعة

---

٧٧ أناشيد الفردوس ٣، ٥.
٧٨ أناشيد الفردوس ٣، ٥.
٧٩ راجع خر. ٢٠، ١٩.
٨٠ أناشيد الفردوس ٣، ٥-٧.
٨١ أناشيد الفردوس ٢، ١٢.
٨٢ أناشيد الفردوس ٣، ٢.
٨٣ راجع خر. ٣٠، ٧-١٠.
٨٤ أناشيد الفردوس ٢، ١٢.

للّه واختيار الخالق كخيره الأسمى، أو أن يسعى إلى قمّة الفردوس، حيث هي الألوهة، ثمرة الحياة، بقوّته الخاصّة وبمعزل عن النعمة الإلهيّة.

في الحالة الأولى، كان يجب على الانسان أن يتعرّف كلّ يوم على اللّه، ويدخل في علاقة حبّ تنمو وتتّضح كلّ يوم، فيدخل رويدًا رويدًا باتحاد مع اللّه الثالوث مصدر كلّ جمال وحبّ. وهذه المسيرة إنّما هي مسيرة استعداد وتحضير للمخلوق ليرى الخالق ويتأمّل الجمال الإلهيّ ويحيا الحياة الطوباويّة بواسطة الإله.

إلاّ أنّ الإنسان، بدافع من رغبته للتألّه، قد شاء أن يختصر درب الاستعداد هذا والنموّ التدريجيّ ليصبح قادرًا على أكل ثمرة المعرفة، فسعى إليها وأكلها عاصيًا أمر الربّ. ولم يكن موته ناتجًا فقط عن معصية أمر اللّه إنّما بسبب أكله الثمرة، أي اكتساب التمييز بين الخير والشر من دون أن يكون في حالة تؤهّله لاكتساب هذه المعرفة. فالموت إذًا لم ينتج عن عقاب إلهيّ، إنّما بسبب استباق آدم وحوّاء لمخطّط اللّه التأليهيّ، فأكلا الثمرة قبل الأوان، أي قبل أن يتمّ في ملء الزمن تبادل لاهوت اللّه بناسوتنا وناسوتنا بلاهوته كيما يضحي مستطاعًا التألّه. فالتألّه يتمّ دومًا بنعمة من اللّه وبمبادرة منه. والمبادرة الأساسيّة هي تجسّد كلمة اللّه، وأخذها إنسانيّتنا كيما تجعل جسر عبور بين اللاهوت والناسوت، ويضحي الاشتراك مستطاعًا. وحينها "لو أنّ الإنسان قد رفض السماع لصوت الحيّة، يقول أفرام، ولو كانت الحيّة قد رُفضت وكذلك الخطيئة، لكانا (آدم وحوّاء) قد أكلا من ثمرة شجرة الحياة، وشجرة المعرفة ما كانت مُنعت عنهما. لكانا اكتسبا المعرفة المعصومة، ولكانا نالا من الشجرة الأولى الحياة الأبديّة، ولنالا الألوهة في الانسانيّة. ولو اكتسبا المعرفة المعصومة والحياة الأبديّة، لكانا اكتسباها في جسدهما هذا"[٨٥].

نستنتج أنّ السعي إلى الألوهة هو هدف مقدّس جعله اللّه في الانسان، إنّما الخطيئة تكمن في كيفيّة اكتساب هذه الألوهة. وإرادة اللّه ما كان بإمكانها أن تحقّق ألوهة الإنسان بمعزل عن حريّته، بل بالحريّة والارادة كان على الإنسان أن يتقدّس ويتألّه، "ما كان يمكن للّه أن يعطي الاكليل من دون سعي آدم، قد حضّر لآدم إكليلَين ليكتسبهما: الشجرتين،

٨٥ مار أفرام السريانيّ، شرح سفر التكوين ٢، ٢٣.

لينال المنتصر الاكليل. فلو انتصر آدم، ولو لحظة واحدة، لكان أكل وحيا، لكان أكل واكتسب المعرفة والحياة المصانة من الشرّ ومعرفة لا تخطئ. إنّ القدّوس لا يريد أن يقدّم مجّانًا الاكليل إلى آدم...فهو (اللّه) كان يعلم أنّه إذا أراد آدم فهو قادر أن ينتصر، والبارّ يريد أن يمجّده. فإن كانت أُعطيت بنعمة عظيمة قيمة الكائنات الروحيّة، فليس أقلّ قيمة منها الإكليل ثمرة الحريّة"[86].

ومن البديهيّ أن تنتهي مسيرة التألّه بعد سقطة آدم وخروجه عن طاعة الخالق، لأنّه بحريّته قد اختار مصيره وشاء الخروج عن مخطّط اللّه الأزليّ. ولأنّ الانسان قد سعى، بطمع وكبرياء، إلى الألوهة، خسر المكافأة التي كانت معدّة له، عنيت الألوهة نفسها، لو أحسن استعمال حريّته. إلاّ أنّ محبّة اللّه للانسانيّة لم تعجز أمام السقطة، ولا حتّى أمام حريّة الإنسان، بل أعطت آدم إمكانيّة جديدة للبدء من جديد في مسيرة التألّه هذه بواسطة تجسّد المسيح كلمة اللّه. لذلك، يقول أفرام في أناشيد نصيبين: "إنّ العليّ، إذ عرف أنّ آدم يريد أن يكون إلهًا، أرسل له ابنه كيما يكون قادرًا على تحقيق هذه الرغبة"[87].

إنّ تجسّد اللّه الكلمة إذًا في فكر أفرام كما في فكر الآباء الشرقيين، ليس يهدف فقط إلى انتشال الإنسان من الموت الذي سبّبته الخطيئة، وإعطائه الخلاص والحياة الأبديّة، إنّما يهدف إلى إعادة وضع آدم على درب التألّه، ويعطيه من جديد إمكانيّة ملء الفراغ الكيانيّ باتحاده باللّه والجمال الإلهيّ. ومن دون تجسّد المسيح لما كان هذا ممكنًا. فالهوّة الكيانيّة الناتجة عن الاختلاف بين الجوهر الإلهيّ والجوهر الانسانيّ تنفي أيّة إمكانيّة لقاء واتحاد بين الإنسان واللّه، فكان التجسّد ضروريًّا لجعل هذا التألّه ممكنًا. فبتجسّد المسيح ملأ اللّه الهوّة التي تفصل الإنسان عنه حبًّا، وصار بمقدور الإنسان العبور إلى اللّه. بنعمة من اللّه أضحى الإنسان قادرًا أن يتألّه، من دون أن ينتفي الاختلاف الجوهريّ بينه وبين اللّه؛ إنّما يضحي بمقدوره الاتصال والمشاركة في الجمال والحبّ الالهيين، فلا يدخل صميم الشمس الالهيّة، بل يتّصل بجمال النور ودفء الحرارة المنبعثين من الشمس. وبهذا تكمن ضرورة التجسّد. فبدونه لما كان ممكنًا عبور هذه الهوّة. من هنا نستنتج أنّ تجسّد المسيح

٨٦ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الفردوس ١٢، ١٤-١٨.

٨٧ مار أفرام السريانيّ، أناشيد نصيبين ٦٩، ١٢.

لم يكن نتيجة سقطة آدم، بل هو في فكر اللّه منذ البدء كيما يضحي تألّه الإنسان مستطاعًا. التجسّد كان ليتمّ حتى من دون سقوط آدم؛ فأفرام يتكلّم في أناشيده المريميّة على تصوير المسيح لنفسه، أي لطبيعته الانسانيّة ساعة انبثاقه كدليل على مخطّط التجسّد الأزليّ في سبيل إعطاء الألوهة للانسان.[٨٨]

الدرب نحو التألّه

سبل متعدّدة رآها أفرام قادرة أن تبلغ بالانسان إلى مستوى طموحه العميق. وهذه السبل كلّها ما كانت ممكنة لولا تجسّد المسيح الذي كان بمثابة جسر عبور يربط الانسانيّة بالحبّ الإلهيّ. وضرورة التجسّد الإلهيّ في عمليّة تألّه الإنسان لا تنفي سعي آباء العهد القديم وأنبيائه وأبراره نحو الاتحاد بالحبّ الالهيّ. إلاّ أنّ سعيهم هذا قد بلغ كماله في التجسّد الإلهيّ. كما أنّ العهد القديم ونبوءاته قد بلغت مِلأها واكتمالها بمجيء المسيح.

الدافع: الصلاة والتمجيد الشفهيّ

"إزاء حضورك ارتعدتُ، وحين مجّدتك ارتفعتُ؛ فرغم أنّك لا تكبر مطلقًا، فيك يكبر بعظمة ذاك الذي يعلي التمجيد لعظمتك"[٨٩].

يمثّل المديح الشفهيّ والاعلان بمجد اللّه الجواب الأوّل على النعمة الالهيّة. إنّ الإنسان الذي تمسّه نعمة اللّه، ويسمع نداء السيّد يدعوه إلى أن "يذوق وينظر ما أطيب الربّ"، لا يقدر إلاّ أن يفتح فمه بمجد الربّ. فإزاء الجمال الإلهيّ لا يسع المرء إلاّ أن ينذهل (والذهل بالنسبة إلى أفرام يتخطّى مفهوم العجب أمام أيّ شيء غير اعتياديّ، ليصبح الانخطاف الذي يختبره كلّ متصوّف أمام الجمال الإلهيّ في ارتقاء النفس إلى ما فوق الأشياء المحسوسة لرؤية المجد الإلهيّ). وإزاء هذا الجمال الإلهيّ ينطلق بالمديح لسان المتأمّل، محاولاً عبثًا وصف هذا الجمال الروحانيّ الذي لا يُبصر بعين الجسد إنّما بالعين الداخليّة

٨٨ أناشيد مريم ١٦، ٥.
٨٩ أناشيد حول الإيمان ٣٢، ٥.

النيّرة، بعين الايمان المنيرة لا بعين العقل العاجز عن إدراك جوهر الله. بهذا الصدد يقول أفرام: "إن كان الأعمى مثلاً يبحث عن مصدر النور، رغم أنّه عاجز عن وصف الشمس وشعاعها في قلبه وفي فكره، فكيف يبصر شعاع الشمس...إنْ لم يضع ثقته، وهذا يتمّ فقط بالايمان، بالشخص الذي يصف له الشمس؟ لكنّه إذا رغب في أن يخلق مشاكل ويسمع من دون أن يولي الثقة، فسوف يقع في شقاء عظيم، لأنّه قد فتّش من دون أن يجد شيئًا، وأراد أن يظهر أعمى مرّتين: أعمى بروحه وبنظره أيضًا"[٩٠].

إنّ ما هو الأعمى فينا هي طبيعتنا العاجزة عن رؤية الجوهر الإلهيّ بسبب الاختلاف. ولتأمّل الجمال الإلهيّ يرى أفرام أنّه ضروريّ أن نولي بالإيمان الثقة للوسيط الوحيد الذي يخبرنا عن الله ويضع جماله في داخلنا، وللروح القدس الذي يجعلنا "نندهش" أمام هذا الجمال. أمّا سعينا العقليّ وتفتيشنا العلميّ فلن يزيدنا إلاّ عمى وجهلاً.

الخطوة الأولى، كما قلنا، هي إعلان المديح. وعدم التمجيد ما هو إلاّ حالة موت كيانيّ وقتل الهدف الذي من أجله جُعل الانسان، أي بلوغ الألوهة. الكائن الذي يحبس التمجيد في فمه إنّما هو شخص اختار أن يبقى على المستوى الانسانيّ الحيويّ دونما تطلّع إلى الارتقاء نحو مستوى التألّه. هو إغلاق للباب الذي فتحه الآب للانسانيّة للدخول إليه بواسطة تجسّد المسيح، وهدم لجسر الحبّ الذي به صار ممكنًا عبور طبعنا إلى مشاهدة جمال الجوهر الإلهيّ وتأمله. لذلك، قال أفرام "سوف أمدح ما دمت حيًّا ليس كما أنّي ما كنت وُجدت. نعم سوف أمدح كلّ حياتي ولا أصمت كأنّي ميت بين الأحياء. لأنّ الذي لا يمدح هو ميت مرّتين، كما أنّ الأرض التي لا تنتج تسرق ذاك الذي يزرعها"[٩١]. ويقول أفرام متكلّمًا على أهميّة إعلان الايمان عن طريق المدح الشفهيّ: "كما أنّ عصفورًا صغيرًا لم يتكوّن بعد يمنعه ضعفه من كسر قشرة البيضة والخروج، هكذا الايمان الذي يبقى صامتًا هو ضعيف جدًّا؛ فاجعله أنت كاملاً يا من تجعل كاملاً كلّ شيء. يمرّ العصفور الصغير بمراحل ثلاث: أوّلاً في البيضة، ثمّ في عشّه حيث يغرّد، وحين ينمو يطير في الأجواء

---

٩٠ مار أفرام السريانيّ، العظات حول الإيمان ٦٥، ١١-١٢.

٩١ مار أفرام السريانيّ، أناشيد نصيبين ٥٠، ١.

فاتحًا جناحيه بشكل الصليب"[92]. وحين يقوى صوت الايمان ويقدر على كسر الشكّ والخوف المحيطين به، حينها يدخل في تأمّل الجمال الإلهيّ إن من خلال الكتب المقدّسة أو من خلال الطبيعة التي تعكس صورة اللّه. وفي الواقع يتكلّم أفرام عن الكتاب المقدّس والطبيعة كمرآتين تعكسان صورة اللّه، "كلاهما شاهدان منتشران في كلّ مكان، تقدر أن تجدهما في كلّ آن وموجودان في كلّ ساعة، وهما يبكّتان غير المؤمن الذي يرفض الخالق"[93] و"حيثما نقّلتم النظر تجدوا رمزًا للّه، وحيثما بدأتم تقرأون (في الكتاب المقدّس) فهناك صور للّه تكتشفونها"[94].

هذا الاكتشاف ليس هو اكتشاف العالِم الذي يدرس اللّه على نور العقل والعلم، لأنّه لن يصل إلى نتيجة. هو اكتشاف المحبّ الذي يتأمّل في جمال حبيبه، ويدخل في أسراره، ويندهش أمام جماله. وهكذا، بعد أن يعلو المديح ويبتدئ الدخول في الجمال الإلهيّ والاندهاش أمام الرؤيا الطوباويّة، يخفت صوت الحنجرة ويعلو صوت التمجيد الروحيّ، تسكت صلاة الشفتين ليبدأ الدهش والعجب والحبّ، ويدخل المتأمّل في سرّ اللّه. عندها، مثل العصفور الذي يطير في الفضاء "باسطًا جناحيه بشكل صليب"، يحلّق المتأمّل في فضاء الألوهة اللامنتهي. وعندها يكتشف، بالايمان فقط والمحبّة، سرّ اللّه، ويدخل في علاقة حبّ ثالوثيّة واتحاد حميم بالحبّ والجمال الالهيين. وكما كان الحضور الإلهيّ في خباء المحضر على جبل سيناء، حيث امتلأ الخباء من مجد اللّه، أو على وجه موسى الذي لم يعد أحد يقدر على النظر إليه، أو كالمسيح المتجلّي على جبل طابور يشعّ بالألوهة، هكذا يضحي المتأمّل مسكنًا للحضور الإلهيّ، والجسد اللحميّ يضحي مسكنًا إلهيًّا مقدّسًا، فيحلّ مجد الربّ على "الهادئ" المتأمّل كما حلّ على الجبل أو على موسى، ويضحي مسكنًا للروح القدس ومرآة تعكس الجمال الإلهيّ.

طريق السير هذا نحو "الدهش" (ܬܗܪܐ) الإلهيّ ما هو إلاّ جواب حرّ وشخصيّ لمبادرة أخذها اللّه أوّلاً. فاللّه، بدافع من محبّته للانسان، خرج من صمت ألوهته المحتجبة، وأعلن

---

٩٢ مار أفرام السريانيّ، العظات حول الإيمان ١٨، ٢.

٩٣ مار أفرام السريانيّ، أناشيد الفردوس ٥، ٢.

٩٤ مار أفرام السريانيّ، أناشيد حول البتوليّة ٢٠، ١٢.

ذاته للانسان من خلال كلمته التي صارت بشرًا. وهكذا على الإنسان أيضًا أن يخرج من صمت الموت الروحيّ إلى إعلان كلمة الربّ كيما يدخل في الصمت المملوء حياة، صمت التأمّل الإلهيّ والاتحاد بجماله. بتمجيد اللّه يتمجّد الإنسان. وإيمان الإنسان يحتاج إلى غذاء كيما يسير على درب الاتحاد بالربّ. ميزة الإنسان أنّه كائن روحيّ عقلانيّ. والتأمّل أو الصلاة ليس هو مجرّد واجب يقوم به الإنسان تجاه خالقه غير محتاج إلى صلاته، إنّما هو أساسيّ بالنسبة للإنسان كيما يرتقي دومًا إلى إكمال هذا البعد الروحيّ الذي فيه، والذي يدفعه دومًا إلى طلب الألوهة. الصلاة أو التأمل هي التي تحافظ على هويّة الإنسان الروحيّة والعاقلة، وإلاّ ينحدر إلى المستوى الحيوانيّ قاطعًا كلّ علاقة مع اللّه. بالصلاة ينمّي الإنسان رغبة التألّه فلا يموت. بهذا المعنى قول القدّيس أفرام: "سأنشد ما دمت حيًّا، لا كأنّي مائت بين الأحياء"[٩٥]. الصلاة تدفع للتألّه. هي الحافز، وليست وسيلة مباشرة أو ماديّة كالعماد الذي يؤهّل أو الأفخارستيا التي تحقّق ماديًّا وعضويًّا.

هكذا يبدأ الإنسان بمسيرة تألّهه في حياته الزمنيّة، مسيرة لن تنتهي ساعة الموت بل تجد اكتمالها بالاتحاد بهذا الحبّ الإلهيّ، وتستمرّ دومًا في الحضرة الالهيّة علاقة حبّ وتأمّل جمال ينمو ويزداد، كيما يضحي الإنسان إلهًا باللّه خالقه، ويتمّم هدف اللّه من خلقه للانسان. هكذا يحقّق الإنسان ما وجب على آدم أن يحقّقه. بهذا المعنى يضحي كلّ إنسان متألّه آدمَ جديداً، وصورة للمسيح الممجّد آدمَ الجديدِ وبكرِ كلّ خليقة.

الوسيلة: المعموديّة

تشكّل المعموديّة، كما الميلاد، محطّة تجلّ وظهور إلهيين في غاية الأهميّة. تتخطّى المعموديّة مفهوم العمل المعدّ لغسل الخطايا (كالعماد اليوحنّويّ) لتأخذ بالنسبة لأفرام معنى أعمق وأوسع. إنّ تحديد العماد كسرّ يهدف فقط إلى محو الخطايا. هو مفهوم غريب عن فكر الآباء، وأفرام ضمنًا. إنّ غاية العماد المسيحيّ ليست هي فقط قتل الخطيئة التي

---

٩٥ أناشيد نصيبين ٥٠، ١.

ملكت فينا بسبب المعصية، لنضحي أعضاء في شركة جسد المسيح السريّ، إنّما تنطلق من قتل الخطيئة لتعود بالانسان إلى النعمة الأصليّة: الدعوة للتألّه.

في العماد تُصاغ صورة الإنسان الحقّة كصورة ومثال للخالق، ويوضع الإنسان، بنعمة الروح القدس الذي يلبسه في العماد، على الطريق نحو بلوغ ملء قامة المسيح والاشتراك في الألوهة. لأنّ المسيح هو درب التألّه، فهو صورة الآب، كما يقول القدّيس بولس: "هو صورة الله الآب، والبكر على كلّ ما قد خُلق"[٩٦]، وفي مكان آخر:"إذ قد نزعتم الإنسان العتيق وأعماله، ولبستم الإنسان الجديد الذي يتجدّد لبلوغ تمام المعرفة وفقًا لصورة خالقه"[٩٧]، إنّما المسيح هو أيضًا الصورة الحقيقيّة للإنسان، التي لم تشوّهها بشاعة المعصية، نحو هذه الصورة تتوق كلّ الخليقة، "تئنّ وتتمخّض كيما تبلغ ملء قامة المسيح"[٩٨]، التي هي هدف ونهاية السعي الإنسانيّ واكتماله؛ "فالذين سبق فعرفهم، سبق فعيّنهم أيضًا ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو البكر بين إخوة كثيرين"[٩٩]. بهذا يضحي تجسّد المسيح وموته وقيامته، التي يحياها كلّ مسيحيّ بالعماد، الوسيلة التي يضحي بها الإنسان إلهًا ويتصوّر على صورة الإبن، ويضحي بواسطته ابنًا للآب بالتبنّي، أي بالاشتراك في الألوهة رغم الاختلاف الجوهريّ بين الطبيعتين، كما يشترك ابن بالتبنّي في ميراث الرجل الذي تبنّاه. ويرى القدّيس أفرام في عماد المسيح تجلّيًا آخر مسيحانيًّا وثالوثيًّا، من خلاله يضحي ممكنًا للخليقة الاتصال بخالقها. ويشكّل العماد حلقة من سلسلة مبادرات قام بها الله ليدعو الإنسان إلى الاشتراك في حياته: في العماد سمعنا صوت الآب معلنًا رضاه، وأبصرنا الروح القدس. فمن خلال المسيح صار لنا القدرة على الاتصال بالله الثالوث.

معموديّة المسيح هي صورة معموديّة كلّ مسيحيّ، به نسمع صوت دعوة الآب لنا لنكون أبناء مرضيين على صورة المسيح الابن، وننطلق كما انطلق المسيح في عمل الخلاص على أثر حلول الروح القدس عليه، ونباشر درب العودة بإنساننا نحو الله الآب،

---

٩٦ كولسي ١، ١٥.
٩٧ كولسي ٣: ٩-١٠.
٩٨ أفسس ٤، ١٣.
٩٩ روم ٨، ٢٩.

فتعاد صياغةُ صورة اللّه فينا، لتظهر وتتّضح بحسب دعوة الآب لنا، الدعوة التي دعينا إليها يوم خُلقنا بواسطة الابن مثالِنا وقدوتِنا والوسيطِ بيننا وبين الآب، على نور الروح القدس الذي لبسناه بواسطة المعموديّة. بحريّتنا نواصل السير من جديد نحو النعمة الأصليّة التي وُهبت لنا، أي أن نضحي أبناء للّه بالتبنّي وشركاء في ألوهته بالنعمة.

التحقيق العضويّ: الأفخارستيّا

نتيجة لتجسّد المسيح وعمله الخلاصيّ، فقد أعطانا جسده ودمه عربون حياة أبديّة ووسيلة ماديّة للاتحاد الإلهيّ. وتناول جسد المسيح ودمه هو اتحاد انسانيّتنا باللاهوت، ومغفرة لخطايانا، وغسل لنا من معصيتنا الأولى: "لقد خرج دم يخلّصنا من العبوديّة، وماء ينقّي ويغسل من عبوديّة الشرّ كلّ من يتناوله"[١٠٠]. ومن ثمّ يتخطّى تناول جسد المسيح ودمه مغفرة الخطايا ليتمّم اتحاد انسانيّتنا باللاهوت كيما ندخل رويدًا رويدًا في الحياة الإلهيّة. "إنّ جلاله الذي ارتدى كلّ أشكال الرموز، رأى أنّ الإنسان لا يريد أن يخلص، فأرسل محبوبه مكان تلك الأشباه التي ارتدت رموزه، وأخذ، وهو الابن البكر، أعضاء حقيقيّة واتّحد بالانسان، وأعطانا ما له وأخذ ما لنا، وامتزج بنا ليعطي الحياة من جديد لطبع حالتنا المائت"[١٠١]. والتجسّد والأفخارستيّا ما هما إلاّ المبادرة الإلهيّة لإعادة الإنسان إلى حالته الأولى ومن ثمّ انطلاقه نحو التألّه. إلاّ أنّ تتميم هذه الرغبة الالهيّة تعود إلى الحريّة الانسانيّة؛ فالانسان وحده هو صاحب القرار في قبول التألّه أو عدم قبوله، والاجابة بنعم أو لا على النعمة الإلهيّة.

هو خبز الحياة المعّد لإعطاء آدم الحياة الجديدة: "فلنقدّس يا أحبّائي ولنقترب من خبز الحياة. هو ليس فطير شعب اللّه (إسرائيل) ولا حمل مصر؛ فلسنا نقترب من السلوى ولا من المنّ الذي في الصحراء، ولا من خبز التقدمة لأنّ خبز الحياة قد أبطلها. هي كلّها كانت رموزًا وأشباهًا عمّا هو مزمع أن يتحقّق. والآن، وقد بلغ ملء الزمن فقد

---

١٠٠ ديات ٢١، ١١.

١٠١ مار أفرام السريانيّ، الأناشيد ضدّ البدع ٣٢، ٩.

أخلوا السبيل لحقيقتنا. لو لم يأتِ البارّ لكان الضلال قد أكمل ودام"[١٠٢]. إنّ التعليم الإلهيّ قد أخذ بالأفخارستيّا معناه الحقّ. هو ليس مجرّد رمز، ولا حتى كالمنّ السماويّ الذي أكله الشعب في الصحراء ثمّ أكمل حياته الطبيعيّة ومات. إنّما جسد الربّ هو خبز الحياة، المعدّ لإعطاء حياة الأبد. هو اتحاد طبيعتنا باللّه بواسطة جسد المسيح الإله-الإنسان، والذي يجعلنا هيكل الروح القدس، مسكن الإله: "في خبزك احتجب الروح الذي لا يؤكل، وفي خمرك حلّت النار التي لا تُشرب. الروح في خبزك والنار في خمرك: يا للمعجزة العظيمة التي قبلتها شفاهنا"[١٠٣]. هو مخطّط تأليه للجنس البشريّ، وإكمال لعمل التجسّد. لولا التجسّد لما كان ممكنًا التقاء طبيعتين مختلفتين. ولولا الأفخارستيا لما اكتمل هذا الاتحاد :"ها هما النار والروح في حشا أمّك، ها هما النار والروح في النهر حيث اعتمدت، نار وروح في عمادنا، نار وروح في الخبز وفي الكأس"[١٠٤]. فالأفخارستيا إذًا هي تطبيق لسرّ التجسّد، وهي بالنسبة لأفرام الحقيقة ذاتها في شكل مختلف: "من يستحقّ رداءك يا سيّد، ثوب إنسانيّتك؟ من يستحقّ جسدك، ثوب ألوهيّتك؟ هما اثنان ثوباك: ثوب أنسانيّتك، والخبز (الأفخارستيا) خبز الحياة"[١٠٥]. إنّ تناولنا جسد المسيح ودمه يخلق فينا ارتباطًا عضويًّا مع المسيح الإله والإنسان. هذا الاتحاد العضويّ هو عيش سرّ التجسّد بشكل شخصيّ وماديّ، يصبو بالإنسان إلى تحقيق الغاية من خلق اللّه له، أي إشراكه في حياته الإلهيّة. ولذلك يقول أفرام: "إنّ جسده قد امتزج بأجسادنا بطريقة جديدة، ودمه جرى في عروقنا، صوته اخترق مسامعنا وبهاؤه عيوننا. كلّه قد امتزج بنا كلّنا برحمته"[١٠٦].

بتناولنا جسد المسيح ودمه، وفيهما النار والروح، نضحي أهلاً للإشتراك في الحياة الإلهيّة، نضحي أولادًا للّه بالتبنّي، وليس بالطبيعة، لأنّ الأفخارستيا لا تلغي الاختلاف الجوهريّ بين الخالق والمخلوق. إنّما بالنعمة الإلهيّة، وبالمراحم كما يدعوها أفرام، التي تجلّت لنا بالمسيح المتجسّد، وتحقّقت عضويًّا بتناولنا سرّ الأسرار الذي يحتوي على

---

١٠٢ أناشيد محفوظة في اللغة الأرمنيّة، راجع: P.O., T.30, fasc.I, pp. 226-229

١٠٣ مار أفرام السريانيّ، أناشيد في الإيمان ١٠، ٨.

١٠٤ مار أفرام السريانيّ، أناشيد في الإيمان ١٠، ١٠.

١٠٥ مار أفرام السريانيّ، أناشيد في الإيمان ١٩، ٢.

١٠٦ أناشيد في البتوليّة ٣٧، ٢.

النار (الألوهة) والروح (الروح القدس)، أصبحنا أبناء للآب وورثاء له كما وعد. بالأفخارستيا يعود آدم إلى فردوس عدن، أي إلى الحياة في شركة مع الله الثالوث "الخبز الروحيّ يرفع ويعطي الأجنحة. وهكذا به يطيرالشعب ويسكن الفردوس... فحيث هو جسد آدم الجديد هناك تجتمع النسور الجائعة (راجع متّى ٢٤:٢٨)". النسر، في فكر أفرام، هو الإله، ومريم هي الحمامة الصبيّة التي تحمل النسر عتيق الأيّام[١٠٧]. وهنا كلّ إنسان هو نسر جائع، أي إله لم يصل إلى ألوهته، كائن مدعوّ للتألّه بالنعمة ومحروم منها بالخطيئة، نسر من دون أجنحة أعطي بالأفخارستيا أجنحة ليطير ويعود إلى عدن ميراثه. ويكمل أفرام قائلاً: "بالخبز الروحيّ، كلّ واحد يضحي نسرًا يطير نحو الفردوس. كلّ من يتناول جسد الابن يطير إلى ملاقاته كما على سحب السماء (راجع بولس ١ تس ١٤، ١٧). فإن كان رمز خبزه قد سبّب انتقال إيليّا إلى السماء، فكم بالحريّ الخبز نفسه يجعل الشعب يطير نحو عدن"[١٠٨].

الأفخارستيا لا تعطي فقط النار والروح (رمزَي الألوهة) للإنسان بشكل خارجيّ وعابر، إنّما تهدف إلى تحويله إلى المسيح، آدم الجديد وشكل الإنسان الأصليّ والأسلم. لذلك يقول في أناشيده حول الأيمان: "عندما نزل المسيح إلى الأرض نحو المائتين، جعلهم خليقة جديدة مثل الملائكة، لأنّه قد مزج فيهم النار والروح حتى يصبحوا بشكل خفيّ نارًا وروحًا، الجمرة التي لم يمسّها السرافون بأصابعهم، والتي مسّتها فقط شفاه أشعيا؛ وهذا لم يتناولها، لم يأكلها، إنّما لنا أعطى الربّ هاتين العطيّتين... عظيمة هي وجديدة المعجزة التي صنعها السيّد، قد أطعم المائتين وأشربهم النار والروح"[١٠٩].

دور مريم في التألّه الإنسانيّ

إن كان تألّه الإنسان مستحيلاً من دون تجسّد الابن فهو إذًا مستحيل أيضًا من دون العذراء أمّ الله. فبمريم، الباب المغلق الذي دخل منه الإله عالمنا، أضحى بمقدور الإنسان أن يرى الله من دون أن يموت، وبواسطتها أُعيد بناء العلاقة بين الخالق ومخلوقاته بعد أن

١٠٧ راجع أناشيد مريم ٧، ٣.
١٠٨ في الخبز الفطير ٩، ١٧ وتابع.
١٠٩ أناشيد حول الإيمان ٩، ١٠.

قطعها الإنسان بنفسه. وثمرة الحياة التي أراد آدم اغتصابها غصبًا بواسطة ثمرة المعرفة، قد عادت مريم وأعطته إيّاها بقبولها إعطاء الحياة لمن صوّرها من التراب. بمريم قد وضحت الأسرار المخفيّة في الكتب المقدّسة، إذ منها خرج الابن بالجسد ليعطينا الحياة كما خرج منذ الأزل من اللّه الآب وأعطانا الوجود. إنّ مريم قد أضحت الوسيلة التي بها ملأ اللّه الهوّة التي بين جوهره وجوهر آدم حبًّا بتجسّد الابن.

إن كان التألّه قد صار ممكنًا بتجسّد الابن من مريم، فلا شكّ في أنّها هي التي كانت أوّل من تألّه، "إنسانيّتها، جسدها، أصبحا إنسانيّة المسيح وجسده. إنّ الأمّ وابنها شريكان بالدم الواحد وبالجسد الواحد. إنّ مريم صارت الأولى في تحقيق الغاية الأخيرة التي من أجلها خُلق الإنسان: "حدود المخلوق وغير المخلوق"[١١٠]، وفيها "قد تمجّد الثالوث"[١١١]. إذ أعطت الحياة للكلمة، مثل حوّاء-الحياة، قد ولدته للجميع، وبالتالي في كلّ نفس"[١١٢]. إنّ مسيرة حياتها التي يرويها لنا التقليد، والتي كان أفرام ملمًّا بها من دون شك، تروي لنا قصّة تحضير اللّه لها لتضحي إناء يحلّ فيه الملح السماويّ[١١٣]، ومسكنًا يحلّ فيه الروح القدس، وخباء تحلّ عليه قوّة العليّ.

كانت مريم طفلة حين وضعها والداها يواكيم وحنّة في الهيكل، فنمت على سماع كلمة الربّ بواسطة تأمّل الكتب وإطلاق التمجيد وإعلان المديح. وهذا التحضير الإنسانيّ واكبته النعمة الإلهيّة، فحلّت قوّة العليّ عليها، وبأنواره امتلأت من الحضور الإلهيّ، "فتمجّد الثالوث فيها" كما يقول القدّيس كيريللوس الإسكندريّ. هي استنارة روحيّة وعقليّة قبلتها مريم من الملاك وأطاعت بالإيمان. حينها قالت نعم، وحلّ فيها اللّه الكلمة، فاتّحدت بالألوهة إذ حلّ في جسدها ابن اللّه المتجسّد، وصار جسمها هيكلاً للروح القدس وخباء حقيقيًّا حلّ فيه اللّه. إنّ قبول مريم الروحيّ والحرّ لإرادة الربّ قد جسّد الكلمة في عقلها فاستنار، ثمّ في روحها فتقدّست؛ وعندها تمّ التجسّد في جسدها. وهكذا، كجواب على "فليكن" التي قالها اللّه وهو يخلق، كان قول مريم "فليكن لي بحسب قولك". فبواسطة مريم إذًا، كلّ

---

١١٠ غريغوريوس بالاماس: PG 151, 472 B

١١١ كيريللوس الاسكندريّ PG 78, 992

١١٢ راجع: EVDOKIMOV P., La novità dello Spirito, Milano 1979, pp.147-148

١١٣ أناشيد مريم ٥، ٥ يشير إلى ٢مل ٢، ٢٠.

الإنسانيّة تلد المسيح. وبالتالي تضحي مريم حوّاء-الجديدة، وتصون الإنسانيّة بحنان الأم، كما كانت تصون المسيح الطفل. وبهذا نفهم ما تكلّم عنه معظم الآباء السريان، وأوّلهم أفرام، عن الحبل بالسيّد من خلال السمع (Conceptio per aurem). فبمبادرة إلهيّة يتجلّى اللّه في العقل البشريّ من خلال السمع أي الإصغاء للإلهام الإلهيّ، وهو إصغاء روحيّ وعقليّ. وحين يُقبَل هذا الوحي، يتمّ اتحاد كليّة الإنسان بالإرادة والجمال الإلهيين، ويضحي الجسد والروح معًا مسكنًا للروح القدس. إنّ عمل مريم هذا هو تصحيح لعمل حوّاء الخاطئ. فبالطريقة نفسها سمعت حوّاء من خلال "أذنها" صوت الشرّير وقبلته، كما سمعت قبلاً صوت الربّ ينهاها عن أكل الثمرة لئلاّ تموت. ولو سمعت حوّاء وقبلت صوت الربّ لكانت حيت وأكلت ثمرة المعرفة وثمرة الحياة بتجسّد المسيح، ولكانت مثل مريم قبلت الحياة في نفسها أوّلاً ثمّ في جسدها وحيت. إنّما حوّاء قد اختارت أن تصغي للحيّة-الشرّير. وبدل أن تصغي للحياة وتقبلها في نفسها وجسدها فلا تموت، أصغت لصوت الحيّة وقبلت مشورتها في نفسها وفكرها، فأدركت أوّلاً عريها إذ نُزع عنها رداء المجد أي ثوب الألوهة عن نفسها، ثمّ في جسدها إذ أدركت أنّها "ستموت موتًا". إنّ مريم قد قبلت ربّ الحياة في نفسها وجسدها، واتّحدت به بكليّتها، وبلغت التألّه.

بسقطة حوّاء انتزع رداء المجد عن الإنسان، فأضحى مائتًا لأنّه ابن من حملت موتًا. وبمريم عاد الإنسان وارتدى هذا الثوب، ثوب الروح القدس، إذ اضحى ابن من سمعت كلمة الحياة وقبلتها في نفسها وجسدها فولدت حياة لبني الإنسان. فكما أنّ الإنسانيّة جمعاء قد قبلت الموت بواسطة حوّاء، فأضحت هذه الأخيرة ممثّلة كلّ الجنس البشريّ، كذلك صارت مريم أيضًا ممثّلة جديدة للبشريّة. فبمريم عاد الإنسان إلى طاعة الآب، يصغي للربّ، ويجيب، ويتّحد به فيتألّه، أو على الأقلّ قد فُتح له من جديد الباب الذي أوصدته حوّاء.

إنّ خطيئة حوّاء لم تطل شخص مريم، ولم ترث الابنة الموت من والدتها؛ فمريم هي باكورة الخليقة الجديدة. حين شاء الخالق أن يفتدي جبلته ويجعلها خليقة جديدة، جعل مريم الأرض الجديدة بدل الأرض الأولى النقيّة التي أُخذ منها آدم، وصارت تلك الأرض رمزًا جديدًا لمريم. إنّ صورة الأرض الأولى التي رآها اللّه كسائر الخلائق "حسنة" مقدّسة،

وأخرج منها الإنسان صورته ومثاله، قد تحقّقت بمريم الأرض الجديدة التي أعطت الكون المسيح صورة اللّه وآدم الجديد، وأعطتنا كلّنا بثمرتها الحياة الجديدة لنضحي بابنها أبناء للآب. وتتخطّى مريم هذه الصورة لتأخذ أيضًا مع أفرام صورة أعمق وأعظم، فتضحي جنّة عدن الجديدة، التي لم يكن فيها شرّ بل كانت نقيّة كلّها لم تطلها خطيئة آدم، فصارت الأرض الجديدة الحسنة التي أعطت الحياة لكلّ إنسان وأهّلته للاشتراك بنعمة الألوهة. بهذا المعنى يقول أفرام "وحدك يا يسوع مع أمّك أجمل من أيّ شيء آخر! إذ لا توجد أيّ لطخة فيك ولا توجد أي وسمة في أمّك"[١١٤]. فمريم قد صوّرها الابن في فكره وخلقها لتكون أرض عدن الجديدة التي ستنمو فيها شجرة الحياة. لذلك كانت بريئة من خطيئة حوّاء أمّها بنعمة من اللّه، ونالت عمادها بحلول الروح عليها وبنعمة السيّد التي ظلّلتها، فصارت مسكنًا حقًّا للّه وهيكلاً حلّ فيه الكلمة المتجسّد. "أمّان اثنتان قد ظهرتا والدتين لابنين عجيبين: واحدة ولدت آدم وقد امتلأت لعنات، ومريم التي ولدت اللّه وامتلأت البرايا من بركاته"[١١٥]. وفي النشيد نفسه يشبّه أفرام مريم بجنّة عدن الأرض المباركة الأولى التي أعطت الحياة لآدم. هكذا مريم، أرض عدن الجديدة، أُعدّت لتعطي من جديد الحياة للخليقة التي تجدّدت بالمسيح. هو إذًا تجديد للخليقة بواسطة مريم، التي احتفظت بالبتوليّة مصانة مثل أرض عدن المباركة، الأرض التي من دون أن تُحرث قد نمت في وسطها شجرة الحياة التي أحيت الأنفس بالمراحم.

إنّ فكر أفرام المريميّ لهو أبعد من أن يكون خواطر روحيّة وعواطف عابرة؛ فهو قد أدرك سرّ الأمّ على ضوء سر الابن، ومن خلال عظمة الابن أبصر عظمة الأمّ. إنّ حبّ أفرام الكبير لمريم هو حبّ بنويّ حقّ. فمريم هي الأمّ التي أعطتنا الحياة الحقّة بواسطة إله الحياة المشرق منها، وولدتنا ولادة جديدة بالنعمة، وأورثتنا الحياة بابنها. بواسطة مريم قد أضحى سرّ فدائنا ممكنًا، وأضحى تألّهنا مستطاعًا إذ بها أدركنا طريق التألّه الحقّ، ودخلنا عهدًا جديدًا قطعه اللّه لنا بواسطتها وحقّقه بتجسّد ابنه منها وموته على الصليب. حوّاء سمعت كلمة الموت فقبلتها وحملتها وأعطتها للعالم، ومريم جاءت تسمع كلمة الحياة،

---

١١٤ أناشيد نصيبين ٢٧، ٨.

١١٥ أناشيد مريم ١٨، ٣٠.

تطيع وتحملها وتهبها خلاصًا للكون أجمع. لذلك نحن أبناء مريم، إذ بواسطتها قد ورثنا الحياة صرنا أبناء للآب بالنعمة. في حياة مريم نرى مراحل درب التألّه كما رآها أفرام: فهي ربيبة الهيكل قد نمت على سماع كلام الربّ في الكتب، وبنعمة منه فهمت العهد الذي أقامه مع شعبه. وحين أعلن لها السيّد عبر الملاك ما هو مزمع أن يصنع منها قبلت هذه النعمة الإلهيّة وأطاعت صوت الربّ، فانطلق لسانها بنشيد مجد رائع، بتعظيم الربّ بابتهاج الروح: هو خروج مريم من حالة صمت الكيان الانسانيّ للسير نحو الاكتمال بالألوهة، فأدركت عظمة طوباها لأنّها أدركت ما كان على حوّاء أن تدركه. أطاعت أمر الربّ وسارت بحسب مخطّطه التأليهيّ لها ولنسلها. ثمّ عادت مريم ودخلت في صمت الحياة، صمت المتأمّل بالجمال الإلهيّ والمدهوش به؛ وعندها، راحت مريم تحفظ أعمال الربّ وتتأمّل بمحبّته في قلبها، ترافق مشروع حبّه العظيم في افتداء الإنسان وتأليهه، وتتأمّل فيه، "فأدركت الألوهة في جسدها هذا"، وأضحت المثال الأوّل لكلّ إنسان ساعٍ نحو إتمام مشيئة الربّ في جسده في أن يضحي بالنعمة والارادة ما هو اللّه بالطبيعة.

العقائد المريميّة
في فكر القدّيس أفرام السريانيّ

إنّ السؤال الأوّل الذي يجب طرحه في هذا الإطار هو حول إمكانيّة التكلّم على عقائد مريميّة بالمطلق في فكر أب من آباء الكنيسة عاش في القرن الرابع، في زمن لم يكن قد تحدّد فيه بعد، بشكل واضح ورسمّي من قبل السلطة التعليميّة في الكنيسة، المفاهيمُ الإيمانيّة، ليس فقط حول سرّ العذراء مريم، إنّما أيضًا في ما يتعلّق بالعقائد الأساسيّة في الايمان المسيحيّ: قضيّة الثالوث الأقدس، وألوهة أقانيمه الثلاثة، وخاصّة ألوهة المسيح وما ينتج عنها من قضايا ثنائيّة الطبيعة والمشيئة في وحدة أقنوم الابن. فبأيّ معنى نتكلّم على عقائد مريميّة بالمطلق، وفي فكر القدّيس أفرام السريانيّ بنوع خاصّ؟ وإلى أيّ مدى يحقّ لنا أن نفصل سرّ مريم عن سرّي الثالوث والتجسّد، ونجازف بجعل مريم سرًّا بحدّ ذاته، منفصلاً عن هذين السرّين، أو حتى محاذيًا لهما؟

خطر آخر يهدّدنا في هذا المجال، وهو أن نبحث في عقائد وأفكار لاهوتيّة تحدّدت في القرون الأولى، مستندين على اختبار الكنيسة الطويل ووديعة الايمان التي نملكها اليوم، والتي ورثناها عن هؤلاء الآباء بالتحديد، وطوّرتها السلطة الكنسيّة على مرّ العصور، بهدي الروح القدس، على ضوء الكتاب المقدّس، وتعاليم الآباء وسلطة الكنيسة التعليميّة. فالأمور اللاهوتيّة والايمانيّة التي نحكم نحن اليوم في صحتّها أو عدم صحتّها، بسهولة نسبيّة، لم تكن واضحة بالنسبة للمسيحيين، والآباء ضمنًا، الذين عاشوا في الأجيال الأولى من حياة الكنيسة. إنّ إيمان كنيسة اليوم هو مرآة ثلاثيّة الوجوه (كتاب مقدّس، تعليم الآباء والسلطة الكنسيّة التعليميّة) تعكس لنا صورة، غير كاملة، لسرّ اللّه وكنيسته، وهو ميراث تركه لنا، كوديعة إيمان، آباء الكنيسة الأُوَل الذين تسلّموه بدورهم، إن بوضع اليد أو بالتبشير، من أسلافهم التلاميذ والرسل الذين عاينوا المسيح، وبما عاينوا شهدوا. وديعة الايمان هذه، التي تحتوي كلمة الحقّ، كما عاينها وسمعها الرسل ونقلوها، قد سارت دربًا طويلة، وصعبة في أغلب الأحيان، كيما تتبلور وتتّضح وتضحي عقيدة تحتوي الايمان الصحيح، ومرجعيّة الايمان بالنسبة للكنيسة.

يمكننا أن نستشفّ من قراءة كتاب أعمال الرسل هذا الاختبار الحياتيّ المميّز الذي عاشته الجماعة المسيحيّة الأولى بعد صعود الربّ إلى السماء إذ قد حفظوا التعاليم كما سمعوها من المعلّم. أمّا الذين لم يحيوا هذا الاختبار الشخصيّ، فقد سمعوا بشارة الرسل، وأضحى هؤلاء السلطة الكنسيّة المباشرة بالنسبة للجماعة الأولى. وهكذا بقي الرسل مرجعيّة الإيمان والعقيدة، ينقلون التعليم الصحيح إلى الشعوب التي بشّروها. وهذا الاختبار الحقيقيّ الذي أضحى طريقة صلاة وحياة، انتقل إلى الأجيال اللاحقة بواسطة تلاميذ الرسل الأوّلين، أي الآباء الرسوليين الذين تسلّموا هذه الوديعة من الرسل، ونقلوها بدورهم إلى الأجيال اللاحقة.

وفي غمرة الاضطهادات التي كابدتها الكنيسة الأولى، حافظ المسيحيّون على وديعة الإيمان هذه، مع تغيير في طريقة عيشها فرضته الحضارة التي وجدوا فيها، فلم تعد الشهادة للربّ تعني التبشير باسمه فقط، إنّما أخذت بعدًا آخر: شهادة الدم والموت في سبيل المسيح والحقيقة التي تسلّموها. هذا التبديل في طريقة العيش لم يبدّل وديعة الإيمان، بل زادها رسوخًا. إنّما هذه الشهادة بالدم لم تلغ الشهادة للمسيح بواسطة التبشير، بل رافقتها، وزادتها قوّة ومصداقيّة. فإزاء الاتهامات التي كان يُرشق بها المسيحيّون الأول، برز الآباء المدافعون عن الإيمان يعلنون خطأ الاتهامات الموجّهة إليهم، ويظهرون حقيقة ألوهة المسيح، واضعين على المنارة سراج الإيمان الذي تسلّموه من الرسل؛ وأولئك، بدورهم، أخذوه عن المسيح. وهكذا أضحى هؤلاء الآباء المرجعيّة الجديدة في الكنيسة، وحافظي وديعة الإيمان. وأبرز مثل على ذلك مار أغناطيوس الإنطاكيّ ورسائله التعليميّة والعقائديّة إلى كنائس آسيا وروما.

ومع بدايات القرن الرابع، زمن ميلاد القدّيس أفرام، أعطى الملك قسطنطين للمسيحيين حقّ ممارسة ديانتهم، وأمر بكفّ الاضطهادات ضدّهم في أرجاء الأمبراطوريّة التي وحّدها تحت سيطرته. ومع غياب الاضطهادات وشهادة الدم، بدأت حرارة الإيمان تهمد، وقد جعل تدخّل الأمبراطور الدائم في شؤون الكنيسة المرجعيّة الرسوليّة تفقد فاعليّتها، فبدأ نوع جديد من الشهادة، بهدي من الروح القدس، يظهر في الشرق: الحياة الرهبانيّة.

وبدأ المسيحيّون بطرح الأسئلة حول إيمانهم. وبسبب المسافة الزمنيّة التي أضحت تفصل بينهم وبين المعلّم والجماعة الأولى، راحوا يتساءلون حول سرّ المسيح، ويدرسون حقيقته. ولهذا السبب لم يكن من المستغرب أن تظهر البدع والهرطقات داخل الكنيسة؛ فالكلّ كان يحاول تفسير وديعة الإيمان ومعطيات الوحي على ضوء العقل وبحسب الثقافة المتأثّر بها، إنّما الكلمة الفصل كانت للكنيسة، فراحت تعلن من جديد محتوى الإيمان الذي تسلّمته من جماعة الرسل خلفاء المسيح. إنّ الحقيقة، كلّ الحقيقة، قد احتويت في وديعة الإيمان هذه. إنّما هذه الحقيقة لم تتّضح دفعة واحدة للكنيسة، بل كانت تتبلور عبر الأجيال والثقافات والأمكنة، بعمل وهدي من الروح القدس. وفي القرن الرابع تحتّم على الكنيسة استعمال تعابير ليست موجودة في الكتاب المقدّس كيما تشرح حقيقة المسيح. قبل هذا كان شرح الإيمان يتمّ دائمًا بواسطة مفردات وتعابير مأخوذة، إمّا من الكتاب المقدّس أو من قوانين الإيمان القديمة (مثل قانون الرسل، والقانون المعروف بقانون القدّيس أثناسيوس).

وبمواجهة الثقافة اليونانيّة، ومع بروز الحاجة إلى إيجاد تعابير مناسبة لشرح العقيدة، أضحى لزامًا على الكنيسة استعمال التعابير الفلسفيّة اليونانيّة لإيصال الحقيقة إلى اليونانيين أو لتفسير حقيقة معيّنة للكنيسة نفسها. لكنّ هذا التحديد العقائديّ لم يكن من صلاحيّة مطلق معمّد، وإنّما من صلاحيّة السلطة الكنسيّة التي كانت تحكم في مدى صحّة الأفكار المتداولة: السلطة الكنسيّة المحليّة بشخص الأسقف، أو من خلال مجمع مسكونيّ يضمّ ممثّلين عن الكنيسة الجامعة.

أوّل مجمع مسكونيّ كان مجمع نيقيا الأوّل الذي انعقد عام ٣٢٥، وكان للقدّيس أفرام يومئذٍ من العمر حوالى الاثنتين والعشرين سنة، شمّاسًا لأسقف مدينته. ويشكّل هذا المجمع نقطة انطلاق أساسيّة في دراستنا للاّهوت المريميّ والعقائد المريميّة في فكر القدّيس أفرام. نجد تأثيرًا قويًّا وأصداء مدويّة لتعليم آباء المجمع النيقاويّ الأوّل في أعماله كلّها، ولسنا نقول إنّ لاهوته كان وليد المجمع النيقاويّ، إنّما المجمع النيقاويّ الذي حصل كان نتيجة حتميّة للجدل اللاهوتيّ الذي عمّ كنيسة الشرق في القرن الرابع، لتحديد التعليم الصحيح. وأفكار نيقيا لم تولد سنة ٣٢٥، أي عند انعقاد المجمع، إنّما استقى الآباء

تعليمهم من المدارس اللاهوتيّة الوفيّة للتعليم الرسوليّ المقدّس. ولا بدّ أنّ مدرسة نُصيبين، أيّام القدّيس أفرام، قد أيقنت ضلال آريوس ودافعت عن وديعة الايمان، بلسان أساقفتها، وأشهرهم القدّيس يعقوب معلّم أفرام، وبلسان لاهوتييها وألمعهم قدّيسنا. لذلك، قلت إنّ لاهوت أفرام لم يولد فجأة إثر مجمع نيقيا الأوّل، وإنْ كان هذا المجمع وضع ولا شكّ النقاط على الحروف وحدّد الإيمان القويم، فاكتسب تعليمُ أفرام ولاهوته دعمَ السلطة الكنسيّة الجامعة، وليس فقط دعم كنيسته المحليّة بشخص أسقفها.

إنّ جديد مجمع نيقيا أنّه خرج عن التعابير المألوفة للكتاب المقدّس، واستعمل تعابير فلسفيّة يونانيّة المصدر لتفسير حقيقة سرّ المسيح، وأبرز التعابير التي استعملها كانت "Omoousious" أي مساوٍ في الجوهر. وبدأت وديعة الإيمان عندها تتّضح أكثر فأكثر باحتكاكها بالثقافات المعاصرة، وبعمل من الروح القدس، ليتّضح للكنيسة شيئًا فشيئًا سرّ اللّه الثالوث، وحقيقة شخص المعلّم الإلهيّ. وباستناده إلى الكتاب المقدّس وتعليم الآباء السابقين، أصدر هذا المجمع عقيدة ملزمة للكنيسة الجامعة، محرّمًا بدعة آريوس ومعلنًا ألوهيّة المسيح الحقّة. وباستناده إلى هذين الركنين وإصداره العقيدة، أكمل مجمع نيقيا المثلّث الذي باتت تستند الكنيسة إليه فيما بعد لإعلان حقيقة الإيمان: الكتاب المقدّس، تعليم الآباء وسلطة الكنيسة التعليميّة.

لقد كان لهذه الأركان الثلاثة دور كبير في أعمال القدّيس أفرام السريانيّ ولاهوته:

علمُه أنّ الكتاب المقدّس يحتوي على الحقيقة جعله يرى العهدين كمرآة تعكس صورة اللّه. لذلك أعمل فيها البحث والتفسير، فترك مؤلّفات قيّمة تحوي طيّاتها الإيمان القويم، بأسلوب سهل يطول البسطاء أوّلاً ليثبّتهم في إيمانهم، ثمّ خلال الرموز والتشابيه العميقة واللاهوت الرمزيّ جعل غذاءً لعقل المثقّفين وإيمانهم، ليثبّتهم ضدّ البدع الكثيرة. إنّ طريقة القدّيس أفرام في تفسير الكتاب المقدّس تختلف أشدّ الاختلاف عن طرق سائر الآباء والشرّاح، ولا سيّما أوريجانوس، لأنّ تفسيره كان ذا هدف ليتورجيّ راعويّ، موّجه بالدرجة الأولى إلى مؤمني كنيسته، فشرح أسفار الكتاب المقدّس ببساطة وعمق في آن معًا، وضمن الصور البسيطة، التعليمَ القويم.

ثانيًا إنّ تقديره لقيمة التقليد الرسوليّ ودوره في حفظ وديعة الايمان وتناقلها من جيل إلى جيل جعله يعمل دومًا ، وهو من كبار مؤسّسي مدرستي نُصيبين والرُها اللاهوتيّتين، تحت إشراف أساقفته، بوفاء وطاعة للتعليم المقدّس الذي وصل إليهم، كميراث حقيقة، وبواسطة وضع اليد، من الرسل الأوّلين. بهذا المعنى يقول القدّيس أفرام: "السماويّون يفرحون إذ يرون القطيع تقوده الرعيان نحو المراعي، وحلقات الرعاة يبتهجون أيضًا وهم يشاهدون صفوف (القطيع) تتوالى. لقد أخذه اللّه (متكلّمًا عن يعقوب أسقف مدينته نصيبين) ووضعه مثل العقل الذي يهدي جسد الكنيسة العظيم، والأعضاء محيطة به كيما تحصل منه على الحياة والتعليم والخبز الجديد؛ المجد لمن جعل منه أهراء".[١١٦]

من خلال مدحه لأسقفه، نجد القدّيس أفرام يعدّد صفات أسقفه ومزاياه، ما يجعلنا نستشفّ صفات الأسقف الحكيم بالنسبة للقدّيس، ودوره في الكنيسة: "أيّها الطوباويّ (لا بدّ أنّها كانت الطريقة لمناداة الأسقف أيّام القدّيس أفرام) ها هو قطيعك، فقم وزره أيّها القدّيس. يعقوبُ قد نظم القطعان، وهكذا أنت أيضًا انظم القطعان الناطقة. احفظ النسّاك أطهارًا، والعذارى عفيفات، وأسّس الكهنة بالبهاء والمسؤولين بالاتّضاع والشعب بالعدالة. مبارك من قد ملأك فطنة"[١١٧]. لهذا السبب يضحي الأسقف مسيحًا آخر، خطّيب البيعة ورأسها، لذلك يقول لأسقفه: "قطيعك هو عروسك، فعلّم أبناءها بالحقّ وليكونوا لك أبناء روحيين، أبناء الموعد، وليكونوا ورثاء جنّة عدن"[١١٨]. ويكمل في القصيدة نفسها: "اصغ إلى الرسول (بولس) يقول للكنيسة التي خطبها "أغار عليكم غيرة من عند اللّه" (٢قور١١،٢). ليست هي غيرة جسديّة إنّما روحيّة، وأنت أيضًا ليكن عندك الغيرة نفسها، لتعلم من هي وكيف هي، وبواسطتك تحبّ وتسلّم نفسها ليسوع عريسها الحقيقيّ"[١١٩]. وبهذا يأخذ الأسقف، حامل التعليم الصحيح وحافظ وديعة الإيمان، دور المزارع الصالح الذي يزرع في النفوس الايمان والعقيدة المستقيمة: "إنّ المزارع الذي ارتدّ عن الايمان الصحيح قد بدأ ينثر ناحية اليسار بذار الأشواك، والمزارع الصالح (متكلّمًا أيضًا عن أسقفه) المملوء

١١٦ أناشيد نصيبين ١٧، ٣.
١١٧ أناسيد نصيبين ١٩، ٣.
١١٨ أناشيد نصيبين ١٩، ١.
١١٩ أناشيد نصيبين ١٩، ١٣.

غيرة قد قطع اليسار وأهلكه وملأ يمينه وزرع في القلوب كلمات الحياة"[١٢٠]. وبهذا نفهم تعلّق القدّيس أفرام بالركن الثاني من أركان الإيمان: التقليد الرسوليّ، المستمّد من المسيح، نبع التعليم القويم إلى الرسل والجماعة الأولى، والمتناقل إلى أقاصي الأرض وحتى نهاية الأزمنة بواسطة الخلافة الأسقفيّة بوضع اليد.

قد يكون من الصعب التكلّم على الركيزة الثالثة للإيمان: السلطة الكنسيّة التعليميّة. فالمجمع المسكونيّ الأوّل قد حصل أيّام القدّيس أفرام. ورغم هذا نجده يجدّ دائمًا في نشر التعليم الصحيح وإيمان الكنيسة ضدّ البدع المتعدّدة، ولا سيّما آريوس، "المزارع الشرّير الذي بذر الأشواك". يروي التقليد أنّ القدّيس أفرام قد شارك في مجمع نيقيا الأوّل إذ كان شمّاسًا لأسقفه، إنّما لا وجود لأيّ إثبات تاريخيّ مكتوب عن هذا الأمر. وليس المهمّ إن كان قد شارك أم لا، فعمله وجهده على نشر تعليم هذا المجمع من خلال كتاباته وقصائده وعظاته العديدة، تحت إشراف أسقفه الذي كان من دون شكّ أحد آباء هذا المجمع[١٢١]، يظهران لنا أنّ عقيدة نيقيا قد وصلته، وأضحت محوريّة في فكره، وعمل على نشرها خاصّة للبسطاء أبناء كنيسته، بطريقة أشعار ليتورجيّة.

ويبقى أن نقول إنّ التزام أفرام بالتعليم الكنسيّ الصحيح كان لنشر العقيدة المستقيمة، خاصّة في ما يتعلّق بسرّي الثالوث الأقدس والتجسّد الإلهيّ. فإن كان هذا صحيحًا، فكيف نفسّر إذًا التشديد على شخص مريم ودورها، وعلى ما سيصبح فيما بعد عقائد مريميّة في جميع كتاباته؟ وكيف يمكننا أن نربط غزارة اللاهوت المريميّ بسرّ الابن المتجسّد؟

لا شكّ في أنّ القرن الرابع كان بداية حياة الكنيسة العلنيّة والحرّة. فبعد قرون من الاضطهادات الدامية والعبادة السريّة، خرج المسيحيّون إلى العلن مع الأمبراطور قسطنطين. حريّة العبادة هذه، وتحوّل المسيحيّة من شيعة محظورة ومضطهدة تمارس عبادتها في الخفاء إلى الديانة الأكثر حظوة في البلاط الأمبراطوريّ، حتّم احتكاك الفكر الكنسيّ بالثقافات المعاصرة التي كانت البشارة تطولها. عندها بدأ السؤال يُطرح حول

١٢٠ أناشيد نصيبين ١٨، ٩.

١٢١ حول مشاركة أساقفة ما بين النهرين في مجمع نيقيا الأوّل راجع: C. J. HEFELE, A history of the Christian Councils, from the original documents, I, Edinburgh 1894, p.296.

شخصيّة المسيح، فكان أخذ وردّ، وجدل طويل، وانقسام في الآراء بين المدارس والتيّارات اللاهوتيّة، إلى أن أعلن التعليم الصحيح بواسطة المجامع المسكونيّة على ضوء الكتاب المقدّس ووديعة الإيمان ذات المصدر الرسوليّ المقدّس المستمدّ من المسيح، والمتناقل عبر الرسل إلى الأساقفة في الكنائس المحليّة.

هذا التحديد العقائديّ كان جوابًا على حاجة الكنيسة إلى فهم حقيقة المسيح اللاهوتيّة وإعلانها. إلاّ أنّ تحديد التعليم بشكل عقائديّ لم يكن كافيًا، فقلّة قليلة مثقّفة كانت قادرة على فهم مضمون هذه العقيدة، وتمييز الحقّ من الضلال في أقوال المبشّرين. لذلك برزت الحاجة، ليس فقط إلى إعلان الحقائق العقائديّة، إنّما إلى نشرها بين أبناء الكنيسة. ولا يخطرَنّ على بالنا أنّ نشر عقيدة في القرن الرابع كان سهلاً كمثل نشرها اليوم خلال وسائل الإعلام والاتّصال. ففي ذلك الوقت كان نشر عقيدة لاهوتيّة يتمّ بالوعظ والتبشير، فتلقى مهمّة نشر التعليم الصحيح على عاتق الأساقفة، كلّ في كنيسته المحليّة. وهذا ما نستشفّه من أقوال القدّيس أفرام في مدح أساقفة في أناشيد نصيبين. ولا بدّ أنّ القدّيس أفرام كان من الذين أوكل اليهم الأسقف نشر هذا التعليم، فكان أن ابتكر طريقة شعبيّة، ناظمًا للعموم أناشيد وألحانًا غنائيّة، علّمها لجوق من الصبايا والعذارى والأرامل، وفيها التعليم الصحيح والحقائق الثالوثيّة والمسيحانيّة بحسب تعليم مجمع نيقيا الأوّل. كما أنّه نظم تفاسير للكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، وعظات متعدّدة، تحتوي كلّها هذا الحقيقة.

ولكن كيف يمكن أن تكون العقيدة مقنعة للشعب البسيط، حتى ولو نشرت بواسطة التعليم الكنسيّ، إن لم يكن هناك من قدوة ومثال حيّ ومحبوب يُحتذى به؟ من هنا كانت الحاجة إلى مثال معبّر وقدوة في العلاقة باللّه. ومن أجدر من العذراء مريم، أمّ المسيح الإله والإنسان، بأن يكون هو المثال؟ هذا الانتقاء لمريم كمثال وقدوة لم يكن مرتجلاً صدفةً بالنسبة للقدّيس أفرام، وذلك لسببين من الأهميّة بغاية:

- الأوّل هو عدم إمكانيّة فصل سرّ مريم عن سرّ المسيح؛ فهما مرتبطان بشكل عميق، حتى أنّ أقلّ تحريف أو إضرار بالواحد يَضرب أُسس الآخر. فالتكلّم عن بتوليّة مريم الدائمة

لم يكن فقط لإعلاء شأن مريم، إنّما للتأكيد أيضًا على ألوهة المسيح وعلى انتفاء كلّ تدخّل إنسانيّ، ما عدا إرادة مريم، في سرّ تجسّده.

والتشديد على كون مريم هي أمّ اللّه، رغم كونها عقيدة لم تتحدّد حتى مجمع أفسس عام ٤٣١، أي بعد ثمانية وخمسين عامًا على موت القدّيس أفرام، يهدف إلى التأكيد على وحدة الأقنوم رغم اختلاف الطبيعتين في شخص المسيح. كون مريم هي أمّ اللّه يعني أنّ أقنوم المسيح هو واحد، رغم ازدواجيّة الطبائع. ومريم، بكونها أمّ المسيح الإله والإنسان، تضحي ضمانة ملموسة لحقيقة وحدة أقنوم المسيح بطبيعتيه في بساطة شخص مريم ابنة أرضنا.

ولهذا، فالتحوير في سرّ مريم يؤدّي حتمًا إلى تحوير سرّ المسيح، وبالتالي الوقوع في خطر الضلال والابتعاد عن التعليم الصحيح.

- والسبب الثاني لاختيار القدّيس أفرام لمريم كمثال للكنيسة في العلاقة باللّه، هو، ولا شكّ، إكرام أبناء كنيسة نُصَيبين والرُها، كسائر الكنائس الأخرى، لشخص مريم، ابنة الطبيعة البشريّة، التي أطاعت وأضحت جزءًا أساسيًّا من مخطّط اللّه الخلاصيّ، وأسهمت في خلاص البشريّة وإرجاعها إلى البيت الأبويّ.

بهذا المعنى نفهم معنى وجود عقيدة مريم، ونستنتج أنّها حقيقة رسميّة معلنة من السلطة الكنسيّة، تلزم أبناء الكنيسة بالإيمان بها، لا لأنّ عمل الخلاص هو عمل قامت به مريم، إنّما لأنّ شخص مريم ودورها لا ينفصلان عن سرّ المسيح، ولا وجود لسرّ مريم خارجًا عن سرّ المسيح، به هي كانت كلّ شيء، ومن دونه ما كانت شيئًا ممّا هي عليه. هي به فقط أمّ اللّه، جنّة عدن الجديدة، باب الهيكل المقدّس وحجابه. وهذا الأمر ينطبق على النطاق العقائديّ أيضًا: العقائد المريميّة وُجدت لأنّها مرتبطة بالعقائد المسيحانيّة، فلا وجود لمريم أمّ اللّه خارجًا عن سرّ الكلمة المتجسّد، ولا ضرورة لدوام بتوليّة مريم لولا دخولُها مخطّط اللّه التأليهيّ، بملء إرادتها، لتسهمَ، كممثّلة لانسانيّتنا وناطقة باسمها، في افتداء البشريّة بالمسيح.

فما هي أبرز العقائد التي تكلّم عليها القدّيس أفرام؟

إنّ هذه العقيدة، كغيرها من العقائد المريميّة، كانت حتميّة، ليس فقط لفهم سرّ مريم، إنّما لارتباطها بسرّ المسيح بدرجة أولى. وإعلان الكنيسة لمريم كبتول دائمة، قبل الولادة وأثناءها وما بعدها؛ والذي تمّ في مجمع القسطنطينيّة الأوّل عام ٥٥٣، لم يكن إلاّ خلاصة لتعليم آباء القرون السابقة، وتتويجًا لجهادهم في إعلان حقيقة المسيح في وجه الهرطقات. والمجمع اللاتراني الذي انعقد عام ٦٤٩ أعلن مجدّدًا: "إنْ كان أحد لا يعترف، بحسب تعليم الآباء القدّيسين، أنّ مريم القدّيسة الدائمة البتوليّة والطاهرة هي أمّ الله حقًّا من حيث أنّها في ملء الزمن قد حبلت بواسطة الروح القدس من دون زرع، وولدت من دون فساد، وبقيت بتوليّتها مصانة حتى بعد الولادة، (ولدت) الله الكلمة نفسه، المولود من الآب قبل كلّ الدهور، فليكن محرومًا"[١٢٢].

"بحسب تعليم الآباء" يقول المجمع اللاتراني، ولكي نفهم أساسات ولادة هذه العقيدة وأسبابها ، علينا أن نعود بالزمن إلى منازعات القرون السابقة للمجمع، خاصّة مع البدع والهرطقات التي أنكرت إمّا ألوهة المسيح أو حقيقة تجسّده كإنسان كامل. فبعض اليهود المتنصرين كانوا ينكرون ألوهة المسيح وتجسّده من عذراء، معتبرينه فقط نبيًّا آخر. والوثنيّون ذوو الثقافة اليونانيّة، أنكروا إمكانيّة أن يولد إله حقيقيّ في عالم المادّة. والبدع الغنوصيّة والدوسيتيّون كانوا ينكرون حقيقة إنسانيّة المسيح، معتبرين جسده قناعًا ظاهرًا يخفي حقيقة ألوهته. وبالتالي، فولادته من العذراء مريم لم يكن حقيقيًّا، إنّما مرّ بها بشكل خارجيّ لا شخصيّ، كما تمرّ المياه في القناة، من دون أن يأخذ منها شيئًا، فكانت مريم وسيلة عبور، لا أمًّا بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. وإزاء هذه الهرطقات انبرى الآباء يدافعون عن حقيقة المسيح، محافظين على وديعة الايمان التي تسلّموها من الرسل الأوّلين. وإذا قرأنا كتابات الآباء هؤلاء، نرى لمريم مكانًا أساسيًّا ومميّزًا، لأنّ الدفاع عن حقيقة حبلها بالمسيح وولادته الحقّة منها كان يحفظ حقيقة تجسّده منها كإنسان. ومن ناحية أخرى، كان الدفاع عن بتوليّة مريم، حتّى في الولادة وما بعدها، ضدّ منكري ألوهة المسيح. لذلك يقول القدّيس بروكلّس، بطريرك القسطنطينيّة: "لو لم تبق الأمّ عذراء لكان المولود مجرّد

---

١٢٢ راجع: Mansi 10,1151-1152

إنسان، ولما كان هناك أيّة ولادة عجيبة. ولكنْ إذا بقيت الأمّ عذراء بعد الولادة، فكيف إذًا لا يكون (الإبن) هو اللّه؟"[١٢٣]. لذلك بدأت عقيدة مريم الدائمة البتوليّة تتبلور للدفاع عن سرّ المسيح الحقيقيّ والإيمان الصحيح.

كان لكتابات القدّيس أفرام الشأن الكبير في بلورة هذه الحقيقة حول سرّ مريم، فأعلنها في كتاباته العديدة أمّ اللّه، ووالدة المسيح الإله والإنسان، البتول قبل الحبل، وفي الولادة وما بعدها حتى نهاية حياتها الأرضيّة.

مريم عذراء قبل الولادة

تهدف بتوليّة مريم، السابقة لميلاد الابن، إلى إظهار حقيقة أنّ يسوع الناصريّ، ابن مريم، هو المسيح كلمة اللّه المتجسّد، الذي أُعلن عنه في نبوءات العهد القديم، فيضحي حبل العذراء بيسوع، من دون أن يعرفها رجل، مقياسًا للحقيقة المسيحانيّة ودليلاً على طبيعتي المسيح الإلهيّة والإنسانيّة، فيقول القدّيس أفرام: "لقد حلَّ في الحشا ونقّاه، قدّس مكان آلام الولادة واللعنات (تك ٣، ١٨)، الشعلة التي رآها موسى ترطّب العلّيقة (خر٣، ٢-٣)، والعلّيقة تقطر دهنًا، العلّيقة تلتهب من دون أن تحترق، كان صورة للذهب المنقّى، بهذه النار الحيّة التي ظهرت في منتهى الزمن ورشّت الندى على حشا العذراء وغلّفته مثل الماء في العلّيقة"[١٢٤]. إذًا، فبتوليّة مريم ليست إنعامًا خاصًّا وحسب أُعطي لمريم، إنّما كانت نتيجة ألوهة الولد الذي يخرج منها، آدم الجديد الذي يخرج من أرض لم تحرث: "إنّ مريم قد عرفت الولادة من دون تدخّل رجل، كما كان في البدء حين وُلدت حوّاء من آدم من دون علاقة جسديّة... حوّاء ولدت قايين القاتل، ومريم (ولدت) المحيي. تلك أعطت الحياة لمن سفك دم أخيه وهذه (ولدت) من سُفك دمه بواسطة إخوته... إنّ حبل العذراء يعلّمنا أنّ ذاك الذي أعطى آدم الحياة من دون علاقة جسديّة إذ أخرجه من الأرض العذراء، هو نفسه الذي من دون علاقة جسديّة قد صار آدم الثاني في حشا العذراء"[١٢٥].

١٢٣ راجع: PROCLUS PATR. COST., Oratio I, 2 in PG 65 col. 684.
١٢٤ ديات ١، ٢٥.
١٢٥ ديات ٢، ٢.

إذًا، فالبعد الأوّل لعذريّة مريم ما قبل الولادة، وحبلها بالمسيح من دون تدخّل إنسانيّ يأخذ بعدًا بدئيًّا[١٢٦]، بطله الأوّل هو المسيح، كلمةُ اللّه المتجسّد الذي يعيد صوغ الخليقة من جديد في حشا مريم. بتوليّة مريم هي بتوليّة الإنسان ما قبل الخطيئة، هي تجديد لحالة الأرض الأولى التي كانت عذراء قبل خطيئة آدم: "إنّ حبل العذراء يعلّمنا أنّ ذاك الذي، من دون علاقة جسديّة، أعطى الحياة لآدم مخرجًا إيّاه من الأرض العذراء، قد كوّن أيضًا آدم الثاني في حشا العذراء"[١٢٧]. وهي أيضًا بتوليّة آدم، الإنسان في حالة ما قبل الخطيئة، الذي أعطى الحياة لحوّاء من دون علاقة جسديّة: "فكما أنّ آدم قد أخذ دور الأب والأم بالنسبة (لولادة) حوّاء، هكذا فعلت العذراء بالنسبة لربّنا"[١٢٨]. وهنا نعود إلى مقارنة مريم بحوّاء، والمسيح بآدم: المسيح–آدم الجديد، ومريم–حوّاء الجديدة قد حلاّ في ملء الزمن مكان آدم وحوّاء الأوّلين اللذين فقدا عذريّة الروح بالخطيئة، إذ سمعا كلمة الشرّير بالأذن وحملاها في العقل الحرّ وأعطياها لكلّ الإنسانيّة بالجسد والروح. بتوليّة مريم قبل الولادة هي عودة إلى الطاعة الأولى التي خرجت عنها أمّها حوّاء. وبهذا لا تعود بتوليّة مريم عملاً ينبع من فضيلة خلقيّة فقط ويأخذ طابعًا أدبيًّا، إنّما هي حقيقة كيانيّة تعيشها مريم، فتضحي حقًّا حوّاء الجديدة، وتسهم بشكل حقيقيّ، لا رمزيّ أو ظاهريّ، في إعطاء الحياة بالجسد للمسيح–آدم الجديد، كيما بمشاركة مريم تكون الحياة من جديد للبشريّة. إنطلاقًا ممّا تقدّم، تأخذ بتوليّة مريم ما قبل الولادة علامة نبويّة داخل جماعة إسرائيل، فيقول أفرام: "أيّها الإسرائيليّون، أنتم عميان فلا تفهمون، وصمّ فلا تسمعون، ولا الآن أيضًا تسمعون كلمة أشعيا وتستيقظون: "إنّ اللّه سيعطيكم علامة"[١٢٩]. وهذه العلامة قد أعطيت لكم، وأعطيت للجميع بالذي وُلد من العذراء"[١٣٠]. وتضحي الفجر الذي يسبق ظهور الشمس ويعلن مجيئه، الفجر الذي يستمدّ نوره من الشمس ويعلنها في آن معًا. رغم كون مريم، إبنة

١٢٦ نقصد بعبارة بدئيّ ما يرتبط بالحالة الأولى التي سبقت خطيئة الإنسان، أي مرحلة الفردوس؛ وهو تعبير معاكس للبعد النهيويّ (الإسكاتولوجيّ).

١٢٧ في تفسير الدياتسّرون ٢، ٢.

١٢٨ ديات ٢، ٣.

١٢٩ أش ٧، ١٤.

١٣٠ ديات ٣، ٦.

صهيون، ليست محور نبوءات العهد القديم، فإنّما تبرز أهميّتها الفائقة ودورها الذي لا غنى عنه كعلامة مسيحانيّة وخلاصيّة.

هي أوّلاً تتميم لوعد الله بأن من نسل حوّاء ستأتي من تدوس رأس الحيّة[١٣١]، "لأنّ الحيّة قد ضربت حوّاء في عقبها، فقد جاءت مريم تسحقها برجلها"[١٣٢]. وهكذا ترتدي بتوليّة مريم طابعًا خلاصيًّا شاملاً وكونيًّا: شاملاً، لأنّ الخلاص يطال كلّ البشريّة كما أنّ الموت قد لحق بكلّ الجنس البشريّ بسبب خطيئة حوّاء؛ وكونيًّا، لأنّ كلّ الخليقة والمادّة التي دخلها الشرّ بسبب خطيئة الإنسان، وصارت تنبت شوكًا وأضحت مصدر ألم للإنسان، فلا يأكل منها إلاّ بعرق جبينه. هذا الكون نفسه سيعود إلى نقاوته الأولى بالابن الذي يصالح كلّ شيء مع الله بدم صليبه، الابن الذي يخرج من مريم بالقداسة كما خرج آدم الأوّل من الأرض الطاهرة التي لم يحرثها أحد. وهذا التجسّد الإلهيّ في حشا مريم البتول يهدف إلى قتل الموت وإحياء آدم: "لأنّه شاء أن يقتل الموت ويهدم آثاره، فقد بدأ من جذور الأشياء، لأن حيث هناك جسد فهناك الموت، وجذور الجسد هي في الحشا. هناك يبدأ الخلق، وهناك يبدأ الموت بالإفساد؛ كثيرات من يموت أولادهنّ في أشهر الحبل، أو يُجهضن في الشهر الثاني أو الثالث أو حتى أكثر. فبما أنّ الموت يبدأ في الحشا وينتهي في القبر، فكيف يكون أنّ ذاك الذي جاء يقتل الموت لا يبدأ القتال معه منذ الحشا، وحتى القبر، التي هي حدوده؟"[١٣٣]. "بمريم، المباركة بين النساء، قد رُفعت اللعنة التي أُعلنت في بدء الأزمنة، والتي بسببها صار الطفل يولد بالأوجاع والتجارب؛ فالتي تنجب الولد بالعذاب لا يمكنها أن تدعى مباركة. فكما أنّ الربّ قد دخل والأبوابُ كلّها موصدة، فبالطريقة نفسها قد خرج من الحشا البتوليّ؛ لأنّ هذه العذراء قد ولدت حقيقة وبالطبيعة من دون أوجاع"[١٣٤]. وبهذا تضحي ولادة العذراء لابنها من دون ألم وختم البتوليّة ما برح، تصحيحًا لحالة الإنسان الخاضع للخطيئة ونتائجها، وعودة بالإنسانيّة كلّها إلى حالة البرارة الأصليّة.

---

١٣١ راجع تك ٣، ١٥.
١٣٢ ديات ١٠، ١٣.
١٣٣ ديات ٢، ٦.
١٣٤ ديات ٢، ٦

وعد التكوين: هي تسحق رأسه (تك.)

وتأخذ بتوليّة ما قبل الميلاد أيضًا بعدًا تاريخيًّا يتعلّق بالعهد الذي أقامه اللّه مع آل إسرائيل. فبالنسبة للقدّيس أفرام، حالة البتوليّة التي عاشتها العذراء لا تنحصر في تصحيح ما أفسده آدم وحوّاء، إنّما تنطلق من هذه الحقيقة لتتميم الطاعة أيضًا والتي خرج عنها شعب إسرائيل بحريته. وبالتالي، فإنّ بتوليّة مريم تشترك، ليس فقط في غفران خطيئة الإنسان الأصليّة، المتعلّقة بحريّة آدم وحوّاء والتي ورثتها الطبيعة البشريّة، إنّما تسهم أيضًا في إزالة الخطايا الآنيّة التي يرتكبها كلّ إنسان بحريّته عاصيًا أمر الربّ. فشعب إسرائيل، شريك العهد مع اللّه من خلال إبراهيم وموسى وداود، والذي وعد الوفاء والطاعة للّه قائلاً: "كلّ ما يأمرنا به الربّ سنفعله"[١٣٥]. هذا الشعب الذي خرج عن إرادة الربّ مرّات عديدة، واقترف الشرّ في عينيه، قد شاء الربّ برحمته، لا لأعمال برّ عملها إسرائيل، أن يعيده إلى شراكة العهد؛ وهذا تمّ بالمسيح المتجسّد من مريم البتول. بتوليّة مريم التي تكفّر عن زنى إسرائيل أسهمت بطاعتها ووفائها للربّ في هذه العودة، فردّدت على مسامع الشعب في قانا: "إفعلوا ما يأمركم به[١٣٦]" وهو ما كان قاله الشعب نفسه على الجبل: "كلّ ما يأمرنا به الربّ سنفعله". كان على إسرائيل أن تبقى وفيّة للربّ، فلا تخرج عن طاعته وتزني بعبادتها للأصنام وتخون عهدها مع إله آبائها، وبطهارتها يخرج منها ابن، تكون الرئاسة على يده، بحسب نبوءة أشعيا[١٣٧]، إنّما بدل إسرائيل الخائنة جاءت مريم، إسرائيل الجديدة، الوفيّة للربّ بكلّيتها، فأطاعت وخرج منها، بحسب وعد الربّ لشعبها، المسيح الفادي والمخلّص. وهنا تأخذ بتوليّة مريم أيضًا طابعًا مسيحانيًّا. فالمسيح هو محور العمل كلّه وغايته، لأن به يكون الخلاص للشعب بأسره، وبطاعته وإخلاء ذاته تمّم ما كان على شعب إسرائيل أن يقوم به: "إنّ اللّه الذي لم يكن محتاجًا إلى شيء ليخلّص شعبه، وجد نفسه محتاجًا إلى تواضع موسى كيما يحتمل تذمّر منتقديه وشكواهم. وحدَه الاتّضاع أمكنه أن

---

١٣٥ خروج ١٩، ٨.
١٣٦ يو ٢، ٥.
١٣٧ أش ٧، ١٤.

يجعل اللّه يغضّ الطرف عن الشعب الشرّير الذي نسي العلامات التي أُعطيت له في مصر ومعجزات الصحراء. حين كان الكبرياء يسبّب الإنقسام في الشعب، وحدها الصلاة المتواضعة (صلاة موسى) كانت تشفي الانقسام.

فإن كان تواضع رجل مربوط اللسان[١٣٨] قد قاد ستمئة ألف رجل [١٣٩]، فكم بالحريّ يقدر اتّضاع من أعطى النطق للرجل المربوط اللسان أن يفعل؟ فتواضع موسى ما هو إلاّ ظلّ لتواضع ربّنا"[١٤٠].

إذًا، فتجسّد المسيح يهدف إلى تتميم صورة موسى المتواضع أمام الربّ ليتبرّر به الشعب العاصي. وبهذا تضحي مريم صورة عن الجماعة المطيعة بدل جماعة إسرائيل الخائنة. وبطاعتها لإرادة الربّ القدّوس، وتسليمها له بكلّيتها بقولها: "ها أنذا أمة الربّ فليكن لي بحسب قولك"[١٤١]، تعيد صوغ طاعة إسرائيل وبتوليّتها ، خائنة العهد القديم، وتسهم في افتدائها بواسطة ابنها.

وهكذا تصبح العذراء مريم علامة خلاص لشعب إسرائيل، إذ تتمّ فيها نبوءة أشعيا: "ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمّانوئيل"[١٤٢]. هذا الخلاص ينقل شعب اللّه من عبوديّة الناموس إلى حريّة العهد الجديد الذي يخطّه اللّه مع شعبه مجدّدًا بدم ابنه، فيبطل كهنوت الشعب القديم وتكفّ محرقاته، "لهذا، فإنّ ولادة العذراء (لابنها) كان سبب شكّ كبير بالنسبة لهم. فبحسب اعتقادهم، هذه الولادة تعلن دمار مدينتهم وزوال كهنوتهم ومُلكهم. ولهذا، فقد قتلوا النبيّ أشعيا الذي أعلن عن تلك التي ستلد ابنها وهي عذراء"[١٤٣].
من نصّ الدياتسّرون الذي مرّ أعلاه[١٤٤] نستنتج أنّ نبوءة أشعيا بالنسبة للقدّيس أفرام لا تنحصر فقط بالمجد الذي نالته مريم العذراء، إنّما هو ذو هدف مسيحانيّ بالدرجة الأولى،

---

١٣٨ راجع خر ٤، ١١.
١٣٩ راجع خر ١٢، ٣٧.
١٤٠ أناشيد في السيّد المسيح ٤١.
١٤١ لو ١، ٣٨.
١٤٢ أش ٧، ١٤.
١٤٣ ديات ٢، ٧.
١٤٤ ديات ٣، ٦.

كإعلان للخلاص الذي يتمّ بهذا الولد-العلامة. وما دور العذراء مريم إلاّ شريكة أرضيّة، وعلامة حضوره، وتحقيق ملكوته في جماعة بني إسرائيل. ولكنّ محوريّة المسيح البديهيّة في سرّ الفداء لا تهمّش دور الأمّ العذراء، بل تظهر قيمته الحقّة كعلامة العهد الجديد، العلامة التي تعلن مجيء الخلاص. وبهذا تصبح مريم مشاركة ومساهمة في افتداء شعب إسرائيل وكلّ الإنسانيّة، والعودة إلى العهد مع الله. بمريم تصير كلّ الإنسانيّة شريكة بالعهد الجديد مع الله. لهذا انطلقت مريم حالما نالت البشرى من الملاك إلى إعلان تحقيق الخلاص، "وابتدأت مريم ساعتئذ تبشّر بالملكوت الجديد"[١٤٥].

- إنّ مريم هي أيضًا علامة تحقيق العهد، الذي قطعه الله مع داود على لسان النبيّ ناتان أن لن يكفّ ملكه إلى الأبد عن عرش يهوذا[١٤٦]. "فلو كانت مريم من قبيلة أخرى (غير بيت داود)، لكانت كلمات (النبيّ): "من بيت داود" مجرّد كذبة. لكنّ الملاك قد قال لها: "إنّ الله يعطيه عرش داود أبيه"[١٤٧]؛ إنّ يسوع هو ابن مريم وليس ابن يوسف، وقد ظهر جسديًّا كابن داود. وقال النبيّ بهذا الصدد: "سيخرج قضيب من جزع يسّى، وينبت غصن من جذوره"[١٤٨]. وزكريّا قال أيضًا: "وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود ابنه"[١٤٩]. وكتب الرسول أيضًا أن سيّدنا قد خرج من مريم، من سلالة داود[١٥٠]؛ وفي رسالته إلى طيموتاوس يقول: "واذكرْ يسوع الذي قام من بين الأموات وكان من نسل داود"[١٥١]؛ وللرومانيين قال: "تلك البشارة التي سبق أن وعد بها على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدّسة، في شأن ابنه الذي وُلد من نسل داود بحسب الطبيعة البشريّة"[١٥٢]، للعبرانيين: "فمن المعروف أنّ ربّنا خرج من يهوذا، من سبط كهنوتيّ لم يذكره موسى في

١٤٥ ديات ١، ٢٨.
١٤٦ راجع ٢صم ١٢، ٧-١٠.
١٤٧ راجع لو ١، ٣٢.
١٤٨ أش ١١، ١.
١٤٩ لو ١، ٦٩.
١٥٠ استشهاد غير حرفيّ برسالة القدّيس بولس إلى الرومانيين ١، ٣. أمّا النصّ الحرفيّ فهو: «في شأن ابنه الذي ولد من نسل داود بحسب الطبيعة البشريّة».
١٥١طيم ٢، ٨.
١٥٢روم ١، ٢-٣.

كلامه"[١٥٣]. وهذا النصّ الأخير يُظهر أنّ مريم ليست من سبط اللاويين، إنّما من بيت داود. وكُتب أيضًا في أعمال الرسل: "لقد أقسم لداود: لأجلسنّ ثمرة بطنك على عرشك (أع ٢، ٣٠؛ مز ١٣٢؛ ٢صم ٧، ١٢)[١٥٤]. "فلو كانت مريم من سبط آخر (غير سبط يهوذا ومن بيت داود)، لكانت هذه النبوءة كلّها كذبة". وبهذا القول الأفراميّ القويّ يظهر بوضوح مفهوم قدّيسنا لدور مريم في تاريخ الخلاص: هي العلامة الحسيّة والضمانة على صدق مواعيد الله وعلى تحقّقها في تاريخ شعبه. "نسل داود"، "بحسب الجسد"، "بحسب الطبيعة" و"بيت داود" هي كلّها تعابير تتعلّق بمريم. وبهذا تضحي الوسيلة الوحيدة التي بها، وبإرادتها الحرّة، قد تمّ اتّحاد الطبيعتين: الطبيعة الإلهيّة المساوية للآب بجوهرها، والطبيعة الإنسانيّة التي نالها المسيح من العذراء مريم. وهكذا أصبحت مريم، ببتوليّة ما قبل الميلاد، الكائن الإنسانيّ الذي قال باسم الطبيعة البشريّة بأسرها: نعم للربّ، وأعادت بطريقة صادقة ووفيّة ما قالته إسرائيل على أقدام جبل سيناء: "كلّ ما يقوله الربّ سنفعله".

مريم عذراء لحظة الولادة

إن كانت بتوليّة مريم في الولادة تأخذ طابعًا بدئيًّا ونبويًّا، فإنّ بتوليّتها المصانة ساعةَ ميلاد الابن لها بعد كنسيّ وأسراريّ. إنّما فَلنوضح أوّلاً ماذا نعني بقولنا إنّ مريم هي عذراء في الولادة.

هي العقيدة التي تعلن أنّ مريم العذراء قد ولدت ابنها ولادة طبيعيّة، أي جسديّة، بشكل حقيقيّ، لا رمزيّ أو شكليّ، ولكن بطريقة فائقة الطبيعة، فبقيت بتوليّتها مصانة من دون تغيير روحًا وجسدًا.

وترتبط بتوليّة مريم في الولادة بسرّ الابن أيضًا. إنّما تأخذ طابعًا تاريخيًّا حاضرًا في حياة الكنيسة في العالم، مرتبطًا بملء الزمن الذي تكلّم عنه بولس، "حين أرسل الله ابنه

---

١٥٣ عب ٧، ١٤.

١٥٤ ديات ١، ٣٦.

مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس"[155]. وتُجسِّد مشاركة الإنسان، بشخص مريم وحريّتها، في عمل المسيح الخلاصيّ، ولا سيّما في ما يتعلّق بحقيقة الكنيسة الأسراريّة الحاضرة.

يربط القدّيس أفرام بتوليّة مريم في ولادتها لابنها بولادتين أخريين للمسيح: ولادته من حشا الأردن في العماد، وولادته من حشا القبر في القيامة، فيقول: "في حشا النهر الطاهر شاهدوا مريم، إبنة البشر، قد حبلت من دون أن تعرف رجلاً، وأعطت حياة من دون زرع، وبعطيّة حملت صاحب هذه العطيّة نفسه"[156]. وفي مكان آخر يقول: "هكذا ولدت العذراء ابنها البكر وبقيت بتوليّتها مصانة. والربّ قد ولدنا نحن أيضًا بالمعموديّة، وبنعمته جعلنا أولادًا أبكارًا، لأن لا شيخ ولا طفل في المعموديّة. كلّنا أبناء أبكار بالإيمان. لقد تمّمنا بطريقة كاملة ما يقوله الكتاب: كلّ ولد بكر فاتح رحم يدعى قدّوسًا للربّ"[157]. ونحن الذين كنّا مدنّسين وملطّخين بالخطيئة، قد حبلت بنا المعموديّة وولدتنا للعالم أطهارًا من الإثم"[158].

المعموديّة، كسائر الأسرار، تجد جذورها في عمل المسيح الخلاصيّ، إذ ينال المعمّد غفران الخطايا، والتبرير، ويلبس المسيح، ويُضحي في شركة عضويّة بجسده الذي هو الكنيسة. إذًا فالعماد ينطلق من قتل الخطيئة، ولا سيّما خطيئة آدم وحوّاء، أي "الثوب الملطّخ"[159]، "النسمة الشيطانيّة وخميرة الشرّير في عجينة بني البشر"[160]. ولا تقتصر المعموديّة على المغفرة هذه، إنّما غايتها هي إعادة الإنسان إلى علاقته الأصليّة مع الله، والسعي إلى التألّه من خلال المسيح، الدربِ الوحيدة، ما يُظهر دورَ مريم في غاية الأهميّة من حيث المشاركة والمثال. فمن مريم ظهر المسيح، وأضحت المعموديّة مستطاعة. وصارت، بمشاركتها الحرّة وطاعتها النيّرة، ممثّلةً لضمير البشريّة في قول النَعم للمسيح. وهكذا، "بواسطة العذراء، يصرخ الجميع: نعم، تعال أيّها الربّ"[161].

---

١٥٥ غل ٤، ٤.
١٥٦ أناشيد حول الكنيسة ٣٦، ٣-٤.
١٥٧ راجع عدد ٨، ١٦-١٧؛ لو ٢، ٢٣.
١٥٨ ديات ٢، ٨.
١٥٩ راجع أناشيد الفردوس ٤، ٥.
١٦٠ راجع أناشيد نصيبين ٣٥، ٨
١٦١ راجع: EVDOKIMOV P., La novità dello Spirito, Milano 1979, pp.145-146.

إنّ أهميّة دور مريم كمثال وقدوة للمعمّد تبرز في أنّها هي البريئة من كلّ وصمة قد اعتمدت، فكم بالحريّ أولئك الذين خضعوا لوقر الخطيئة. بالنسبة لأفرام، العذراء مريم قد اعتمدت بعد صعود المسيح إلى المجد. وهذه المعموديّة لا تظهر هادفة إلى مغفرة الخطايا، إنّما يفتح أمام شخص مريم، إبنة آدم، إمكانيّة التألّه من خلال الأسرار، الوسيلة الاعتياديّة للخلاص التي أسّسها المسيح، ولا سيّما سرّ الأفخارستيا. وبالتالي، "فإنّ عماد مريم لا يهدف إلى محو الخطيئة، إنّما لجعلها ابنة للّه"[١٦٢] من خلال جعلها عضويًّا ضمن الكنيسة. وهذا ما نستنتجه أيضًا من تعليق القدّيس أفرام على لقاء مريم بالمسيح في القبر صباح القيامة[١٦٣]: "والبعض يقول إنّ ربّنا لم يشأ أن يلمسه أحد، لأنّ مريم لم تكن قد نالت بعد سرّ جسده ودمه. وبهذا أظهر أن ليس فقط أعداؤه لا يقدرون أن يتقدّموا من سرّه، كالإسخريوطيّ، إنّما أحبّاؤه أيضًا الذين لم يوسموا بعد بالوسم (العماد)، مثل مريم. هذا الجسد الذي، بمدّ يدها إليه، أسلمته حوّاء للموت، وكلّلته بكلّ أنواع الآلام. هذا الجسد عينه لم يعطِ الربّ لمريم أن تلمسه، إنّما حفظ هذا لليد التي أجلسته عن يمينها (يد الآب)، وكلّلته بكلّ أنواع المجد بعد صعوده إلى السماء"[١٦٤]. منع مريم من لمس جسده يؤكّد لنا وضوح الرؤية لدى أفرام لسرّ مريم، فهو لا يرفعها فوق سائر البشريّة لاستحقاق طبيعيّ مختلف عن سائر البشريّة، ويفصلها عن الحاجة لأن تُفتدى بالمسيح، إنّما هي تتميّز لاستحقاقات ابنها وفاديها يسوع المسيح. وهي تبقى، مثل سائر أبناء الكنيسة، محتاجة لأسرار ابنها، كعلامة حضور وكوسيلة عودة للبشريّة كلّها، من خلالها، إلى الحالة الأولى، حالة الشراكة مع اللّه. لهذا، تبرز مريم كمثال لكلّ معمّد، فتظهر كتلميذة للربّ ابنها مع سائر التلاميذ؛ تلميذة خضعت لمشيئة اللّه في حياتها، وعملت بكلمته، وآمنت بصدق كلامه

---

١٦٢ راجع: DE URBINA U., *La Vergine Maria nella teologia di S. Efrem*, in *OCA* 197 (1974) 99-001

١٦٣ نجد القدّيس أفرام يتكلّم على مريم العذراء أمّ يسوع كأوّل من رأى المسيح بعد القيامة، لا مريم المجدليّة. واختلفت آراء الدارسين حول أسباب هذا المزج بين المريمتين. وعلى الأرجح فإنّ استبدال مريم المجدليّة بمريم العذراء في تقليد كنيسة ما بين النهرين، كان للتشديد على أهميّة دور مريم وشخصها في عمل الفداء وفي حياة الكنيسة الأولى. لذلك يقول القدّيس أفرام: «ممّا لا شكّ فيه أنّ البتوليّة هي أعظم وأعلى شأنًا من القداسة (وهنا القداسة تعني الإمتناع عن الزواج مرّة ثانية بعد موت الشريك الأوّل، والعيش بالبرارة). فإنّها هي التي ولدت الابن، ومن صدرها أعطته حليبها، هي التي جلست تحت قدميه وغسلتهما، وعلى الصليب كانت بالقرب منه، وبقيامته، قد شاهدته» (راجع أناشيد محفوظة بالأرمنيّة ٥، ٧٠-٧٤).

١٦٤ ديات ٢١، ٢٦.

ووفائه في مواعده، فحملت كلمته وأعطتها للبشريّة. بهذا المعنى كانت مريم العذراء شريكةً في عمل الفداء العام. وبها صارت الإنسانيّة كلّها أيضًا شريكة بالفداء من حيثُ قبولُها لمخطّط الله، القبول الذي أعلن بواسطة مريم، كما أنّ الموت قد طاول كلّ البشريّة بواسطة حوّاء. هكذا تصبح مريم الأمّ والمعلّمة للجماعة المسيحيّة، ومثالاً يُقتدى به للوصول إلى الغاية الأساسيّة، إلى المسيح الذي به وحده تمّ الفداء.

وحقيقة مريم كتلميذة تنمو في فهم سرّ ابنها، وهي التي "كانت تحفظ كلّ هذا وتتأمّل فيه في قلبها"[١٦٥]، وتحتاج إلى الأسرار كحقيقة ملموسة وامتداد للتجسّد الذي تمّ منها، لا تنفي حقيقتها الأولى، أي كونها الكائن الإنسانيّ الوحيد الذي أعطى الحياة لله بالجسد، الجسد نفسه الذي هو مصدر الأسرار كلّها، ومصدر الكنيسة. وبالتالي، تضحي مريم مشاركة أيضًا في الخلاص الذي تمّ، لا في الحضور التاريخيّ للمسيح في العالم، إنّما أيضًا في إعطاء الخلاص الأسراريّ، الذي هو امتداد سرّي وحقيقيّ لشخص المسيح التاريخيّ ولعمله الخلاصيّ. وهكذا تضحي بتوليّة مريم في الولادة ضامنة لحقيقة الأسرار، وتشهد لحقيقة ألوهة ابنها، وتأكيدًا لحقيقة الكنيسة كأمّ وعروس للمسيح، الطاهرة دومًا وفي كلّ شيء، الكنيسة الأمّ التي تعطي الحياة الجديدة لآدم بالمعموديّة الدائمة البتوليّة على شبه مريم، لأنّ كلّ معمّد يضحي ابن الكنيسة البكر، ويدعى قدّوسًا للربّ، مفصولاً له للخدمة وللاشتراك في حياته الإلهيّة.

وتأخذ أيضًا بتوليّة مريم، لحظة ولادتها لابنها، بعدًا خلاصيًّا آخر، يرتبط بولادة المسيح الثالثة من حشا القبر، فيقول القدّيس أفرام: "خرج (المسيح) بجسده من القبر وبقي القبر مختومًا. وختم القبر يشهد لصالح ختم بتوليّة تلك التي حملت جسده. فقد خرج ابن الله حيًّا وبكرًا من حشا (مريم)، وختم بتوليّتها ما برح... وبخروجه من القبر أدخل الأمم إلى الكنيسة"[١٦٦].

إنّ بتوليّة مريم، ساعة الولادة، تأخذ اكتمال معناها في موت المسيح وقيامته. والنصّ

---

١٦٥ لو ٢، ٥٠.

١٦٦ ديات ٢١، ٢١.

الذي أوردناه يربط حشا مريم بحشا القبر بشكل وثيق "لتدخل الأمم إلى الكنسية". وفي سياق شرحه لآلام المسيح بحسب إنجيل يوحنّا، يقول القدّيس أفرام: "إنّ دَيننا قد فاق كلّ شيء، حتى أنّه، لعظمته، لم يستطع الأنبياء ولا الأحبار ولا الصدّيقون ولا حتى الملوك أن يَفوا به. وحين جاء ابن سيّد الأكوان، لم يفِ بديننا، رغم أنّه ضابط الكلّ، لا في حشا أمّه، ولا في ميلاده أو بعماده، إنّما فقط حين عُلِّق على الصليب وذاق الموت؛ وهكذا وفى بموته الدينَ الذي عجزت عن سدّه الخليقة كلّها"[١٦٧].

بهذا نفهم أنّ الفداء الذي بدأ بتجسّد المسيح في حشا مريم البتول ابنة داود، كتتميم لنبوءات العهد القديم المسيحانيّة، مرورًا بالعماد، قد تمّ بشكل نهائيّ وكامل على الصليب، بآلام السيّد الخلاصيّة وموته المحيي، "فبما أنّ الموت يبدأ في الحشا وينتهي في القبر، فكيف يكون أنّ ذاك الذي جاء يقتل الموت لا يبدأ القتال معه منذ الحشا، وحتى القبر، التي هي حدوده؟"[١٦٨]. وبهذا يضحي حشا مريم نقطة الإنطلاق في تاريخ الفداء، والوسيلة الإنسانيّة الحرّة التي اشتركت في هذا العمل من دون أن تُلغى حقيقتها ككائن بشريّ يحتاج إلى فداء المسيح، وإن قد تمّ بطريقة مميّزة وفائقة الطبيعة، بحسب مخطّط الله ليفتدي شعبه.

من هذا المنطلق فقط نفهم دفاع القدّيس أفرام المستميت عن بتوليّة العذراء مريم لحظة الولادة، لارتباطها الوثيق بحقيقة الابن الأسراريّة والكنسيّة. كما أنّ بتوليّتها السابقة للزواج ترتبط بحقيقة ألوهته، وتضحي علامة تتميم نبوءات العهد القديم. بتوليّة مريم في الولادة ترتدي طابع العمل الخلاصيّ الذي تمّمه المسيح وفدى الجنس البشريّ. فمريم هي بدء الخلاص، الباب الذي به عبر الله إلينا، وبها دخل تاريخنا البشريّ كحقيقة إلهيّة وإنسانيّة. ولا نفهمنّ بهذا أنّ العذراء مريم، برغم عظيم أهميّتها في مخطّط الخلاص، هي مصدر الخلاص ومنبعه. إنّما هي، بحفظ بتوليّتها آنَ ولادةِ الابن، تضحي علامةً ثانية لتتميم وعد الله لحوّاء بأنْ من نسلها سيأتي المخلّص، فإذا هي نهاية انْتظار الإنسانيّة، وفجر الخلاص الذي يبدأ فيها وينتهي على الصليب بشكل فعليّ، ثمّ يستمرّ حقيقة في حياة الكنيسة

١٦٧ ديات ٢١، ٣٢.
١٦٨ ديات ٢١، ٣٢.

بالحضور الحقيقيّ والسرّيّ للمسيح في الأسرار، ولا سيّما في سريّ المعموديّة والأفخارستيا. وفي الواقع، إنّ حقيقة الكنيسة والأسرار، التي يرى فيهما أفرام المسيح حقًّا، قد تمّا بمشاركة العذراء. وبالتالي، بدأ الربّ في تحقيقهما من خلال تجسّده في حشا العذراء، يقول القدّيس أفرام: "لقد وُلد اللّه متّحدًا بالطبيعة الإنسانيّة، ولم يكن أقنومه هو الذي وُلد، إنّما الطبيعة التي أُضيفت إليه (أي إلى الأقنوم)، والتي حتّم الناموس أن تولد بحسب الجسد. كان من المستحيل أن يولد ويموت إنْ لم يأخذ طبيعتنا نفسها. ولأجل هذا، وبحسب النظام الطبيعيّ للأشياء، أخذ جسده من باب حشا أمّه حتى القبر. وبولادته صار فاتح رحم (إبن بكر) البتول[١٦٩]، كما بقيامته حُفظ القبر مختومًا. لقد وضع الصليب بين ولادته وقيامته، حتى أنّ الذين يولدون من الحشا ويسيرون نحو الموت، يجدون الصليب أوّلاً، شجرة الحياة، ويقطفون الثمرة ويضعونها في أجسادهم، كيما عندما يحصدهم الموت ويضعهم في حشاه، يشقّونه ويخرجون"[١٧٠].

بتوليّة مريم ما بعد الولادة

"كثيرون يجرؤون على الادّعاء أنّ مريم قد صارت زوجة يوسف بعد ولادة المخلّص، إنّما كيف يمكن للّتي كانت مسكن الروح القدس، وقوّة العليّ تظلّلها (لو ١، ٣٥) أن تصير زوجة رجل مائت وتنجب الأولاد بالآلام؟ بواسطة مريم، المباركة بين النساء (لو ١، ٤٢) رُفعت اللعنات التي لُفظت في بدء الأزمنة، والتي بسببها صارت ولادة طفل تتمّ بالآلام والأوجاع. إنّ التي تلد بالأوجاع لا يمكن أن تدعى مباركة. فكما أنّ الربّ قد دخل العليّة والأبواب موصدة (يو ٢٠، ٢٦)، كذلك خرج من حشا العذراء، لأنّ العذراء قد ولدت حقًّا وفعلاً من دون ألم"[١٧١].

نجد أنّ هذا البعد الثالث من بتوليّة مريم يأخذ، بالنسبة للقدّيس أفرام، طابعًا دفاعيًّا ضدّ بدع ذلك الزمان. ولهذا، لسنا نجد تعميقًا للبعد الأسراريّ أو الكنسيّ بشكل مباشر، إنّما

---

١٦٩ راجع عدد ٨، ١٦-١٧؛ لو ٢، ٢٣.
١٧٠ ديات ٢١، ٢.
١٧١ ديات ٢، ٦.

يطالعنا، في المقابل، بعد كيانيّ لمريم كبتول دائمة، لأنّها، دومًا وإلى الأبد، أمُّ اللّه المتجسّد، وصورةُ الخليقة الجديدة، وبعدٌ رمزيٌّ كنسيٌّ، يستقي من الحقيقة الأسراريّة ويعبّر عن حالة الكنيسة النهويّة، كعروس وفيّة، حصريّة وأبديّة للمسيح عروسها الأوحد.

الدافع الأوّل لبحث القدّيس أفرام في بتوليّة مريم ما بعد الولادة هو للردّ على الذين "ادّعوا أنّ مريم أصبحت زوجة يوسف بعد ولادة المسيح". هؤلاء المدّعون قد يكونون إمّا أتباع البدع العديدة التي انتشرت في الشرق القديم في خضمّ المجادلات اللاهوتيّة حول الأسرار الإلهيّة، ولا سيّما سرّي الثالوث والكلمة المتجسّد، أو قد يكونون اليهود المتنصّرين.

نقطة انطلاق أفرام في دفاعه عن بتوليّة مريم هي ذات منحى دفاعيّ عن بتوليّة العذراء، بتوليّتها الجسديّة أوّلاً، لأنّ مريم لم تعرف رجلاً قبل أو بعد ولادتها لابنها حين ولدته "وعلامات البتوليّة ما برحت"[١٧٢]؛ ومن الناحية الروحيّة أيضًا، هي التي أصلحت ما أفسدته حوّاء ولم تصغ إلاّ إلى كلمة الربّ. وحيث أنّ أتباع بدع ذلك الزمان كانوا يستندون على إنجيل متّى ١، ٢٥ "ولم تعرف رجلاً حتّى ولدت ابنها البكر"، فقد أجاب القدّيس أفرام: "إنّ "حتّى" لا تحدّد مدّة زمنيّة، لأنْ قد "قال الربّ لربّي اجلس عن يميني حتّى أجعل أعداءك موطئًا لقدميك" (مز. ١١٠، ١). فإنْ كان صحيحًا أنّ "حتّى" تحدّد مدّة زمنيّة، فهذا يعني أنّه على الربّ أن يتنحّى عن يمين الآب ما أن يُوضع أعداؤه تحت قدميه"[١٧٣]. ويكمل: "ما كان ربّنا قد أعطى أمّه ليوحنّا لو كان عندها أبناء غير يسوع، أو لو كان يوسف هو زوجها، فكيف يمكن للّذي قال: "أكرم أباك وأمّك (مر.١٠،١٩) أن يفصل مريم عن أبنائها ويعطيها ليوحنّا؟""[١٧٤].

ومن النصّ الذي أوردناه نجد أنّ بتوليّة ما بعد ميلاد المخلّص التي عرفتها مريم هي نتيجة حتميّة لبتوليّتها ما قبل وساعة ولادتها لابنها، "فكيف يمكن للّتي كانت مسكن الروح القدس، وقوّة العليّ تظلّلها (لو ١، ٣٥) أن تصير زوجة رجل مائت وتنجب الأولاد بالآلام؟".

١٧٢ ديات ٢١، ٢١.

١٧٣ ديات ١، ١١.

١٧٤ ديات ١، ١١.

فإنجاب الأولاد بالألم هو بسبب خطيئة حوّاء "وبواسطة مريم، المباركة بين النساء (لو ١، ٤٢) رُفعت اللعنات التي لُفظت في بدء الأزمنة، والتي بسببها صارت ولادة طفل تتمّ بالآلام والأوجاع". وبالتالي، تأخذ بتوليّة مريم ما بعد ولادتها لابنها طابعًا خلاصيًّا، وصورة وأداة لتجديد الخليقة التي أفسدتها خطيئة حوّاء. يجب أن لا نفهم أنّ بتوليّة مريم هي مصدر خلاص البشريّة وتجديدها، إنّما وحده "مهندس الخلائق هو الذي يعيد بناء الأبنية المهدّمة، ويقدّس الروحُ بحرارته الأبنية الملطّخة"[١٧٥]. بتوليّة مريم ليست هي مصدر الخلاص والتجديد، إنّما هي علامة وأداة الخلاص الذي تمّ بابنها، وضمانة أبديّة، مثل بتوليّتها، لما قد تحقّق بواسطة المسيح.

بهذا البعد الأنتروبولوجيّ الذي تأخذه بتوليّة مريم يعيد المسيح صوغ الخليقة من جديد، فتضحي أمًّا للخليقة الجديدة، لأنّها ابنة البشر الأولى التي عادت إلى حالة آدم وحوّاء، ومعها وبواسطتها صارت هذه العودة مستطاعة للجنس البشريّ بأسره. هذا البعد الأنتروبولوجيّ هو ذو وجهين: وجه بدئيّ وآخر نهيويّ.

ببعده البدئيّ، يعود الربّ إلى صوغ صورة آدم من جديد وإعادته إلى البرارة الأصليّة. تجديد يتمّ بالمسيح، بتجسّده، وموته وقيامته، وبمشاركة مريم وبواسطتها. في هذا الإطار يبدو النشيد الرابع من أناشيد الفردوس في غاية الأهميّة، إذ يظهر الأهميّة التي كانت لمريم في سرّ الفداء، ويظهر وجودها الشخصيّ ضروريًّا لعودة آدم إلى صورته الأولى بواسطة المسيح ابنها الذي "نسج بمريم رداء المجد لآدم"[١٧٦].

وبالبعد النهيويّ تضحي مريم، ببقائها بتولاً بعد ميلاد الابن، صورة للكنيسة بالبعدين اللذين تكلّم عليهما أفرام: الكنيسة الأرضيّة والفردوس، جماعة القدّيسين، أي الكنيسة السماويّة: "قد رمز إلى جنّة الحياة بهذه الرموز: بالفلك وبجبل سيناء، بحكمته يصوّر لنا رموز الفردوس، بالمراتب والجمال، بالعلوّ والبهاء، بالعطور والأشكال: مرفأ كلّ الكنوز، رموز للكنيسة"[١٧٧].

١٧٥ ديات ١، ٢٥.
١٧٦ أناشيد الفردوس ٤، ٥.
١٧٧ أناشيد الفردوس ٢، ١٣.

استمرار بتوليّة مريم، حتّى بعد ميلاد الربّ يسوع، هو صورة نهيويّة لحقيقة الكنيسة كعروس وفيّة وأبديّة للمسيح خطّيبها وفاديها، واستباق لحالة الكنيسة السماويّة المنتصرة، الوفيّة، والتي لا وصمة عليها. وهكذا نفهم قول القدّيس أفرام: "كما أنّ الأجساد قد خطئت وماتت، وبسببها قد لُعنت الأرض أمّها، هكذا أيضًا بسبب هذا الجسد (متكلّمًا عن جسد المسيح) الذي هو نفسه الكنيسة التي لا تفسد، قد تباركت أرضها منذ البدء. إنّ أرضها هي جسد مريم، ذاك الهيكل الذي وضع الزرع داخله"[١٧٨].

وفي أناشيد الفردوس يشبّه القدّيس أفرام جماعة القدّيسين في السماء بالكنيسة. وبالتالي نقدر أن نستنتج أنّ "الكنيسة التي لا تفسد" لأنّها جسد المسيح هي ابنة مريم. (وبالتالي فقد أعلن القدّيس أفرام ما سيعلنه المجمع الفاتيكانيّ الثاني أنّ مريم هي أمّ الكنيسة). وهكذا تصبح مريم صورة للفردوس الذي لا يطوله الفساد. بهذا المعنى تصبح بتوليّة مريم ما بعد ولادة المسيح تأكيدًا ودليلاً وضمانة لتحقيق المواعد الإلهيّة، ليس فقط في ماضي شعب اللّه وحاضره، إنّما أيضًا في الإشتراك بالحياة الإلهيّة في حالة الكنيسة المنتصرة.

مريم أمّ اللّه

"نجد أنّ القدّيس أفرام، المعلّم المريميّ، من دون استنباط أيّ تعبير مرادف بشكل مطلق لكلمة "ثيوتوخوس" (والدة الإله)، يعلن قائلاً: "لقد ولدت ابنها وما برحت بتولاً- تقول العذراء للمجوس- **وهو ابن اللّه**... وبعد هدأة الاضطهادات، في القرنين الثالث والرابع، ولد وانتشر بسرعة، خاصّة في مدرسة الإسكندريّة، تعبير "ثيوتوخس" (والدة الإله أو أمّ اللّه). إنّ أوريجانوس قد أعلن، للمرّة الأولى، بتوليّة مريم بعد الولادة... تعليم قال به أيضًا القدّيس باسيليوس، إنّما فقط القدّيس أفرام والقدّيس أبيفانوس قد دافعا عنه كعقيدة"[١٧٩].

١٧٨ ديات ٤، ١٥.

١٧٩ راجع: DE URBINA I., *La Vergine Maria nella teologia di S. Efrem*, in OCA 197 (1972) 25, 56- 401.

إنّ عقيدة أمومة مريم للمسيح الإله والإنسان قد أعلنت فقط في مجمع أفسس، عام ٤٣١، أي بعد حوالى خمس وثلاثين سنة من موت القدّيس أفرام. إذًا، لا يمكن أن نقول إنّ هذا المعلّم المريميّ قد تكلّم حول "مريم أمّ اللّه" بصدد المدافعة عن تعليم مجمعيّ كما هي حاله في الدفاع عن تعليم مجمع نيقيا ضدّ آريوس.

إنّما لا يمكننا أيضًا أن نفصل تعليم مجمع أفسس عن تعليم نيقيا؛ فهما مترابطان ومتكاملان. فمجمع أفسس قد وُلد نتيجة الجدل اللاهوتيّ لتوضيح حقيقة وحدة الأقنوم في المسيح وفهمها رغم ثنائيّة الطبائع. وإزاء عدد لا يستهان به من اللاهوتيين الإنطاكيين الذين قالوا باتّحاد خارجيّ، أو "حلول" للكلمة في جسم إنسانيّ من دون علاقة جوهريّة وشخصيّة، وبالرغم من هذا الاتحاد (غير الجوهريّ) لا يمكننا أن نتكلّم عن مشاركة بين الطبيعتين، وبالتالي لا يمكننا أن نقول بوحدة الأقنوم إلاّ من حيث حلول الكلمة اللّه في جسد إنسانيّ، من دون أن يكون هذا الجسد هو نفسه اللّه. ومن هذا المنطلق، لا يمكن تسمية العذراء مريم والدة الإله، إنّما والدة المسيح الإنسان الذي حلّ فيه الكلمة اللّه.

لذلك، كان مجمع أفسس عام ٤٣١ لتحديد الإيمان القويم من خلال مجمع مسكونيّ. ونقرأ في الرسالة التي وجّهها الأمبراطور إلى آباء المجمع: "... إنّما النساطرة يريدون أن يفرضوا هرطقتهم على الكنيسة... وقد عملوا على إدخال خطئهم من خلال ثيودوردس معلّم نسطور، الذي يجتوي فكره على تجديف أكثر من نسطور، والذي يدّعي أنّ اللّه هو واحد والمسيح (الإنسان) هو آخر... فإن انتصروا لم يعد في إمكاننا أن نقول إنّ "الكلمة صار بشرًا"، أو أن ندعو مريم "والدة الإله""[١٨٠].

وفي رسالته الثالثة إلى نسطور يقول القدّيس كيريللوس الإسكندريّ:

"لأنّ العذراء قد ولدت جسديًّا الإله المتّحد بالجسد، نقول إنّها والدة الإله، ليس لأنّ طبيعة الكلمة قد وجدت بدايتها في الجسد، "ففي البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند اللّه والكلمة كان اللّه"، وهو الخالق وقبل كلّ الدهور، مساو للآب بأزليّته وصانع كلّ شيء، إنّما لأنّه كما أسلفنا قد ضمَّ إليه بالأقنوم الطبيعة الإنسانيّة، وولد حقًّا بالجسد من حشا

---

١٨٠ راجع: MANSI IX, p. 178 ss.

العذراء... فإن كان أحد لا يؤمن أنّ عمّانوئيل هو اللّه بكلّ ما للكلمة من معنى، وبالتالي إنّ العذراء هي والدة الإله (ثيوتوخوس) لأنّها وَلَدت بالجسد الكلمة التي هي من اللّه كما هو مكتوب "والكلمة صار جسدًا" فليكن محرومًا"[١٨١].

نحن ننظر إلى الهرطقات التي ولدت في تاريخ الكنيسة نظرة عدائيّة وسلبيّة. وهذا بديهيّ وطبيعيّ لكلّ شخص يلتزم الوفاء والخضوع لتعليم الكنيسة المقدّسة الحافظة لوديعة الإيمان الحقّ. إنّما يجب أن لا ننسى أنّ هذه الهرطقات قد ولدت نتيجة سعي الإنسان إلى معرفة أسرار إيمانه. وهذا السعي هو مقدّس وواجب، لأنّ سعي العقل البشريّ هو واجب وضروريّ، كجواب على مبادرة اللّه التي تمّت من خلال الوحي، والتجسّد وهبة الإيمان التي تُعطى من اللّه وتنمو بالجهد والصلاة. إنّما هذا السعي الإنسانيّ وحده لا يكفي، لأنّ حقيقة اللّه ليست نسبيّة، إنّما واحدة ومطلقة، تنجلي وتتّضح خلال مسيرة الكنيسة التاريخيّة، كيما يفهم الإنسان أكثر فأكثر أسرار اللّه. والسلطة الكنسيّة التي هي ضمير الكنيسة، هي التي تحكم، بهدي وبمساعدة من الروح القدس، في صحّة التعليم، وموافقتها أم لا للحقيقة الموحاة في الكتاب المقدّس، والتي علّمها الآباء ونصّ عليها تعليم الكنيسة.

عقيدة أمومة مريم للمسيح الإله والإنسان، التي أصدرها مجمع أفسس، هو حكم السلطة الكنسيّة على تعليم نسطور كتعليم لا يتناسب ووديعة الإيمان التي تحفظها الكنيسة بهدي من الروح القدس.

أمّا السؤال الذي نطرحه هنا فهو بأيّ طريقة قد تحدّدت هذه العقيدة. والمعلوم أنّ العقيدة قد تكون إعلانًا عقائديًّا لموقف الكنيسة نتيجة منازعات وجدالات لاهوتيّة (مجمع نيقيا حول ألوهة المسيح، مجمع خلقيدونيا حول الطبيعتين في المسيح)، وإمّا تصدر كإعلان رسميّ لحقيقة إيمانيّة لم تكن قد أعلنت بعد من السلطة الكنسيّة كحقيقة نهائيّة، إنّما عاشتها الجماعة الكنسيّة في حياتها الليتورجيّة وتكلّم عنها الآباء في كتاباتهم، وبقيت، حتى

---

١٨١ راجع: *Conciliorum Oecumenicorum Decreta,* (a.c.d. G. Algerigo, G. L. Dossetti, P. Joannou, C. Leonardi, P. Prodi), EDB, Bologna 1996, p. 59.

لحظة إعلانها عقيدة، تعليمًا آبائيًّا وفكرة لاهوتيّة لا تلزم المؤمن بها (إنتقال العذراء بالنفس والجسد إلى المجد السماويّ).

قد يكون من الصعب تحديد بأيّ من الطريقتين قد أعلنت عقيدة أمومة مريم الإلهيّة من قبل مجمع أفسس؛ فالسبب المباشر هو طبعًا الجدل اللاهوتيّ بين أنطاكيا وسوريا من جهة، وبين الإسكندريّة من جهة أخرى، وتحديدًا بين نسطوريوس وكيريلّوس كأساقفة. إنّما هذا لا ينفي أن قبل أن تتصاعد وتيرة المنازعات اللاهوتيّة في أواخر القرن الرابع، كانت الكنائس المحليّة المختلفة تحيا هذه الحقيقة في حياتها الليتورجيّة اليوميّة، وفي أناشيدها، وفي صلواتها، وفي فنّها الإيقونوغرافيّ. هذه الحقيقة التي عاشتها الكنائس الأولى والتي استقتها من التقليد الرسوليّ قد أضحت بطريقة ما حاضنة لحقيقة المسيح كما تسلّمتها من الأجيال السابقة. قانون الصلاة كان يحتوي على الحقيقة الايمانيّة الموحاة، وبالتالي فقد عاش مسيحيّو هذه الكنائس حقيقة المسيح من خلال ليتورجيّتهم، فأضحى هذا القانون مقياسًا للحقيقة الإيمانيّة قبل المجامع والتعليم الرسميّ، وأضحى فيما بعد قانونًا للايمان يقاس على ضوء صحّة التعليم أو العقيدة، فصار قانون الصلاة قانونًا للايمان (Lex Orandi- Lex Cerdendi).

هذا ينطبق أيضًا على عقيدة مريم العذراء كوالدة للمسيح الإله والإنسان: وفي كنيسة نصيبين ومن ثَمّ الرُها، نجد القدّيس أفرام يدافع عن حقيقة العذراء هذه. قد يكون هذا طبعًا نتيجة لدفاعه عن حقيقة ألوهة المسيح ضدّ بدعة آريوس وتأييدًا لمجمع نيقيا الأوّل، إنّما حصر دفاعه عن هذه العقيدة كنتيجة لمجمع نيقيا لهو من المغالاة بمكان. فهذه الغيرة الأفراميّة لم تولد فجأة نتيجة المجمع ومقرّراته، برغم أهميّته، إنّما هي أيضًا نتيجة لعمق الحقيقة اللاهوتيّة التي احتواها قانون صلاة كنيسة ما بين النهرين تلك، عقيدة ظهر عمقها على مرّ الأجيال، قبل مجمع نيقيا الأوّل، من خلال الليتورجيّا، فاحتوت الأناشيد، على بساطتها، عمق الحقيقة اللاهوتيّة حول المسيح الإنسان والاله معًا، وولادته من العذراء مريم لا بشكل خارجيّ إنّما بكلّ ما للحقيقة من معنى، فكانت الليتورجيّا، ببساطة مبناها وسهولته، كيما تطول كلّ سامع، تحتوي على محتوى عقائديّ صحيح، محتوى سيعلن سنة ٤٣١، في مدينة أفسس، كعقيدة إيمانيّة نهائيّة. بهذا المعنى نقول إنّ دفاع أفرام عن

أمومة مريم الحقّة للمسيح الإله والإنسان كان أوّلاً نتيجة لاستباقه العبقريّ لما ستخلّفه مقرّرات مجمع نيقيا الأوّل من حيرة وجدل حول أقنوم المسيح الكلمة بأقنومه وطبيعتيه، وذلك قبل حوالى النصف قرن من انعقاد مجمع أفسس، وثانيًا كان نتيجة للتقوى الشعبيّة التي كانت لدى ذلك الشعب نحو شخص مريم كشخص وكدور وكمعنى. هذه التقوى الفائقة، والمعرفة التي كانت لدى أبناء الكنيسة السريانيّة لدور مريم وأهميّتها في سرّ الخلاص الذي تمّ بواسطة الابن نستشفّه من الأناشيد الليتورجيّة، قانون الصلاة الذي يحتوي وديعة الايمان. وفي أناشيد الميلاد التي كتبها أفرام لنشر الايمان القويم من خلال الاستعمال الليتورجيّ، نجد دلائل لهذه التقوى الفائقة لمريم أمّ اللّه حتى قبل مجمع أفسس، فإذا بالقدّيس أفرام يقول: "لقد كرّم يوسف ويوحنّا حشا أمّك الذي أشير إليه بالرموز: رمز الخباء، خباء الموعد، الذي فيه حلّ العمّانوئيل"[١٨٢]، و"الهيكل الذي حللت به يا سيّد قد كرّمه يوحنّا الفتيّ بخوف ومحبّة، كيما يعلّمنا أن في هذا اليوم أيضًا هو ساكن بيننا، هو ابن الملك، في العذارى العفيفات"[١٨٣].

من هذه الأبيات الليتورجيّة نستشفّ فهم هذه الجماعة للمغزى الحقيقيّ لإكرام مريم وعمقه البيبليّ. وهذا الإكرام لمريم أمّ اللّه قد عاشته الجماعة الرهاويّة بالكامل، والدليل على ذلك قول أفرام في أناشيد الميلاد، وهي بدورها مجموعة من الأناشيد ذات هدف ليتورجيّ: "النساء الطاعنات في السنّ، واللواتي كنّ يكرّمن مدينة داود، أتين نحو مريم، وركعن أمامها وقلن: مباركة هي مدينتنا..."[١٨٤]، فلا بدّ أنّها كانت العادة الليتورجيّة في الكنيسة حيث نشأ أفرام، وبالتالي نستنتج وجود الإكرام المريميّ في تلك الجماعة السريانيّة. لهذا قلت إنّ من الصعب أن نستخلص بسهولة ما إذا كانت عقيدة أمومة مريم الإلهيّة (التي صارت منذ لحظة إعلانها قانونًا إيمانيًّا) هي مصدر قانون الصلاة في الكنيسة الجامعة، أم إنّ هذه العقيدة قد صدرت عن قانون الصلاة المعاش في الجماعات الأولى. الإمكانيّة الثانية هي المرجّحة بالنسبة لي، وذلك بسبب وجود هذه العقيدة في الفكر

١٨٢ أناشيد في البتوليّة ٢٥، ١١.
١٨٣ أناشيد في البتوليّة ٢٥، ١٠.
١٨٤ أناشيد الميلاد ٨، ١٢.

الكنسيّ قبل إعلان العقيدة، من دون أن أنكر طبعًا أن تحوّل قانون الصلاة هذا إلى قانون إيمان قد ولّد على مرّ التاريخ قوانين صلاة أخرى، وبالتالي يضحي عندنا: ١- مريم أمّ الله في قانون الصلاة (قبل مجمع أفسس)؛ ٢- مريم أمّ الله عقيدة أيّ قانون إيمان (مجمع أفسس ٤٣١)؛ ٣- قوانين صلاة ولدت نتيجة العقيدة المعلنة في أشكال ليتورجيّة شتّى في مختلف الكنائس المحليّة.

فما هي أبعاد حقيقة مريم كأمّ المسيح الإله والإنسان بالنسبة للقدّيس أفرام السريانيّ؟

البعد الكتابيّ

نجد في كتابات القدّيس أفرام حول أمومة العذراء مريم الإلهيّة مراجع عديدة في الكتاب المقدّس، من دون أن يفصل العهدين، بل رأى في العهد القديم صورة وجدت اكتمال معناها وتمام نبوأتها في العهد الجديد، ولا لزوم للاستفاضة في هذا الموضوع وقد تكلّمنا عليه في فصل سابق. ما يهمّنا الآن هو أن نعالج صورة مريم والدة الله كما وردت في التحليل البيبليّ بحسب القدّيس أفرام، وأورثه الكنيسة السريانيّة.

سأنطلق من نصّين سبق واستشهدت بهما لأدرس هذا الموضوع، وأستعمل هذين النصّين في سبيل الدلالة لا الحصر، لأنّ الكتابات الأفراميّة مليئة بنصوص مماثلة يسهل على كلّ دارس إيجادها وتطبيقها. هذان النصّان هما من الأناشيد حول البتوليّة التي كتبت من أجل هدف ليتورجيّ وتعليميّ، وبالتالي يعكسان إيمان كنيسة الرُها البسيط والقويم:

"يوسف ويوحنّا قد كرّما حشا أمّك الذي أشير إليه بالرموز: برمز الخباء، خباء المحضر، الذي حلّ العمّانوئيل (الإله معنا)، والإثنان يحثّاننا على ألاّ نحتقر الله في هيكله"[185].

"الهيكل الذي حللت به يا سيّد قد كرّمه يوحنّا الفتيّ بخوف ومحبّة، كيما يعلّمنا أنِ اليوم حالٌ بيننا ابن الملك، في العذارى العفيفات. إنّ العقل الذي يفهم أنّ العذراء هي

١٨٥ أناشيد حول البتوليّة ٢٥، ١١.

هيكل، يرتعد من كونه قد احتقر الخطّيبة. فالويل للّذي يجرؤ على احتقار الملك في قصره"[١٨٦].

من السهولة بمكان أن نتوقّف عند هذين النصّين، ونؤكّد إيمان القدّيس أفرام بأمومة مريم الإلهيّة. إنّما إذا درسناهما بموضوعيّة علميّة، وحلّلنا العبارات المستعملة ومعاني الرموز المشار إليها، نجد معنى أبعد بكثير ممّا أوردناه، فلا ننحدّ بالحالة التي عاشتها مريم، إنّما ننطلق إلى الدور والمعنى لحالتها الشخصيّة هذه.

فمن خلال الحقيقة الكتابيّة التي فهمها أفرام نجد أنّ أمومة مريم الإلهيّة لا تنحدّ فقط بالحقيقة الحياتيّة الحاضرة التي عاشتها مريم العذراء، إنّما تأخذ أيضًا بعدين آخرين، تمامًا مثل بتوليّتها الدائمة: بعد بدئيّ وآخر نهيويّ.

البعد البدئيّ لأمومة مريم الإلهيّة

بالبعد البدئيّ تختصر مريم العذراء، بحبلها بالمسيح الإله الكامل والإنسان الكامل، كلّ العهد الذي أقامه اللّه مع شعبه، وتعود بالأجيال كافّة إلى الوعد الإلهيّ الذي أعطي لحوّاء بامرأة ستسحق رأس الحيّة[١٨٧]. هذا الوعد الذي أُعطي لحوّاء قد تحقّق بمريم أمّ الأحياء الجديدة.

كذلك تضحي مريم علامة ملموسة لما هو مزمع أن يتحقّق بواسطة ابنها، وبمشاركتها للكون وللبشريّة بأسرها: العودة إلى العلاقة الأولى مع اللّه. وتجسّد هي، بطريقة حقيقيّة وسريّة، حضور اللّه في وسط جماعة إسرائيل، حيث حلّ اللّه في خباء المحضر وفي هيكل أورشليم. هذا الحضور ذاته قد تمّ بالجسد في خباء المحضر الجديد، وفي هيكل المقدس، حشا العذراء الطاهر.

وإذا حلّلنا النصّين اللذين اعتمدهما القدّيس أفرام نجد رجوعًا مباشرًا لنصّ خروج ٤٠، ٣٤- ٣٥، وتلميحًا لنبوءة حزقيال حول مجد الربّ الذي يملأ الهيكل في حز ٣٤،

١٨٦ أناشيد حول البتوليّة ٢٥، ١٠.

١٨٧ راجع ديات ١٠، ١٣.

٤. وقول أفرام "يحلّ فيه العمّانوئيل" يشير إلى نصّ متّى ١، ١٨- ٢٥، وفي شرح الدياتسّرون يرجع القدّيس أفرام إلى نصّ لوقا، ولا سيّما لو ١، ٣٥، الذي يرى فيه شرّاح الكتاب المقدّس المعاصرون تلميحًا واضحًا لنصّ الخروج (٤٠، ٣٤- ٣٥)[١٨٨]. والقدّيس أفرام يربط أيضًا بشكل وثيق بين حبل العذراء وحلول الله في جسدها، وبين حلول الربّ في خباء الموعد وفي هيكل أورشليم. فالغمامة، رمز بيبليّ لمجد الربّ، قد غطّت خباء الموعد. والروح القدس قد ظلّل العذراء مريم، الخباء كان رمز حضور الربّ الروحيّ وسط شعبه. والعذراء أضحت وسيلة التحقيق لحضوره الجسديّ في وسط كنيسته، إسرائيل الجديدة. وهكذا تصبح مريم علامة تحقيق النبوءات وتتميم الوعود الإلهيّة بأنّ الربّ سيكون بين شعبه، ما أعلنه أشعيا حين تكلّم عن العمّانوئيل، الله معنا[١٨٩].

البعد النهيويّ لأمومة مريم الإلهيّة

إنّ تجسّد الله في مريم العذراء وجعلها بإنعام فريد ومميّز أمًّا بالجسد للمسيح الإله والإنسان، لم يكن إنعامًا خاصًّا لمريم العذراء، ينحدّ بشخصها وحدَه، إنّما هو إنعام تمّ فيها ليمتدّ إلى البشريّة بأسرها الممثّلة بها، تمامًا كما امتدّ الموت إلى البشريّة بأسرها من جرّاء معصية حوّاء. تجسّد المسيح من حشا مريم هدف إلى إتمام الحضور الإلهيّ في التاريخ البشريّ المتألّم ليحوّله. وهذا الحضور في التاريخ، إنّما هو من خلال اللحظة الحاضرة التي دعاها القدّيس بولس "ملء الزمن" (غل ٤، ٤)، يجمع فيه الماضي والمستقبل، منذ إخراج الوجود من العدم حتى تمجيد الإنسان في المجد المزمع أن يتحقّق. ملء الزمن هذا الذي هو نقطة التاريخ المحوريّة قد تمّ في تاريخ العذراء مريم ومن خلالها في تاريخ كلّ كائن بشريّ، بشكل جماعيّ، لأنّ مريم هي حوّاء الجديدة، أي أمّ الأحياء الجديدة ووالدة البشريّة بالنعمة، وبشكل شخصيّ، إذ إنّ مريم كانت بحريّتها وطاعتها ناطقة باسم كلّ واحد منّا. دخول المسيح تاريخنا البشريّ قد كان لتحويل بشريّتنا على صورته،

---

١٨٨ راجع: LYONNET, S., *Il racconto dell'Annunciazione e la maternità della Madonna*, in *La Scuola Cattolica* 82 (1954) 441.

١٨٩ راجع أش ٧، ١٤.

ويحوّل تاريخنا إلى أبديّة اتحاد بالحبّ الإلهيّ. ولهذا يتكلّم على تحقيق ملكوت السماوات في تاريخنا لحظة تجسّد المسيح في حشا الأمّ العذراء، فيقول: "إنّ ملكوت السماوات يشبه أيضًا حبّة (خردل)، أصغر من سائر الأعشاب... لو لم يولد ربّنا من امرأة، لو لم يظهر لنا من عذراء، لو لم يتألّم، لكان من الأنسب أن نشبّهه بالطيور التي تأتي من السماء بأجسادها. إنّما كيما يظهر أنّه قد أخذ الجسد حقًّا، فقد شبّه نفسه بحبّة زُرعت في الأرض، وقد نال جسده من هذه الأرض التي ترتاح عليها طيور السماء"[190]. "إنّ الأرض هي جسد مريم، هذا الهيكل الذي في داخله وُضع الزرع"[191]، وبالتالي يضحي جسد مريم هيكلاً يحلّ فيه اللّه حقًّا، وتضحي مريم أمّ اللّه وسيلة تجديد للبشريّة بأسرها، يعمل من خلالها اللّه "المزروع" في حشاها على تحويل بشريّتنا، لتضحي أهلاً لاستقبال الألوهة وللاتحاد باللّه من خلال مشاركة مريم. هكذا يضحي المسيح الخميرة التي حلّت في عجين بشريّتنا لتحوّلها إلى شبهها، "إنّ الخميرة تعمل في العجين لتحوّلها بصمت إلى صورتها. وبدل أن تتلاشى في كثافة العجين تخضعها لها بكليّتها بقوّتها الخفيّة. هكذا يفعل أيضًا إنجيل ربّنا. والخميرة في العجين هي أيضًا جسد ربّنا في عجينة بيت آدم"[192]. نستنتج إذًا أنّ ملكوت اللّه قد بدأ يتحقّق في الزمن، بتجسّد اللّه في حشا مريم. صمت التجسّد كان كصمت الخميرة، حلّت في عجين بشريّتنا، الممثّلة بمريم، كيما يحوّلها الربّ المتجسّد إلى شبه صورته. هذا التجسّد يهدف، ليس فقط إلى العودة إلى الحالة الأصليّة، حالة البرارة السابقة لسقطة الإنسان الأوّل، إنّما يأخذ أيضًا بعدًا نهيويًّا إذ يعطي الإنسان الصورة الحقّة التي جعل لأجلها، أي أن يبلغ ملء صورة اللّه التي خلق عليها في البدء. لهذا كان تجسّد الربّ "في حشا العذراء التي كانت، إن بحسب الناموس أو خارجًا عنه، أقدس من تلك التي يجعلها نزف دمها نجسة (متكلّمًا على الإمرأة النازفة)"[193]. حشا مريم المقدّس "لم تطله النسمة الشيطانيّة وخميرة الشرّير التي في عجينة بني البشر"[194] يقول القدّيس أفرام،

---

١٩٠ ديات ١١، ٢٠.
١٩١ ديات ٤، ١٥.
١٩٢ ديات ١١، ٢٠.
١٩٣ ديات ٧، ٧.
١٩٤ أناشيد نصيبين ٣٥، ٨.

وبالتالي فحلول الربّ في هيكل مريم، خباء الموعد الجديد، لم يكن اعتباطيًّا أو خاليًا من المعنى، إنّما قد قصد فعلاً أن يحوّل البشريّة بأسرها، من خلال نقاوة مريم، إلى صورته، ويجعل الإنسان وريثًا للّه بالتبنّي، وشريكًا في الحياة الإلهيّة. لو لم تكن مريم فعلاً والدة المسيح الإله حقًّا لما كان لهذا كلّه معنى، لما كان خلاصنا قد تمّ، ولما كان ابتدأ الربّ في تحقيق ملكوته هنا.

أن نقول إنّ مريم لم تكن والدة المسيح الإله والإنسان ليس انتقاصًا من قيمة مريم وحقيقتها الشخصيّتين فقط، إنّما هو أيضًا إنكار لدورها في عمل الخلاص، وبالتالي إنكار لمخطّط اللّه التأليهيّ للإنسان، وتحويل عجينة الإنسانيّة إلى صورة خميرة المسيح الإله والإنسان. لو لم تكن مريم العذراء أمّ اللّه حقًّا بالجسد لكان عمل الخلاص قد تمّ خارجًا عن طبيعتنا، لصار نوعًا من تبديل لحقيقتنا من دون أيّ دور لحريّتنا، لكان خلاصًا منزلاً وفوقيًّا، يأتي "مثل طيور السماء". هنا نعود إلى كلام إفدوكيموف، اللاهوتيّ الأورثوذكسيّ العميق: "إنّ يسوع قادر أن يأخذ الطبيعة الإنسانيّة لأنّ الإنسانيّة بأجمعها، في مريم، تعطيه إيّاها، وبواسطة العذراء يصرخ الجميع: نعم، تعال أيّها الربّ (ماراناتا)"[١٩٥]، في هذا الدور التي تأخذه مريم هنا، تضحي من جديد ناطقة باسم بشريّتنا، ومن خلالها يضحي كلّ كائن بشريّ "ثيوتوخسًا" آخر، حاملاً للّه في هيكل نفسه، ويلده للكون من خلاص كلمة البشارة المخلّصة. هنا تكمن قيمة عقيدة مريم العذراء، أمّ المسيح الإله والإنسان، بالنسبة لأفرام السريانيّ.

القدّيس أفرام وعقيدة الحبل بلا دنس

لقد أدخل أفرام صلب الجدال الذي دار (ولا يزال حتى اليوم) بين الشرق والغرب حول عقيدة الحبل بلا دنس التي تمتدّ جذورها حتى القرون الأولى للكنيسة في الغرب، والتي وجدت تطوّرها واكتمالها اللاهوتيّين بعد انقسام الكنيسة، وأضحت عقيدة كاثوليكيّة مع البابا بيّوس التاسع عام ١٨٥٤.

---

١٩٥ راجع: EVDOKIMOV P., La novità dello Spirito, Milano 1979, pp. 145-146.

لمحة تاريخيّة

إنّ فكرة عصمة مريم من الخطيئة الأصليّة منذ اللحظة الأولى للحبل بها قد بدأت تظهر تدريجيًّا في العالم الغربيّ، وذلك من دون شكّ بعد مجمع نيقيا سنة ٣٢٥، لأنّ هذا المجمع لم يقل شيئًا بهذا الصدد. ثمّ بدأت مع أغوسطينوس تنتشر فكرة انتقال الخطيئة الأصليّة بواسطة الشهوة الجنسيّة من حوّاء إلى كلّ البشريّة. وهكذا أضحى للخطيئة سلطان على كلّ البشريّة. وقد كان هذا القدّيس يخوض من ناحية أخرى جدالاً آخر برز في الغرب مع بدعة بيلاجيوس (+٣٨٢) حول دور النعمة الإلهيّة في خلاص الإنسان الأبديّ: أنكر بيلاجيوس إمكانيّة انتقال الخطيئة الأصليّة بالولادة إلى كلّ إنسان، وشدّد على دور الحريّة البشريّة "وحدها" في عمليّة الخلاص. وما النعمة الإلهيّة سوى دعم خارجيّ لحريّة الإنسان، أي إنّ اللّه يتدخّل بالنعمة في حياة الإنسان من خلال الوحي والكتب المقدّسة، ومن خلال مغفرة الخطايا، لكنّها لا تعمل في الحريّة بحدّ ذاتها، أو تكون سبب وجودها وخياراتها الحسنة التي تؤهّلها للحياة الأبديّة. بتعبير آخر، النعمة الإلهيّة لا تؤدّي بالإنسان إلى خلاصه الأبديّ، بل إنّ حريّة الإنسان فقط هي سبب خلاصه، وأيُّ عون من النعمة الإلهيّة هو فقط عون خارجيّ. ولذلك أنكر بيلاجيوس وأتباعه إمكانيّة انتقال الخطيئة الأصليّة بواسطة الولادة، وبالتالي فإنّ الإنسان ليس في حاجة إلى فداء المسيح منذ ولادته. ولهذا امتنع البيلاجيّون عن تعميد الأطفال، أمّا بالنسبة لأغوسطينوس (وللكنيسة الكاثوليكيّة بفضله)، فإنّ النعمة الإلهيّة هي السبب الأوّل للحريّة الإنسانيّة ولقدرة الإنسان على اختيار الخير، وبالنعمة فقط تأتي الحريّة البشرية إلى الوجود وتختار الخير الذي يؤهّلها للحياة الأبديّة. ولو لم تكن الحريّة مرفوعة بواسطة النعمة لانحرفت عن مسارها الخيّر واختارت الشرّ، وبالتّالي الموت الأبديّ. وهذا لا يعني أنّ النعمة الإلهيّة تكبّل الحريّة الشخصيّة أو تحدّها، بل تنيرها وترفعها، تعضدها ولا تلغي وجودها كما يساعد الصديق صديقه من دون أن يلغيه أو يحلّ مكانه. عندها قام أحد أتباع بيلاجيوس متّهمًا القدّيس أغوسطينوس أنّه بتأكيده أنّ الخطيئة الأصليّة هي حقيقة أنتروبولوجيّة تخضع لها البشريّة جمعاء يشمل أيضًا العذراء مريم. فأجاب أغوسطينوس أنّ مريم لا تخضع لهذه الخطيئة، لأنّها ولدت بطريقة جديدة ومميّزة بواسطة النعمة. وهكذا حافظ أغوسطينوس على عصمة

مريم من الخطيئة الأصليّة في الإطار الصحيح لدور النعمة، من دون أن يجعلها كائنًا مستثنى من الحاجة العامّة للفداء، إنّما ابنة البشر التي افتديت بواسطة نعمة ابنها بطريقة استثنائيّة: نعمة الولادة الجديدة.[١٩٦]

إلاّ أنّ هذا التعليم بقي نظرية لاهوتيّة غير ملزمة (Theologoumenon) تنتشر في العالم الغربيّ نظرًا لشهرة القدّيس أغوسطينوس ونفوذه وانتشار فكره في شمال أفريقيا وكنيسة روما.

أمّا في الشرق، رغم اقتناع جميع آباء الكنيسة بقداسة مريم ونزاهتها عن كلّ وصمة خطيئة، فإنّ التشديد لم يكن على العصمة من الخطيئة الأصليّة، بل بالحريّ على تقديس مريم بواسطة الروح القدس، بنعمة من الله وبمبادرة منه. ولسنا نجد حتّى يومنا هذا أيّ تحديد يكون بمثابة عقيدة ملزمة للكنيسة الأرثوذكسيّة. فبالنسبة للشرق، إنّ العقائد المريميّة قد حُدّدت في المجامع المسكونيّة التي سبقت انقسام الكنيسة، وهي:

أوّلاً: أمومة مريم الإلهيّة، فهي والدة المسيح الإله، وليس فقط الإنسان؛ وهذا ما حُدّد في مجمع أفسس عام ٤٣١.

ثانيًا: إنّ مريم هي والدة الله الدائمة البتوليّة، عذراء قبل الولادة وفي الولادة وبعدها؛ وهذا ما حدّده مجمعا نيقيا (القرن الخامس) والقسطنطينيّة (القرن السادس).

وثالثًا وأخيرًا، إنّ مريم هي شفيعة الجنس البشريّ لدى ابنها حسب تحديد المجمع المسكونيّ الرابع.

أمّا فيما يختصّ بعقيدة الحبل بلا دنس، فنقطة الالتقاء الوحيدة بين كنيستي الشرق والغرب هي الخطيئة الأصليّة، وهذا ما أقرّه مجمع البطاركة الشرقيين في تعليمهم الصادر عام ١٧٢٣، حيث نجد في البند السادس: "إنّ الخطيئة الأصليّة قد انتشرت بالوراثة إلى ذريّة آدم كلّها، بحيث لا نجد أيّ مولود بحسب الجسد خاليًا من هذا الوقر، ولا يخضع لنتائج هذه السقطة في حياته الحاضرة. إنّ العذراء القدّيسة، مثل العديد من قدّيسي العهد القديم والجديد، لا تستثنى من هذا القانون العام، رغم أنّها حُرّرت من أيّة مشاركة في

---

١٩٦ راجع: S. AUGUSTIN, *Contra Julianum Op. Imp.*, IV, 122 in PL 45, c. 1418

الخطايا المتأتّية عن القلب البشريّ الفاسد، المتمرّد على إرادة الله تمرّدًا لا ينتج عن طبيعته (إنّما عن المعصية)".[١٩٧] والبند ١٣ في الإرشاد البطريركيّ الصادر في شهر آب من العام ١٨٩٥، قال أنتيموس، بطريرك القسطنطينيّة: "إنّ الكنيسة الواحدة، الجامعة، المقدّسة والرسوليّة في المجامع السبعة الأول، قد أعلنت حبل مريم الفريد، الطاهر، البريء من الخطيئة والفائق الطبيعة، بكلمة الله، بواسطة الروح القدس. وفي المقابل، أعلنت الكنيسة البابويّة، منذ ما يقارب الأربعين عامًا، عقيدة جديدة، يجهلها تقليد الكنيسة القديم، وستلقى المعارضة القويّة حتى من اللاهوتيين اللاتين البارزين".[١٩٨]

لكنّ هذا التعليم، الذي قد يبدو للوهلة الأولى تعليمًا رسميًّا كنسيًّا ملزمًا، يتناقض مع مقرّرات مجمع موسكو المنعقد عام ١٦٦٦، والذي لم يصدر بحدّ ذاته تعليمًا كنسيًّا حول هذا الموضوع، إنّما وافق على كتابين كمحتويين التعليم الأرثوذكسيّ الصحيح: أحدهما للأهوتي سيمون بولوتسكي الذي يقول "إنّ مريم كانت بريئة من الخطيئة الأصليّة"؛ والآخر كتاب أرسله بايسي، بطريرك أورشليم، إلى نيكون، بطريرك موسكو، يحتوي على تعليم لاهوتي القرن الرابع عشر نيسيفوروس كاليكستوس كسانتروبولوس، والذي يعلن بوضوح أنّ العذراء مريم قد خضعت بدورها لوقر الخطيئة الأصليّة[١٩٩].

نستنتج إذًا أنّ تعليم العام ١٧٢٣ ليس تعليمًا عقائديًّا ملزمًا. أمّا القول إنّ فكرة استثناء القدّيسة مريم من الخطيئة الأصليّة غريب عن فكر الكنيسة الأولى والآباء، فهو قول مبالغ فيه ولا شكّ؛ فآباء شرقيّون عدّة تكلّموا بوضوح حول هذا: فديديموس الإسكندريّ يطلق على العذراء لقب "العذراء المعصومة دومًا وفي كلّ شيء"[٢٠٠]، والقدّيس غريغوريوس النزينزي يقول: "حُبل به من مريم العذراء، التي نُقّيت مسبقًا في روحها وفي جسمها

---

١٩٧ راجع: STAWROWSKY A., *La Sainte Vierge Marie, la doctrine de l'Immaculée Conception des Eglises Catholique et Orthodoxe.* Etude comparée par un Théologien Orthodoxe, in Marianum XXXV, fasc. I-II (108), 1973, p. 38.

١٩٨ راجع: Encyclique Patriarcale et Synodale du Patriarche de Costantinople, Vilna, 1896, traduction en français du texte cité par STAWROWSKY A., La Sainte Vierge Marie..., p.39.

١٩٩ راجع: STAWROWSKY A., LA Sainte Vierge Marie ..., p.39.

٢٠٠ راجع: DYDIME D'ALEXANDRIE, De Trinitate III, 4 in PG XXXIX, col.832.

بواسطة الروح القدس"[٢٠١]، وبروكلس بطريرك القسطنطينيّة يقول: "إنّ الإله لم يتدنّس عندما أخذ جسمًا من تلك التي أعطاها الشكل الأوّل من دون أن تخضع للخطيئة"[٢٠٢]، ويقول القدّيس صفرونيوس بطريرك أورشليم في عظة حول بشارة العذراء "ودخل الحشا المتألّق بالطهارة العذريّة، حشا مريم القدّيسة، العذراء المنيرة، الممتلئة من الحكمة الإلهيّة، والمستثناة من كلّ دنس في جسدها وفي نفسها وفي روحها... لهذا اختيرت عذراء طاهرة. لقد قُدّست في نفسها وفي جسدها. ولأنّها طاهرة، عفيفة، ومعصومة من الخطيئة، فقد أصبحت مشتركة في تجسّد السيّد".[٢٠٣]

وعصمة مريم من أيّة خطيئة، ولو عرضيّة (وهو مرادف غربيّ أيضًا)، يظهر من خلال الألقاب التي أعطيت لوالدة الإله، وأبرزها Kekaritomene أي الممتلئة نعمة، وهو لقب كتابيّ (لو١،٢٨) وPanagia أي الكليّة القداسة أو القدّيسة التي لا عيب فيها.

ويبقى بول إفدوكيموف خير شاهد على تمسّك الكنائس الأرثوذكسيّة بهذه النظرة للقدّيسة مريم. إلاّ أنّ هذا لا يعني مطلقًا أنّ إفدوكيموف يقول بعصمة مريم العذراء من الخطيئة الأصليّة. وبالنسبة له تبقى مريم "متّحدة كيانيًّا بالروح القدس، وهكذا تضحي تعزية محيية، حوّاء-الحياة، تحفظ وتحمي كلّ خليقة وترتقي هكذا لتأخذ صورة الكنيسة ودورها المصلّي. إنّ تكرّس العذراء لحياة الهيكل، بحسب التقليد، ومحبّتها لله قد بلغا بها حدًّا عميقًا وقوّة، حتى أضحى حبلها بالابن جوابًا إلهيًّا على هذا التعمّق الحياتيّ في الصلاة، وعلى شفافيّتها أمام قوّة الروح القدس. وبالرغم من اشتراكها العضويّ في ذريّة آدم، متشاركة في المصير العام، إلاّ أنّها حُفظت من كلّ نجاسة شخصيّة ومن كلّ الشرّ الذي جعل غير عامل فيها"[٢٠٤]. وفلاديمير لوسكي، لاهوتيّ أرثوذكسيّ آخر يقول: "إنّ مريم تجسّد قمّة القداسة، فهي بقيت مصانة من كلّ خطيئة رغم سلطان الخطيئة الشامل، فالخطيئة لم تكن قادرة على العمل فيها"[٢٠٥]. إنّ اعتراض الكنائس الأرثوذكسيّة على عقيدة

---

٢٠١ راجع: S. GREGOIRE DE NAZIANZE, Orat.XXXVIII de Theophan. 13, in PG XXXVI, cil. 325.

٢٠٢ راجع: PROCLUS, Homil. V. De Laudibus S. Mariae, in PG LXV, col. 717.

٢٠٣ راجع: S. SOPHRONIUS, Orat. II in Annuntiationem, in PG LXXXVII, col. 3246-3247, 3285.

٢٠٤ راجع: EVDOKIMOV P., La novità dello Spirito, Milano 1979, p. 289 ss.

٢٠٥ راجع: LOSSKY V., A l'image et à la ressemblance de Dieu, Paris 1967, p. 202

الحبل بلا دنس ينجم أوّلاً عن الاختلاف في الرأي لدى الآباء حول هذه النقطة، وعدم إعلانها في المجامع المسكونيّة السابقة لانقسام الكنيسة، وثانيًا بسبب التخوّف من أن تضع عقيدة الحبل بلا دنس مريم خارج البشريّة ومصيرها وهي ابنة آدم، فتضحي غير محتاجة للفداء العام الذي تمّ بالمسيح؛ وهذا ما يشرحه أيضًا إفدوكيموف قائلاً: "والكنيسة الأرثوذكسيّة إذ تعترف ببتوليّة مريم الدائمة، لا تقبل بتعليم الاستثناء المحتوى في عقيدة الحبل بلا دنس الرومانيّة. هذه العقيدة تضع العذراء جانبًا، وتفصلها عن المصير المشترك، وتحتّم إمكانيّة التحرير من الخطيئة الأصليّة قبل الصلب، وبالتالي بواسطة النعمة وحدها، وفي هذه الحالة، كيما يتحقّق الفداء كان واجبًا أن تكون موجودة قبلاً، وأن لا تحصل العذراء على مفاعيل (الفداء) قبل أن يتحقّق. إنّ تدخّلاً مماثلاً من قبل الله، يجعل به تبرير آدم قائمًا على النعمة وحدها، يجعل، بنظر الشرقيين، السقطة بحدّ ذاتها غير مفهومة. إنّ البرارة الأصليّة، بالنسبة لليونانيين، لم تكن امتيازًا مجّانيًا، إنّما كانت "أساس الكائن بذاته". إنّ الله لا يعمل على الإنسان، إنّما فيه. ولا يتصرّف بالعذراء بواسطة هبة مضافة (superadditum) ، إنّما يعمل من داخل الجهد المشترك والمتبادل بين الروح (القدس) وقداسة الأبرار الذين سبقوا مجيء الإله-الإنسان. كلّ خير مفروض يتحوّل إلى شرّ. وحده خضوع القداسة الحرّ يكوّن الشرط الإنسانيّ الموضوعيّ للتجسّد، الذي يسمح للكلمة أن يأتي بين شعبه. إنّ النعمة لا تكسر أو تفرغ نظام الطبيعة، إنّما تجعله أكمل. إنّ يسوع قادر أن يأخذ الطبيعة الإنسانيّة، لأنّ الإنسانيّة بأجمعها، في مريم، تعطيه إيّاها، وبواسطة العذراء يصرخ الجميع: نعم، تعال أيّها الربّ"[٢٠٦]. هذا الاعتراض لا يتأتّى فقط من العالم الأرثوذكسيّ، فإذا عدنا إلى الوراء وتفحّصنا تاريخ هذه العقيدة لوجدنا أنّ في الكنيسة الكاثوليكيّة نفسها وُجد اختلاف في وجهات النظر، خاصّة بين تيّارين لاهوتيين عريقين: التيّار الفرنسيسكانيّ المؤيّد للعقيدة، والتيّار الدومينيكانيّ المتخوّف من أن تفهم العقيدة كاستثناء لمريم، ابنة بشريّتنا، من الحاجة لأن تكون مفتداة بواسطة المسيح ومتضامنة مع سائر إخوتها البشر[٢٠٧]. لذلك، أوضحت الكنيسة الكاثوليكيّة "أنّ مريم، ومنذ

---

٢٠٦ راجع: EVDOKIMOV P., La novità dello Spirito, Milano 1979, pp.145-146.

٢٠٧ راجع: DE FIORES S., Immacolata, in Nuovo Dizionario di Mariologia, ed. Paolini, Milano 1986, pp.611-619

اللحظة الأولى للحبل بها، وبنعمة فريدة وامتياز من الله القدير، ونظرًا إلى استحقاقات يسوع المسيح مخلّص الجنس البشريّ، قد حفظت بريئة من وصمة الخطيئة الأصليّة"[208]. فإنّ مريم قد افتديت بواسطة المسيح ابنها وإلهها، وليس بأيّة طريقة أخرى خارجًا عن سرّ تجسّده وآلامه وموته وقيامته، إنّما افتديت "بنعمة خاصّة" وبطريقة فريدة ليتمّ فيها مخطّط الله الخلاصيّ للجنس البشريّ.

قد لا يكون هذا من صلب الموضوع الذي نعالجه، إنّما لا يمكننا أن ندرس لاهوت القدّيس أفرام المريميّ من دون أن نتطرّق لعقيدة الحبل بلا دنس؛ فاسمه يرد كلّ مرّة يدور فيها جدل لاهوتيّ حول هذه العقيدة بين الكنيستين كمرجع دامغ غير قابل للجدل عن وجود فكرة عصمة مريم من الخطيئة الأصليّة في كنيسة الشرق منذ القرن الرابع.

هل تكلّم القدّيس أفرام فعلاً عن عصمة مريم العذراء من "الخطيئة الأصليّة"؟

إنّ القدّيس أفرام يعتبر أوّل الآباء الشرقيين الذين تكلّموا عن عدم خضوع مريم لأيّة خطيئة، لا شخصيّة ولا وراثيّة"[209].

بيت شعريّ واحد كتبه أفرام قد شغل اللاهوتيين لعقود طويلة وألهب الحوار والجدل حول إمكانيّة وضوح عقيدة الحبل بلا دنس في القرن الرابع، في ذلك الجزء من العالم؛ فقد كتب أفرام في أناشيد نصيبين:

"ليئة التي كانت بشعة وذات العينين المتعبتين أنت يا ربّ قد جعلتها جميلة، وأنا (كنيسة نصيبين) الجميلة، ها هم أبنائي يشتمونني، أنت وحدك وأمّك أبهى من كلّ جمال، إذ لا توجد بك وصمة يا سيّد، ولا لطخة في أمّك، وإزاء هذين الجمالين، أبنائي من يشبهون؟"[210]

---

٢٠٨ راجع: PIUS IX, PP., Ineffabilis Deus, 1854, DS 2803.

٢٠٩ راجع: STAWROWSKJ A., La Sainte Vierge Marie, la doctrine de l'Immaculée Conception des Eglises Catholique et Orthodoxe, étude comparée par un Théologien Orthodoxe, in Marianum XXXV, 1973, p. 46.

٢١٠ أناشيد نصيبين ٢٧، ٧-٨.

قد دار جدل طويل بين علماء آباء الكنيسة بصدد هذا البيت الشعريّ الذي يظهر للوهلة الأولى كتأكيد لوجود مفهوم عقيدة الحبل بلا دنس في فكر القدّيس أفرام. إنّما وفاؤنا للمنهجيّة العلميّة يمنعنا من استخلاص نتيجة مبدئيّة متسرّعة لتأكيد وجود هذا التعليم في فكر قدّيسنا، إذ تلزمنا دراسة شكل النصّ الأدبيّ أوّلاً، مقارنين أيّاه بمقاطع أخرى من كتابات أفرام، لنرى معنى هذه المقارنة.

هو مقطع شعريّ قصير يتضمّن أربع مقارنات:

- بشاعة ليئة - جمال أولادها (جمال جسديّ).
- جمال كنيسة نصيبين - بشاعة أولادها (جمال روحيّ-أخلاقيّ).
- جمال المسيح - جمال أمّه مريم.
- جمال يسوع ومريم - بشاعة أولاد كنيسة نصيبين.

فما هو بُعد هذا الجمال؟ هو ليس فقط جمالاً جسديًّا. فالعديد من بني البشر يملكون الجمال الخارجيّ (كأولاد ليئة)، ولا فقط الجمال الروحيّ أو الأدبيّ-الأخلاقيّ، لأنّ أفرام لا ينفي الكمال الأدبيّ في الأنبياء والقدّيسين وهنا في كنيسة نصيبين، إنّما هو جمال آخر، ذو بعد إنسانيّ، وإلاّ لأضحت العذراء كائنًا وسيطًا بين الإلهيّ والإنسانيّ، وهذ الجمال يتمتّع به إنسانان فقط، يقول أفرام، المسيح الانسان ومريم أمّه.

إذا درسنا هذه المقارنات نستنتج أنّ القدّيس أفرام يحصر هذا الجمال بالمسيح وأمّه، مستعملاً تعبيرين مختلفين لكلّ منهما (ܡܘܡܐ للمسيح و ܡܘܡܐ لمريم)، إنّما مترادفين؛ فاختلاف التعابير ليس للتركيز على اختلاف في الحالة بقدر ما هو لعدم التكرار في الأبيات الشعريّة.

يستعمل أفرام التعبير نفسه: وصمة (ܡܘܡܐ)، في أماكن أخرى من كتاباته، ولا تأخذ كلّها المعنى الذي نجده في النصّ هذا. إلاّ أنّه يميّز أنواع الوصمات: فتارة يتكلّم عن وصمة الخطيئة الجسديّة Mumay fagrâ[211]، المتأتّية من اقتراف الخطايا في الجسد المخلوق حسنًا في الأصل؛ أو وصمة الخطيئة الفكريّة Mumay Mahšabto التي يرتكبها خاصّة

٢١١ راجع أناشيد حول البتوليّة ٢ ،١٤.

أولـئك الـذيـن يسـعـون لإدراك سـرّ الألـوهـة بـقـوّتـهـم الـذاتـيّـة (وهـم عـلـى الأرجـح الآريوسيّون)[٢١٢]. أمّا هنا فهو من دون شكّ يتجاوز هذين البعدين نحو مرحلة أسمى، الحالة الكيانيّة الفريدة التي تميّز المسيح وأمّه فقط عن باقي الطبيعة البشريّة (وعن الآباء، الأنبياء والقدّيسين ضمنًا). فلا يعقل إذًا أن تكون هذه الوصمة ذات بعد أدبيّ تطبيقيّ فقط من ناحية عدم اقتراف الخطايا الآنيّة، بل هي تعلو إلى المستوى الكيانيّ، من حيث عدم اشتراكهم في ميراث آدم وحوّاء، فنستنتج من هذه المقارنة أنّ مريم كانت معصومة من كلّ وصمة الخطيئة بدءًا من الخطيئة الأصليّة.

والسؤال الذي يُطرح في هذا المجال هو عن ماهيّة مفهوم القدّيس أفرام للخطيئة الأصليّة. يقول هامّرسبرغر، باحث في علم آباء الكنيسة، إنّ النصّ الذي درسناه أنفًا، الموجود في أناشيد نُصَيبين، لا يمكن أن يُفهم من ناحية براءة مريم من الخطيئة الأصليّة، وذلك لسبب وجيه ومحقّ، ألا وهو أنّه لا يمكن أن يكون قد تكوّن لدى القدّيس أفرام مفهوم الخطيئة الأصليّة، ولا يمكننا أن نستشهد بكاتب ما لدعم عقيدة معيّنة إلاّ إذا أثبتنا أنّ هذا الكاتب قد تكلّم عليها فعلاً، وأنّه قد بلوَر مفهومًا واضحًا لها ولما يعارضها. وعليه، فلا نقدر أن نتأكّد من أنّ القدّيس أفرام قد فهم الخطيئة كنقص يلحق بالنفس منذ الولادة، أو أنّه في النصّ أعلاه يتكلّم على مفاعيل أو نتائج الخطيئة الأصليّة التي سبّبتها سقطة حوّاء في جنّة عدن.[٢١٣]

لو كنّا نكتب هذا البحث قبل خمسين عامًا، لكنّا اقتنعنا ربّما بوجهة نظر هامّرسبرغر. ففي السنة التي كتب فيها عمله، أي في سنة ١٩٣٨، لم يكن قد ظهر إلى العلن أحد أهمّ أعـمـال الـقـدّيس أفـرام، أقصـد بـه الـنصّ السـريـانـيّ الأصـلـيّ فـي شـرح إنـجـيـل تـاتـيـانـوس الدياتسّرون. فهذه التحفة كان فُقد نصّها السريانيّ، وكانت موجودة فقط مترجمة من الأصليّة إلى اللغة الأرمنيّة، فنشرت (بالأرمنيّة) سنة ١٨٤٦، ثمّ في سنة ١٨٧٦ نشر النصّ الأرمنيّ مع ترجمة لاتينيّة، إلى أن نشرها الأب لولوار سنة ١٩٥٣-١٩٥٤ بالأرمنيّة واللاتينيّة. ولكن سنة ١٩٥٧ وجد النصّ الأصليّ السريانيّ، فترجم سنة ١٩٦١ ونشر

---

٢١٢ راجع الأناشيد حول الإيمان ٨٧، ٣.

٢١٣ راجع: HAMMERSBERGER L., Die Mariologie der Ephremischen Schriften, Innsbruck, 1938, pp.57-58.

سنة ١٩٦٣ وسنة ١٩٦٥ . هذا العمل الذي لم يوله هامّرسبرغر أهميّة كبرى قادر اليوم أن يدحض نظريّته. ففي شرح الدياتسّرون يظهر بوضوح وعي القدّيس أفرام للخطيئة الأولى، أو المتوارثة، أو خطيئة حوّاء، خطيئة مشتركة بين كلّ الطبع البشريّ ونحملها لا بسبب عمل إراديّ خاطئ إنّما لحظة الولادة.

في شرح القدّيس أفرام للدياتسّرون نجد أمثالاً متعدّدة تؤكّد وجود مفهوم أوّليّ وواضح للخطيئة الأصليّة بشكل عام في كتابات أفرام، ولا سيّما في شرحه للدياتسّرون، فنجده مثلاً يقول:

"هذه هي حكمة اللّه، الإنسان الساقط قد أقامه الإنسان (أي المسيح المتجسّد). إنّ جسد آدم هو سابق لأهوائه الشرّيرة. وهذه الأهواء الشرّيرة كانت مرضًا أضيف على طبيعته السليمة. لذلك، لم يأخذها الربّ (حين تجسّد). لقد لبس الطبيعة البشريّة صحيحة، وهي التي فقدت صحّتها، كيما يعيدها إلى حالتها الأولى"[٢١٤].

في تحليل لهذا النصّ قد نقع في حيرة: أيّ إنسان يتكلّم عليه أفرام؟ أيقصد الإنسانيّة بشكل عام، أي آدم وحوّاء وذريّتهما، أم كلّ إنسان بشكل فرديّ. (الطبيعة البشريّة أم الأفراد). وكلمة "الساقط" ماذا تعني؟ أسقطة المعصية الأصليّة أم الخطايا الحياتيّة الآنيّة التي يقترفها الإنسان. وبالمقابل، يشدّد أفرام على النعمة الأصليّة أوالنقاوة الأصليّة التي سبقت كلّ خطيئة، وعلى الطبيعة السليمة التي أضيفت إليها الأهواء المنحرفة. من المرجّح بالنسبة لي أنّ هذه الأهواء، بحسب الأسلوب الأفراميّ، تشمل جميع بني البشر من دون استثناء، سوى المسيح الإنسان (ومريم إذا أخذنا بعين الاعتبار نصّ أناشيد نُصيبين)، وهذا يدلّ على إمكانيّة وجود مفهوم لخطيئة لن أدعوها أصليّة (لأنّ القدّيس أفرام لا يدعوها كذلك)، إنّما خطيئة أولى أو خطيئة مشتركة تمسّ الطبيعة البشريّة. فلو كانت خطيئة فرديّة نابعة من الحريّة الشخصيّة، لكان من البديهيّ أن لا يرتكبها المسيح وهو الإله الكامل والإنسان الكامل، ولما لزم لأفرام أن ينوّه أنّ "الربّ لم يأخذها"، أو على الأقلّ لقال "لم يرتكب خطيئة".

---

٢١٤ ديات ١، ١.

ويكمل أفرام شرحه قائلاً: "إنّ شمشون بفكّ حمار قتل العديد من الرجال[٢١٥]، والحيّة بواسطة حوّاء قتلت كلّ الجنس البشريّ"... وهنا، نتساءل حول السبب المباشر لموت الجنس البشريّ: نعرف أنّ السبب الأوّل هو الحيّة، والوسيلة هي معصية حوّاء. أمّا السبب المباشر لموت كلّ إنسان فما هو؟ أهل هي الخطيئة الأصليّة العاملة فيه، أم إنّ الموت هو من مفاعيل الخطيئة الأصليّة؟ بتعبير آخر، هل نرث الخطيئة الأصليّة، أم نرث فقط مفاعيلها؟

فلنحلّل المثل الذي أعطاه أفرام:

من ناحية، نجد أنّ سبب موت العديد من الرجال (كلّ أعداء شمشون الحاضرين أمامه من دون استثناء) هو فكّ الحمار. كلّهم ماتوا بطريقة واحدة؛ بفكّ الحمار، أو بمفاعيل ضربة الفكّ. ومعصية حوّاء كانت الوسيلة للشيطان والسبب الأوّل لدخول الموت إلى الجنس البشريّ بأسره. وكما أنّ العديد من الرجال ماتوا بسبب ضربة الفكّ، كذلك بالطريقة نفسها مات الجنس البشريّ بسبب الخطيئة الأولى.

إنّما الاعتراض قد يكون في الاختلاف في المثلين بين البعد التزامنيّ والبعد التتابعيّ، بين نسل حوّاء الذي جاء زمنيًّا بعدها وأعداء شمشون الذين كانوا في مواجهته معًا في المكان والزمان نفسيهما. ولو أنّ الموت بسبب فكّ الحمار قد طاول أولاد هؤلاء الرجال لأمكننا القول إنّ أفرام يقصد الخطيئة الأصليّة. هو اعتراض محقّ ولا شكّ، ومنطقيّ أيضًا. إنّما يجب أن لا ننسى أنّ الفارق هو أنّ حوّاء هي كائن حيّ، قبلت الخطيئة لمرّة واحدة في التاريخ، إنّما في كلّ كيانها؛ وهذا يعني أنّ هذه الخطيئة قد دخلت أيضًا تاريخ حوّاء ومستقبلها، وبإعطائها الحياة صارت تعطي هذه الخطيئة التي قبلتها في نفسها والتي جعلتها خيرها الأسمى بدل اللّه، فنقلتها إلى ذرّيتها كما كانت ستنقل القدرة على التألّه لو أنّها اختارت اللّه خيرها الأسمى، بينما الفكّ هو كائن ميت لم يختر الموت، إنّما كان مجرّد أداة من دون حريّة في يد شمشون، وهذا لا ينطبق بالمطلق على حوّاء. فكّ الحمار أعطى الموت للموجودين، وليس لأولادهم، وهذا صحيح، إنّما هو لا يزال هناك في الصحراء قادرًا أن يعطي الموت لأولادهم أيضًا بعد عشرين عامًا بواسطة شخص آخر. لذلك، علينا أن نفهم مغزى أفرام اللاهوتيّ الرمزيّ، وليس الحرفيّ من إعطائه المثل.

٢١٥ قضاة ٥، ١٥-١٦.

وفي مكان آخر يقول القدّيس أفرام: "على أثر سقطة آدم، ارتدت كلّ الخليقة السقوط، بحسب كلمة الرسول: لأنّ الخليقة قد أخضعت للباطل (روم ٨، ٢٠) وابن الخالق قد جاء يشفيها، كيما ينتزع لحظة مجيئه كلّ الأدران بعماد موته، كما قال هو نفسه: "قد أتت الساعة، يا أبتاه مجّد ابنك ليمجّدك ابنك" (يو ١٧، ١). لم يطلب هذا كمحتاج يريد أن يحصل على شيء ما، بل لأنّه أراد أن يرمّم كلّ شيء ويتمّم نظام الخليقة الأوّل. لقد طلب المجد الذي كان يرتديه حين كانت الخلائق متوشّحة بالمجد أيضًا، لأنّه، كما أنّه بنعمته قد خلق جوهر الخلائق كيما تكون **من دون وصمة** في المجد والقدرة التي كان هو يرتديها، هكذا، برحمة اللّه سيكون خلق جديد لكلّ شيء، **من دون أيّة وصمة** بالمجد الذي ارتداه"[٢١٦]. فبربطنا هذا النصّ النثريّ بالمقطع الشعريّ من أناشيد نصيبين الذي أوردناه آنفًا: "أنت وحدك وأمّك أبهى من كلّ جمال، إذ لا توجد بك وصمة يا سيّد، ولا لطخة في أمّك"، ماذا نستنتج؟

- إنّ اللّه قد خلق الإنسان في البدء من دون أيّة وصمة، في حال برارة واشتراك في الحياة الإلهيّة.
- إنّ الخليقة قد ارتدت كلّها الفساد بسقطة آدم.
- إنّ اللّه برحمته أراد أن يعيد الخليقة إلى برارتها الأولى، "بعماد موت" الابن، لتكون من دون أيّة وصمة.

في ما يتعلّق بحالة الإنسان الأولى لا داعي لأيّ جدل، خاصّة وأنّنا قد تكلّمنا عليها آنفًا، لأن ما من أحد يعارض هذه الحقيقة الكتابيّة. إنّما السقطة التي ارتدتها الخطيئة كلّها بسبب آدم، ما عساها تكون سوى الخطيئة الأصليّة. ولنفترض جدلاً أنّها ليست الخطيئة الأصليّة، سواء ادّعاها القدّيس أفرام خطيئة آدم، أو اللطخة التي لحقت بالبشريّة أو أيّ تعبير آخر، أليست هي خطيئة متوارثة عن معصية آدم وحوّاء؟

لولا وفاؤنا للمنهجيّة العلميّة وتخوّفنا من التسرّع في الاستنتاج لجزمنا أنّ هامّرسبرغر مخطئ في مقولته، إنّما فلنكمل النصّ: إنّ تبرير الإنسان وإعادته إلى المجد الأوّل الذي كان

---

٢١٦ ديات ١٩، ٢.

يرتديه لن يتمّ إلاّ من خلال موت المسيح، ونزوله إلى الجحيم، مثوى الأموات، ليخلّص آدم وذريّته (وعلى الأرجح هذا ما تعنيه عبارة عماد موته؛ ففعل ܥܡܕ يعني في السريانيّة إمّا اعتمد أو أيضًا غاص وغطس، وبهذا المعنى يعني الفعل غاص في مثوى الأموات ليخلّص آدم. ولكنّ هذا النصّ من الدياتسّرون محفوظ بالأرمنيّة، ولا بدّ أنّ المترجم من السريانيّة إلى الأرمنيّة قد فهم النصّ بمعناه الأوّل، وهذا ما يبرّر الغموض الذي يكتنف عبارة عماد موته). إذًا، شاء الربّ بموته أن يعيد إلى آدم، بمريم، ثوب المجد الذي كان فقده بالمعصية: "آدم، في عريه، كان جميلاً، وزوجته كانت ماهرة، فحاكت له ثوب أدناس، وحين رآه الفردوس مدنّسًا طرده خارجًا، إنّما بمريم قد حيك له ثوب جديد"[٢١٧]. إذا عدنا أيضًا إلى نصّ أناشيد نصيبين نجد المسيح ومريم فقط من دون هذه الوصمة، ونفهم فورًا غياب هذه الوصمة من شخص المسيح، الإله الكامل والإنسان الكامل. إنّما غيابها من شخص مريم يدعونا إلى السؤال حول سبب هذا الغياب ومعناه، والذي يساويها في هذه الناحية بالمسيح؟ ما مردّ هذه البرارة في شخص مريم؟ قد يكون إمّا امتيازًا إلهيًّا وإنعامًا خاصًّا لتتميم مخطّط الله الخلاصيّ مبرّرًا مريم مسبقًا بطريقة تفوق الطبيعة، وإمّا تبريرًا لمريم كما لكلّ الجنس البشريّ وفي الوقت نفسه. فإذا كانت الفرضيّة الثانية صحيحة، فلماذا حصر أفرام هذه البراءة من الخطيئة فقط في المسيح ومريم ولم يذكر سائر الخلائق التي عادت مع مريم إلى مجدها الأوّل؟ إنّ فصل أفرام لمريم عن سائر الجنس البشريّ من ناحية البراءة من خطيئة آدم وحوّاء هو، ولا شكّ، امتياز لمريم، ومن خلالها للجنس البشريّ بأسره، إذ يتمّ تبريرها بطريقة استثنائيّة لتتميم سرّ الفداء. وهكذا تضحي مريم مشاركة للجنس البشريّ في الحاجة العامّة للفداء بواسطة المسيح، إنّما بطريقة مميّزة لتضحي حريّتها ناطقة باسم الجنس البشريّ بأسره. وهكذا لا تضحي عمليّة فدائنا من جانب واحد، من دون أيّ دور للحريّة الإنسانيّة في الاختيار والقبول، بل تضحي إنسانيّتنا بأسرها شريكة في الفداء بواسطة شخص مريم.

أمّا في أناشيد نصيبين فيتكلّم القدّيس أفرام عن الخمير الموجود في جميع البشر، فيقول: "قد نظرت الأنبياء والصدّيقين، قال الشرّير لصحبه، ورغم شدّة فضيلتهم وجدت

---

٢١٧ أناشيد الفردوس ٤، ٥.

نسمة منّي في جبلة بني البشر، فهي (جبلة بني البشر) مقترنة بخميرنا"[218]. وهذا الخمير لا يمكن أن يُقصد به الخطايا الآنيّة والشخصيّة التي يقترفها بنو البشر، وإلاّ فكيف نفسّر وجودها في الأطفال أيضًا: "قد نظرت في الأطفال بني الصدّيقين، والرضّع بني العفيفات، ونظرت إليهم في الحشا واحدًا فواحدًا، وأبصرت خميرنا فيهم"[219].

لذلك، لسنا نوافق هامّرسبرغر القول أن لم يكن لأفرام أيّة فكرة أو تصوّر للخطيئة الأصليّة، وأوافق رأي القائل إنّ التعبير بحدّ نفسه لم يكن موجودًا. إلاّ أنّ هذا لا ينفي مطلقًا وجود مرادف له، مختلف لغويًّا، يحمل المعنى نفسه. إنّ المشكلة هنا تكمن في علاقة مريم بخطيئة حوّاء، وتعليم أفرام يبدو واضحًا جدًّا من ناحية اقتناعه بتقديس مريم ساعة البشارة بواسطة الروح القدس، وهو تعليم مشترك بينه وبين مجمل آباء الكنيسة الشرقيّة. بهذا الصدد نجد نصوصًا متعدّدة، كتبها أفرام، ومنها النشيد السابع عشر في حوار مريم والملاك ساعة البشارة، وشرحه لنصّ لوقا في بشارة الملاك لمريم العذراء حيث يقول: "فقالت له مريم: كيف يكون هذا وما عرفني رجل؟ فأجابها الملاك: إنّ الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلّلك". لماذا لم يذكر الملاك اسم الآب، بل بالحريّ قوّة العليّ والروح القدس؟ لأنّه من الأنسب أن يأتي مهندس الخلائق ويبني الهيكل المتهدّم، وأن يقدّس الروح القدس بناره الهيكل الملطّخ. إن كان الآب قد أعطى الابن الدينونة في الزمن الآتي، فمن المؤكّد أنّه بواسطته خلق الإنسان وأدّبه. هو كان الجمرة التي جاءت تشعل النار في العوسج والأشواك (تك ١٨/٣). قد حلّ في الحشا ونقّاه، فقدّس موضع آلام الولادة واللعنات (تك ١٦/٣). إنّ الشعلة التي رآها موسى تلهب العلّيقة، والعلّيقة تشتعل وتقطر دهنًا، ولا تحترق، إنّما كانت صورة للذهب المنقّى، وصورة لهذه النار الحيّة التي ظهرت في ملء الزمن وحلّت في حشا العذراء وألهبته وحفظته على غرار فعل النار في العلّيقة"[220].

شرح رائع يعيدنا إلى سفر التكوين، فنرى الجنس البشريّ الساقط الذي دعاه أفرام البناء المتهدّم يعود فيرتفع بواسطة مريم. والأرض التي أصابتها لعنة حوّاء فأصبحت تنبت

---

٢١٨ أناشيد نصيبين ٣٥، ٨.

٢١٩ أناشيد الفردوس ٣٥، ١٢.

٢٢٠ ديات ٤، ٢٤.

الشوك والعوسج عادت فأعطت الغلال بمريم وحشا حوّاء الذي أضحى بالآلام يلد البنين قد تقدّس بواسطة الروح القدس في مريم. يجب أن لا نفهم هنا فعل قدّس بمعنى أنّه نزع الخطيئة أو الإثم، فإنّ فعل ܩܕܫ في اللغات الساميّة لا يعني فقط إضفاء طابع القداسة على كائن ما، إنّما يعني أنّ ما تقدّس أصبح مفصولاً عن باقي الأشياء أو عن الجماعة، وصار في تصرّف الربّ. بهذا المعنى قد تقدّس حشا مريم بحلول الروح القدس، وقد لايعني هذا بالضرورة أنّه كان ملعونًا ثمّ أصبح طاهرًا، إنّما يعني أيضًا أنّه قد اختير من بين سائر الأحشاء، وفصل بنعمة خاصّة وفريدة كيما يكون مقدّسًا للربّ. ولهذا يدعى الراهب المتبتّل في التقليد السريانيّ قدّيسًا، إذ نذر ذاته للربّ من دون شريك آخر فأضحى ملكه. وقدّوس الله هو مسيحه، أي الذي اختاره الله وفصله[٢٢١]. وبهذا المعنى كان شمشون وأشعيا ويوحنّا المعمدان قدّيسين، إذ قد فصلوا باختيار ونعمة إلهيين، وأوكلوا مهمّة إعلان كلمة الله. بقوله قدّس الحشا، أو الحشا المقدّس، ينبغي أن نفهم الحشا الطاهر من حيث العذريّة لا من حيث دنس الخطيئة. ولذلك يستعمل أفرام فعل قدّس متكلّمًا على المسيح، قاصدًا معنى الفصل لخدمة الربّ، فيقول في الأناشيد حول سيّدنا يسوع المسيح: "فحين كان سمعان يقدّس جسد الطفل الذي يقدّس الجميع نال جسدُه الكهنوت بتقديسه"[٢٢٢]. ومن البديهيّ أنّ المسيح لا يحتاج إلى تقديس وهو الله، إنّما التقديس الذي تكلّم عليه أفرام وجعله مصدر كهنوت المسيح، هو أنّه قد فصل على يد سمعان، بصورة نبويّة، ليكون ككلّ إسرائيليّ، وقفًا للربّ. وأهمّ دليل على ذلك هو البعد الكهنوتيّ الذي رآه أفرام نتيجةً لهذا الفصل. وبهذا المعنى فقط يمكننا أن نفهم تقديس حشا مريم من دون أن يولد تناقض غير منطقيّ في محتوى نصوص أفرام. بواسطة حشا مريم الذي تقدّس، أي فُصل ليكون ملكاً للربّ فقط، قد تغيّر نظام الطبيعة، فأزيلت اللعنة عن الجنس البشريّ بالبركة التي حلّت على ابنة الآب التي "لا وصمة فيها" كما يردّد أفرام مرارًا. والأرض التي كانت تعطي شوكًا باتت تعطي بركات. وحشا حوّاء الذي لعن قد استبدل بمريم حوّاء الجديدة، التي لم تعرف ألم الولادة وأعطت المسيح كيما يموت عن الجميع محرقة كاملة للربّ بدل قايين

---

٢٢١ راجع عدد ٦، ٥.

٢٢٢ أناشيد حول السيّد المسيح ٥٥.

ابن حوّاء الذي قتل أخاه لأنّ محرقته كانت غير مقبولة. بهذا المعنى علينا أن نفهم النصّ الأفراميّ. فالبناء المتهدّم ليس هو مريم، إنّما هو البشريّة التي أعطيت الخلاص بواسطة والدة الإله. والهيكل المدنّس ليس هو حشا مريم، إنّما حشا حوّاء وبناتها الذي نال تقديسه بواسطة من يأتي من حشا مريم. بهذا المعنى يقول أفرام: "لقد قلب الأنظمة حشا أمّك"[٢٢٣]. إنّ حشا مريم أضحى ممثّلاً لما كان حشا النساء عليه في البدء، وما يجب أن يُضحِيَه مجدّدًا، أي أن يخلص من لعنة الخطيئة، وآلام الولادة هي أحد مفاعيلها (ولهذا لم تقاسها مريم)، فيقول القدّيس أفرام: "طوبى لكِ أيّتها القصر، قصر الملك، الذي بابه أكبر من المائتين (بمعنى ممنوع)، الملك الممجّد قد حلّ داخلك، ليكون حبّه سورًا لجمالك، وحشاك قد هرب من فساد اللعنة. بواسطة الحيّة حلّت آلام النساء، و(بك) يخزى ذلك القذر إذ يرى أنّ فساده غير موجود في حشاك"[٢٢٤].

إنّ طهارة مريم الكاملة والتامّة وجدت اكتمالها ساعة البشارة بحلول الروح القدس عليها وبطاعتها الشخصيّة، فتقدّست وجعلت ملكًا للسيّد وحده ومسكنًا له. إنّما هذه الطهارة التّامة قد عاشتها مريم منذ لحظة ولادتها كما نجد في إنجيل يعقوب المنحول، الذائع الصيت في زمن أفرام ومصدر غالبيّة التقاليد الشعبيّة المريميّة، قد نذرت لخدمة الربّ فقدّمت إلى الهيكل في اليوم الثامن، وفي عمر الثالثة ذهبت للسكن في الهيكل تهذّ في الكتب المقدّسة وتتأمّل كلمة الله ليلاً ونهارًا فلم تعرف الخطيئة سبيلاً إليها.

ويصرخ أفرام بنشيد رائع مخاطبًا الربّ قائلاً: "وحدك يا ربّ من دون وصمة خطيئة ووحدها أمّك دون ايّة لطخة". ألا يدفعنا هذا للتفكير في امتياز مريم الفريد الذي تكلّم عنه البابا بيّوس التاسع معلنًا عقيدة الحبل بلا دنس؟

فكرة أخرى ملفتة يجدر بنا التوقّف عندها ليكتمل بحثنا، إذ يقول أفرام في تفسير الدياتسّرون: "إنّما، كما أنّ الأجساد نفسها قد خطئت وماتت، وأنّ الأرض، أمّها، قد لُعنت، هكذا أيضًا بفضل هذا الجسد (المسيح الإنسان) الذي هو نفسه الكنيسة التي لا يطالها الفساد، كانت أرضه مباركة منذ البدء. إنّ الأرض هو جسد مريم، هذا الهيكل الذي في

---

٢٢٣ أناشيد الميلاد ١١، ٧.

٢٢٤ أناشيد البتوليّة ٢٤، ١١.

داخله قد وضع الزرع. أنظر الملاك يأتي ويضع الزرع في أذن مريم[٢٢٥]. بهذه الكلمة الجليّة قد بدأ يزرع: السلام معك، مباركة أنت بين النساء. وأليصابات قد أكّدت هذه الكلمة، قائلة مرّة جديدة: "مباركة أنت بين النساء. فيظهر هكذا أنْ بسبب الأمّ الأولى التي كانت ملعونة، حملت الأمّ الثانية لقب مباركة"[٢٢٦].

إنّ هذه المقارنة بين حوّاء ومريم، مرّة جديدة، تعلن بشكل قاطع اختلاف مريم الكيانيّ عن حوّاء وكلّ نسلها، لا من ناحية الطبيعة، لأنّها بالطبيعة ابنتها، إنّما من ناحية كيانها الذي لم تطله خطيئة أمّها، بل أصبحت بالنعمة والدة أمّها للحياة الجديدة بالمسيح.

المحيّر في هذا النصّ هو تشبيه مريم بالأرض التي أخذ منها آدم. ونعلم من الكتاب المقدّس أنّ هذه الأرض كانت بريئة في البدء، أي عندما خُلقت، ثمّ لعنت بسبب خطيئة آدم (راجع تك ٣، ١٧)، وبهذا المعنى يقول القدّيس أفرام:

"أنت يا ربّ علّمني كيف ولماذا حسُن لديك أن تولد من حشا بتول؟ أهكذا أيضًا صورة آدم في نقاوتها الأصليّة، جُبلَت من الأرض العذراء...؟"[٢٢٧]، وبالتالي نسأل هل هذه اللعنة تطول مريم التي يدعوها أفرام الأرض الجديدة؟ وبالمقابل نجد نصوصًا أخرى شبّه فيها أفرام، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، العذراء مريم بجنّة عدن التي منعت عن آدم وحوّاء إثر الخطيئة.

إنّ السؤال الذي يطرح هنا هو: هل الخطيئة التي اقترفها آدم وحوّاء قد طاولت أيضًا جنّة عدن أم لا. هل جنّة عدن، أو الفردوس، هي نفسها الأرض التي لُعنت بسبب خطيئة الإنسان، أم إنّهما مكانان–حالتان مختلفتان. وإن كانا واحدًا، فما الضرورة في أن يضع الربّ الإله كروبًا وسيفًا ناريًّا ليحرس باب الجنّة لئلاّ يدخلها الإنسان ثانية؟

نجد جوابًا واضحًا لهذا السؤال في عملين خُطّا بقلم القدّيس أفرام وهما من الأهميّة بمكان، أعني بهما تفسير سفر التكوين عامّة، حيث نجد تعليم أفرام حول الخلق والمجد

---

٢٢٥ راجع حول الحبل بواسطة السماع conceptio per aurem في مريم حوّاء الجديدة.

٢٢٦ ديات ٤، ١٥.

٢٢٧ أناشيد الميلاد ٢، ١٢.

الأوّل في الفردوس والسقطة والخروج من جنّة عدن، وفي أناشيد الفردوس بشكل خاصّ، حيث نجد شرحًا مفصّلاً يوسّع اختصار شرح سفر التكوين.

والهدف من بحثنا هذا هو معرفة أيّة أرض عناها أفرام بتشبيهه لمريم: أهي شبيهة بالأرض التي أخذ منها آدم وحوّاء، وبالتالي تضحي مريم وريثة لخطيئة جدّيها، أم إنّ القدّيس قد عنى أرض الفردوس حيث نبتت شجرة الحياة، التي ترمز للمسيح؟ وبالتالي نطرح سؤالاً آخرًا: هل أرض الفردوس هذه تختلف عن الأرض التي لعنت بسبب الخطيئة أم إنّ كلتيهما واحدة، وبالتالي فالخطيئة الأولى قد طاولت الأرض التي نبتت فيها شجرة الحياة؛ وبهذا نستنتج أنّ أفرام لا يستثني مريم من وصمة خطيئة آدم وحوّاء، الخطيئة التي دعيت فيما بعد الخطيئة الأصليّة؟

في تفسيره للفصل الأوّل من سفر التكوين، يقول القدّيس أفرام: "أثمروا واكثروا واملأوا ليس الفردوس، إنّما الأرض"[٢٢٨]، ما يعني أنّ الأرض التي ستلعن نتيجة خطيئة الإنسان ليست هي نفسها الفردوس، الأرض التي نبتت شجرة الحياة في وسطها.

ويكمل أفرام مؤكّدًا: "فإن كان قد خلق الإنسان بالبركة، فقد خُلق وتبارك ليتسلّط على الأرض وعلى كلّ ما فيها. فالسماح بحلوله (الإنسان) في الفردوس قد أظهرت البركة سبق معرفة الله، وبإسكانه (الإنسان في الفردوس) الذي سكنه ظهر عظم رحمته. لئلاّ يقال إنّ الفردوس لم يخلق لأجله (لأجل الإنسان) قد أسكنه هناك في الفردوس. ولئلاّ يُقال إنّه (الله) لم يكن يعرف إنّ (الإنسان) سيخطأ لم يباركه في داخل تلك الأرض (الفردوس)...وهكذا لم يباركه في الفردوس، لأنّ ذلك المكان وكلّ ما فيه كان مباركًا. قد جاء وباركه في الأرض التي ستلعن بعدها بعدله..."[٢٢٩]. نستنتج إذًا أنّ الفردوس ليس هو نفسه الأرض التي لعنت بسبب خطيئة آدم فصارت مصدر ألم وأشواك، كما يقول أفرام "ودهشت لمّا اجتزت أسوار الفردوس. بقيت وحدي وعادت المسرّات رفيقاتي أدراجها. ولمّا بلغت شاطئ الأرض أمّ الأشواك، لاقتني الأوجاع والأحزان من كلّ صنف، فهمت أنّ مكاننا، بالمقارنة مع

---

٢٢٨ راجع: في شرح سفر التكوين ١، ٣٠ التي نشرها أ. بيك في C.S.C.O. 153, Louvain p.24.
٢٢٩ في شرح سفر التكوين ١، ٣١.

ذاك المكان، لهو سجن، يبكي فيه السجناء ساعة يخرجون منه"[٢٣٠]. إنّ نصّ الدياتسّرون يوضح أنّ مريم هي الأرض الأولى التي منذ البدء لم يطلها الفساد. وهي إذًا في هذا النصّ على الأقلّ، الأرض الأولى، وليست الفردوس. إنّما في نصوص أخرى يشبّه أفرام العذراء مريم بالفردوس الذي فيه نبت المسيح، شجرة الحياة[٢٣١]، فهل القدّيس يناقض نفسه سهوًا أم إنّ هناك سببًا آخر لهذا التناقض؟

كما أوردنا سابقًا، إنّ سرّ مريم لا يمكن أن ينفصل عن سرّ المسيح. ومعالجة القدّيس أفرام للسرّ المريميّ كان يهدف للدفاع عن السرّ المسيحانيّ وليوصل العقيدة المستقيمة إلى أبناء كنيسته المحليّة. وبالتّالي نفهم أنّ هذا الاختلاف في رمزيّة مريم بين الأرض الجديدة تارةً وفردوس عدن طورًا آخر هو اختلاف مرتبط بالصورة الكريستولوجيّة التي أراد أفرام إيصال حقيقتها. في النصّ الذي أعلن فيه أفرام القدّيسة مريم أرضًا جديدة كان بمثابة نقطة انطلاق ليعلن، بطريقة غير مباشرة، حقيقة المسيح كآدم الجديد الذي سيجدّد الخلق ويعيد الإنسان إلى سابق عهده في علاقته بالله، آدم الجديد الذي سيطيع حتى موت الصليب ليتمّم مشيئة الله ويتمّم ما كان على آدم الأوّل أن يقوم به. كما خرج آدم الأوّل من الأرض خارج الفردوس، ثمّ وضعه الله في الفردوس ليعطيه إمكانيّة المشاركة في الحياة الإلهيّة[٢٣٢]، هكذا يخرج المسيح من مريم الأرض الجديدة، المشابهة بحالتها للأرض الأولى التي لم تكن بعد قد لعنت من جرّاء خطيئة آدم. ومن ناحية أخرى نرى أنّ تشبيه مريم بالفردوس يكون غالبًا في إطار كلام القدّيس أفرام عن المسيح ليس كآدم الجديد إنّما كشجرة الحياة الجديدة (بشكل حقيقيّ وليس رمزيّ) ليعطي ثمرة الحياة لآدم بطاعته للآب لا بالمعصية كما فعل آدم الأوّل: "إنّ العليّ، إذ عرف أنّ آدم يريد أن يكون إلهًا، أرسل له ابنه كيما يكون قادرًا على تحقيق هذه الرغبة"[٢٣٣]، وبهذا المعنى تضحي مريم العذراء جنّة عدن الجديدة، (أيضًا بشكل حقيقيّ لا رمزيّ)، في داخلها ينبت المسيح شجرة الحياة.

---

٢٣٠ أناشيد الفردوس ٥، ١٣.

٢٣١ أناشيد الفردوس ٥، ١٣.

٢٣٢ راجع تفسير سفر التكوين ١، ٣١.

٢٣٣ مار أفرام السريانيّ، أناشيد نصيبين ٦٩، ١٢.

نستنتج إذًا أنّ هذا الاختلاف في دور مريم في عمل الخلاص، بين أرض جديدة وجنّة عدن جديدة، لا ينتج عن تناقض في فكر أفرام، فكلّ صورة قد وضعت في إطارها، وأخذت بعدًا خلاصيًا، وكلتاهما تؤدّيان بنا إلى النتيجة نفسها، فنجد أنّ مريم لم تخضع للخطيئة في كلتا الحالتين، وتضحي بالتالي وسيلة تجديد الخليقة بواسطة المسيح ابنها.

فما هو هذا الفردوس الذي رأى فيه القدّيس أفرام صورة للعذراء مريم؟ أهو مكان أم حالة روحيّة نهويّة، مكان لقاء حميم بين اللّه والإنسان؟

في البدء، كما أسلفنا، خلق آدم وحوّاء من الأرض المباركة، لأنّ الخطيئة لم تكن ارتكبت بعد، ورغم قداسة هذه الأرض لم تكن هي نفسها الفردوس؛ وبهذا الصدد يقول القدّيس: "من الأرض كوّنت آدم، وخلقت أمّك... لم تنبثق من نفسك إنّما ولدت من الآب، وارتضيت أن تسكن في مريم"[٢٣٤]. وبعد خلقه، أُسكن آدم الفردوس، وكما يقول الكتاب المقدّس كان اللّه حاضرًا يتمشّى في أرجاء الجنّة. الفردوس، بحسب أفرام، معدّ للإنسان فقط، وما كان بمقدور أيّ كائن آخر أن يدخل إليه ولا حتّى الحيّة: "لم يكن باستطاعة الحيّة الدخول إلى الفردوس، لأن لا الحيوانات ولا الطيور كان يحقّ لها الاقتراب من سوره الخارجيّ. خرج آدم إليها، علمت بحيلة قصّة الفردوس باستفسارها من حوّاء عمّا هو وأين هو موجود"[٢٣٥]. إذًا فالأرجح أنّ الفردوس هو حالة نهويّة معدّة للإنسان فقط، للقاء الإله والاتحاد بالحبّ الإلهيّ.

شجرة الحياة، الشمس التي تنير الفردوس، هي المسيح الذي يعطي الإنسان القوت الإلهيّ والوسيلة للتألّه، وهي في وسط الجنّة تنيرها. شجرة معرفة الخير والشرّ، الشجرة الثانية في جنّة عدن، يشبّهها أفرام بالحجاب الذي كان يغطّي قدس الأقداس في هيكل أورشليم، فيقول: "وإنّ شجرة المعرفة التي توشّحت الوصيّة قد صارت حجاب باب الهيكل المقدّس. قد عرف (الشرّير) أنّ تلك الثمرة هي مفتاح العدل، إذ يفتح أعين

٢٣٤ أناشيد الميلاد (رحماني)، منشورة باللغة الفرنسيّة راجع: S. Ephrem le syriaque, Chant pour la nativité, trad. B. hino et C. Saleh, ed. Harmattan, Paris 1996, p.146.

٢٣٥ أناشيد الفردوس ٣، ٤.

الجسورين على العدالة"[٢٣٦]. نستنتج إذًا أنّ مفهوم شجرة معرفة الخير والشرّ يتخطّى المعنى الحرفيّ للتسمية ليأخذ بعدًا أعمق يرتبط بالحريّة الإنسانيّة ودورها في مسلسل الخلاص. كون شجرة معرفة الخير والشرّ موضوعة كحجاب للهيكل لا يعني أنّها موجودة لتردع الإنسان عن نيل الألوهة من شجرة الحياة؛ إنّما لتذكّره بدور اللّه الأساسيّ في التألّه الإنسانيّ. إنّ تشبيه هذه الشجرة بحجاب الهيكل يجعلنا نتأكّد أكثر فأكثر من هذه الفرضيّة؛ فحجاب الهيكل لا يبغي فصل الشعب عن قدس الأقداس إلاّ حماية له. فبالنسبة للشعب القديم، ما إنْ أحد يعاين وجه اللّه ويحيا، وشجرة الخير والشرّ تقوم بالعمل عينه، "لتفتح أعين الجسورين على العدالة" لئلاّ يموتوا إذا أكلوا من شجرة الحياة من دون استعداد.

هيكليّة الفردوس بالنسبة للقدّيس أفرام:

إذًا كما أسلفنا، لا شكّ في أنّ الفردوس هو حقيقة، وعلى الأرجح حالة كيانيّة معدّة للإنسان فقط كمكان لقاء حبّ بين اللّه والإنسان. جعلت قبل خلق الإنسان، في اليوم الثالث بحسب أفرام: "وجعل اللّه جنّة عدن من القديم، ووضع هناك آدمَ الذي جبله. وقد قال (موسى) من القديم، قاصدًا أرض الفردوس، لأنّه قد جعلها في اليوم الثالث...وشجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ في وسطه"[٢٣٧].

والفردوس ينقسم إلى ثلاثة أماكن: السياج الخارجيّ، مكان أفراح وجمال، وضع فيه آدم بعد أن خطئ[٢٣٨]، وحيث ينتظر المؤمنون القيامة الأخيرة[٢٣٩] وحيث هم الذين خطئوا دون معرفة[٢٤٠].

بعدها يأتي وسط الفردوس حيث شجرة معرفة الخير والشرّ تفصل كالستار الإنسان عن شجرة الحياة. وفي القسم الأعلى من الفردوس نجد شجرة الحياة، شمس الفردوس ومصدر الحياة.

---

٢٣٦ أناشيد الفردوس ٣، ٥.
٢٣٧ في شرح سفر التكوين ٢، ٥.
٢٣٨ راجع أناشيد الفردوس ٢، ٧.
٢٣٩ راجع أناشيد الفردوس ٨، ١١.
٢٤٠ راجع أناشيد الفردوس ١، ١٦.

هذا الفردوس لم تطله إذًا لعنة اللّه لآدم وحوّاء، وليس هو نفسه الأرض أمّ الأشواك، السجن ومكان الأحزان، بل لا مكان فيها للموت: "أراد آدم الملوّث الدخول إلى قدس الأقداس (شجرة الحياة) الذي يحبّ الشبيهين به (الأنقياء). وإذ تجاسر وأراد أن يدخل إلى الخباء الداخليّ، لم يدعه يطأ (ولا حتى السور) الخارجيّ، رأى بحرُ الحياة جثّة في حضنه، فلم يبقها فيه بل طرحها خارجًا"[٢٤١]. قد حافظ فردوس عدن على نقاوته الأولى ولم يتأثّر مطلقًا بخطيئة آدم وحوّاء.

وهكذا ننتقل إلى معالجة النصّ الذي أوردناه سالفًا، مقتطفٍ من تفسير الدياتسّرون: "إنّما، كما أنّ الأجساد نفسها قد خطئت وماتت، وأنّ الأرض، أمّها، قد لُعنت، هكذا أيضًا بفضل هذا الجسد (المسيح الإنسان) الذي هو نفسه الكنيسة التي لا يطولها الفساد، كانت أرضه مباركة منذ القديم. إنّ الأرض هي جسد مريم، هذا الهيكل الذي في داخله قد وضع الزرع".

مرّة جديدة يطالعنا نصّ أفراميّ غنيّ بالمقارنات:

بشكل مباشر:

آدم–المسيح

الأرض–مريم

جسد آدم الفاسد بالخطيئة– جسد المسيح الذي هو نفسه الكنيسة التي لا تفسد بالخطيئة.

وبشكل غير مباشر:

كلمة الحيّة في أذن حوّاء– كلمة الملاك في أذن مريم.

حوّاء: ملعونة أنت– مريم: مباركة أنت.

ومقارنة بين نصّي شرح الدياتسّرون ٤، ١٥ وتفسير سفر التكوين ٢، ٥، نجد القدّيس

---

٢٤١ أناشيد الفردوس ٤، ٢.

أفرام يستعمل كلمة مشتركة ملفتة للأنظار ليتكلّم عن مريم في النصّ الأوّل وعن الفردوس في الثاني، وهي "منذ القديم" (ܡܢ ܩܕܝܡ في نص التكوين وܡܢ ܠܩܘܕܡܝܢ في نص الدياتسّرون). وقد أوردنا آنفًا شرح أفرام لكلمة منذ القديم المرتبطة بالفردوس، موضحًا أنّها قد خلقت في اليوم الثالث، أي قبل خلق الإنسان، الجذر نفسه يستعمله أفرام متكلّمًا عن العذراء مريم، إنّما بصيغة الجمع، إمّا لتقوية المعنى أو كنوع أدبيّ. في أمكنة أخرى يشبّه أفرام مريم بالفردوس:

– المسيح هو شجرة الحياة التي نبتت في غرسها الله في وسط الفردوس (تكوين٢، ٩). ومريم هي الأرض التي فيها غرس المسيح، وبالتالي فهي الفردوس (دياتسّرون١٥:٤). وإن كان الفردوس كما قلنا سابقًا هو حالة كيانيّة، جعل فقط للإنسان ليعاين وجه الله بعلاقة حبّ وصداقة، فمريم قد كوّنت في فكر الله قبل الخطيئة لتكون هذا الفردوس الذي فيه سينمو المسيح، شجرة الحياة الحقيقيّة، ليكون به التألّه مستطاعًا لسائر الجنس البشريّ. ولهذا بقيت مريم مصانة من كلّ وصمة خطيئة، بدءًا بصونها، بفضل ابنها وليس باستحقاق شخصيّ، من خطيئة آدم وحوّاء التي أورثاها لكلّ الطبع البشريّ. لهذا يستعمل القدّيس أفرام عبارة "منذ القديم" التي استعملها بشكلها المفرد في شرح حالة الفردوس في سفر التكوين.

وعلى ضوء ما تقدّم، نكمل مع القدّيس أفرام التحليل المنطقيّ: إن كان المسيح هو شجرة الحياة التي نبتت في الفردوس الذي، كما أثبتنا، لم تطله لعنة الخطيئة ولا نتائجها، والفردوس هو نفسه جسد مريم الذي في وسطه، كما في جنّة عدن قد نبت المسيح شجرة الحياة، ومريم هي الفردوس، فمن البديهيّ والمنطقيّ إذًا أنّ أفرام يقول إنّ مريم لم يطلها أيّ أثر من خطيئة ذويها، بل ظلّت معصومة من أيّة وصمة كجنّة عدن التي حرسها ملاك ذو رمح[٢٤٢]. طبعًا لم يقل أفرام إنّ العذراء مريم هي معصومة من الخطيئة الأصليّة، لأنّ هذا التعبير (إنّما ليس فكرة الخطيئة الأصليّة كما يقول هامرسبرغر)، لم يكن موجودًا على أيّام أفرام، إنّما فضل قدّيسنا أنّه قد صاغ بالمرادفات المتوافرة لديه تعليمًا عميقًا وصحيحًا حول

٢٤٢ راجع أناشيد نصيبين ٣٦، ٧، وأيضًا الأناشيد المحفوظة باللغة الأرمنيّة ٤٩، ٩ (ترجمة إنكليزية) راجع:
S. BROCK, L'œil..., p.331.

عصمة مريم من أيّ دنس خطيئة، شخصيّة أم متوارثة. ولذلك يقول القدّيس أفرام في أناشيد مريم: "شجرة الحياة المحتجبة في الفردوس[٢٤٣] في مريم قد نبتت وفيها أينعت، وفي ظلالها جلست الخليقة، وهي نشرت ثمارها على الأقربين والأبعدين"[٢٤٤].

وفي قراءته التيبولوجيّة للكتاب المقدّس لم يحصر القدّيس أفرام الفردوس بحالة ما قبل الخطيئة، فالفردوس قد جُعل للإنسان، مكان وحالة لقاء باللّه لاكتمال الجوهر الإنسانيّ، المخلوق على صورة اللّه ومثاله، بالتألّه. ولو أنّ الفردوس بقي مغلقًا إلى الأبد بسبب خطيئة الإنسان لأضحى اللّه غير صادق في وعده وهو القائل: "وأنا قلت إنّكم آلهة". لذلك يقول القدّيس أفرام: "ولئلاّ يقال إنّه (أي اللّه) لم يكن يعرف أنّ آدم سيَخطأ، لم يباركه في داخل تلك الأرض (أي الفردوس)، وقد باركه قبيل أن يَخطأ لئلاّ تعود إلى المبارِك بركاته، فيعود العالم إلى العدم بسبب خطيئة ذاك الذي من أجله خُلق كلّ شيء"[٢٤٥]. إذًا فبسبب البركة، التي تعني الوعد بالميراث الإلهيّ، لم يعد الوجود إلى العدم بسبب الخطيئة، لأنّ اللّه صادق في وعده ولا رجوع عن كلمته. لذلك ارتدى هذا الفردوس، بسبب الرحمة الإلهيّة، شكلين آخرين: مريم العذراء، والكنيسة، بهما أضحى ممكنًا العودة إلى بيت الآب السماويّ.

بهذا المعنى نفهم، بشكل أوضح، الشرح الذي أوردناه في تفسير الدياتسّرون [٢٤٦]. الكنيسة إذًا هي جسد المسيح الحقيقيّ. وبهذا تضحي شجرة الحياة التي تقود الإنسان، بالعماد والأفخارستيا، نحو التألّه، وبهذا تضحي مريم أمّ الكنيسة بما أنّها أمّ المسيح بالجسد، والكنيسة هي الجسد الحقّ.

إنّما الكنيسة هي أيضًا خازنة الأفخارستيا، ثمرة شجرة الحياة. فالكنيسة أيضًا فردوس جديد، يجعل لقاء الإنسان باللّه مستطاعًا. والكنيسة، كمريم، أمّ للمسيح، ولهذا الكنيسة

---

٢٤٣ تك ٣، ٦.

٢٤٤ المسيح شجرة الحياة النابتة من جنّة عدن الجديدة مريم لم تحد نعمتها بشعب إسرائيل، بل إنّ الخلاص الذي حقّقه المسيح قد طال بواسطة مريم كلّ الشعوب وكلّ المخلوقات، فأضحت مريم بهذا الأمّ الجديدة التي ولدت الإنسان والكون بالنعمة.

٢٤٥ في شرح سفر التكوين ١، ٣١.

٢٤٦ ديات ٤، ١٥.

ومريم عند القدّيس أفرام واحد، لذلك يقول: "لقد استبدل يشوعَ بن نون بيوحنّا الذي كان بتولاً وأوكل إليه مريم، كنيسته، كما أوكل موسى قطيعه إلى يشوع (تث ٣١، ٧-٨)"[٢٤٧]. وفي أناشيده عن الإيمان يقول أفرام: "لقد تحوّلت إلى (اللؤلؤة) إلى مريم التي كنت رأيت هناك ثمرتها المباركة. لقد أصبحت الكنيسة والابن في داخلها، صورة عن الغمامة التي تحملها، ورمزًا للسماوات حيث أشرق بهاؤها الساطع"[٢٤٨].

الفردوس احتضن شجرة الحياة لتعطي ثمرتها للإنسان فيتألّه؛ مريم احتوت المسيح المتجسّد وصارت أمًّا له لتعطيه للعالم فيحيا، فيضع أفرام هذه الكلمات على فم العذراء: "لست أغار، بنيّ، إن كنت معي ومع الجميع. كن إلهًا مع الذي يعترف بك، وكنْ سيّدًا للّذي يخدمك، وكن أخًا لمن يحبّك، كيما تحيي الجميع"[٢٤٩]، فيضحي المسيح أخًا للمؤمنين، وبهذه الأخوّة يصبح الإنسان ابن اللّه بالتبنّي؛ والكنيسة خزنت المسيح-الأفخارستيا فيها وصارت له أمًّا لتوزّعه، على مثال مريم، للعالم فينال الخلاص. الفردوس، مريم والكنيسة كلّها من دون خطيئة، لأنّها كلّها حضنت المسيح واحتوته، إنّما الفردوس قد احتوى الشجرة، رمز المسيح، والكنيسة الأسرار ليتتابع بها حضور المسيح الحقيقيّ في العالم، الفردوس الأرضيّ احتوى الشجرة قبل الخطيئة، والكنيسة تحتوي الأفخارستيا حتى منتهى الأزمنة. كلاهما رأى أفرام فيهما مريم، وكلاهما يجدان في مريم صورتهما الحقّة.

غياب شخص مريم في أناشيد الفردوس وفي أناشيد نُصَيبين ٣٥، ١٢

إنّ بحثنا حول سرّ مريم في فكر القدّيس أفرام السريانيّ لا ينحصر فقط في ما تكلّم به وشرحه بطريقة واضحة ومباشرة، ولكنْ حتّى غيابُ شخص مريم في أماكن معيّنة من أعماله، يحمل رسالة، غير مباشرة ربّما، إنّما معبّرة جدًّا لمن يقرأ نصّه بتمعّن. وعلى سبيل

---

٢٤٧ ديات ١٢، ٥.
٢٤٨ أناشيد الإيمان ٨١، ٤.
٢٤٩ أناشيد الميلاد ١٦، ١.

الدلالة لا الحصر سأحصر دراستي هذه بنصّين أفراميين، هما من الأهميّة بمكان، عنيت بهما مجموعة أناشيده حول الفردوس، والنشيد الخامس والثلاثين من أناشيد نصيبين.

أناشيد الفردوس

قد نتوهّم، للوهلة الأولى، أنّ في هذه المجموعة من الأشعار التي تبحث في حقيقة الفردوس، وفي حالة القدّيسين بعد هذه الحياة، سيتردّد اسم مريم العذراء، بشكل مباشر ومتواتر، معطيًا لمريم المكان المحوريّ في هذا المكان. ولكن يطالعنا، بشكل يستدعي الدهشة، أنّ الشاعر المريميّ، وفارس العذراء كما هو معروف، لم يذكر العذراء مريم في أناشيد الفردوس، وعددها خمسة عشر نشيدًا، سوى مرّة واحدة في النشيد الرابع. فلماذا هذا الصمت حول شخص مريم، علمًا أنّه كان يمكن أن تكون المثال الأوّل للمنتصرين ساكني الفردوس، وتتبوّأ مكانًا أساسيًّا كما حدث في أعمال القدّيس أفرام الأخرى؟

في النشيد الرابع يطالعنا حضور مريم العذراء لا كشخص إنّما كدور في عمل الفداء. هي لا ترد بين المنتصرين ساكني الفردوس، كأبناء النور[٢٥٠]، وسمعان بطرس وسائر الرسل والأنبياء[٢٥١]، أو الأبرار[٢٥٢]، للأولاد، والأمّهات، للمتعبين[٢٥٣] وغيرهم. وبالمقابل نجد أنّ ذكرًا واحدًا لمريم، في النشيد الرابع، حيث يقول القدّيس أفرام: "آدم بعريه كان جميلاً، وامرأته كانت ماهرة، وقد حاكت له ثوب أدناس؛ حين رأته الجنّة ووجدته مملوءًا عارًا طردته من حضنها. إنّما بمريم قد حيك له ثوب جديد... حين لبس هذا الثوب وبحسب الوعد (لو٢٣، ٤٣) قد ازدهى اللصّ، والحديقة حين رأت آدم قد صار يشبهها (طاهرًا) عانقته"[٢٥٤]. ذكر مريم الوحيد هذا لا يرتبط بمريم كشخص فقط، كما هي حال الأنبياء والأبرار والصدّيقين ساكني الفردوس، إنّما يرتبط بها كدور ومشاركة في مخطّط الفداء وعودة آدم إلى الميراث الإلهيّ. هذا الظهور الوحيد والفائق الطبيعة لمريم يؤكّد لنا أنّ

٢٥٠ راجع أناشيد الفردوس ١، ٦.
٢٥١ راجع أناشيد الفردوس ١، ٧.
٢٥٢ أناشيد الفردوس ٢، ١٧؛ ٥، ٦.
٢٥٣ أناشيد الفردوس ٧، ٢٠.
٢٥٤ أناشيد الفردوس ٤، ٥.

غيابها كشخص بين جماعة الفردوس لم يكن سهوًا، إنّما هو غياب مقصود ومنطقيّ. نعرف أنّ أفرام يرى في مريم، في شخصها وفي دورها، تتميمًا لحالة الفردوس لا من ناحية رمزيّة وتشبيهيّة، إنّما كواقع شخصيّ وتاريخيّ تمّم حقيقة رجعويّة ونهويّة. مريم ليست رمزًا للفردوس، إنّما هي الفردوس الجديد الذي في وسطه زرع المسيح، شجرة الحياة الجديدة التي نشرت ثمرها على الأقربين والأبعدين[٢٥٥]. كما أنّ المسيح ليس شجرة الحياة بطريقة رمزيّة أو تشبيهيّة، إنّما بشكل حقيقيّ، شخصيّ وكيانيّ، أكمل في ملء الزمن حقيقة شجرة الحياة بتجسّده في حشا مريم، الفردوس الجديد.

حقيقة مريم هذه كفردوس عدن، تفسّر غيابها الشخصيّ ضمن جماعة الكنيسة المنتصرة. فهي، رغم كونها قد نالت خلاصها وتبريرها مع سائر بني آدم[٢٥٦]، بواسطة ابنها، ولكن بطريقة مميّزة ومختلفة عن سائر بني جنسها، بطريقة لا يوضحها القدّيس أفرام لأنّ سرّها لا أحد يدركه[٢٥٧]، إنّما هي أيضًا أمّه؛ وأمومتها للمسيح لا تنحصر في البعد الزمنيّ، أي في السنوات الثلاثين التي عاشها المسيح بالجسد على الأرض، ولكن هي أمّه للأبد، وأمّ جسده الذي هو الكنيسة: "إنّما، كما أنّ الأجساد نفسها قد خطئت وماتت، وأنّ الأرض، أمّها، قد لُعنت، هكذا أيضًا بفضل هذا الجسد (المسيح الإنسان) الذي هو نفسه الكنيسة التي لا يطولها الفساد، كانت أرضه مباركة منذ البدء[٢٥٨]. إنّ الأرض هي جسد مريم، هذا الهيكل الذي في داخله قد وضع الزرع"، وبالتالي تضحي مريم "الأرض المباركة منذ البدء"، من دون وصمة، أمّ الله الكلمة حقًّا وأمّ "جسده الذي هو الكنيسة". ومن ناحية أخرى، مريم هي أيضًا صورة الكنيسة ومثالها: "لقد استبدل يشوعَ بن نون بيوحنّا الذي كان بتولاً وأوكل إليه مريم، كنيسته، كما أوكل موسى قطيعه إلى يشوع (تث ٣١، ٧-٨)"[٢٥٩]. مريم

---

٢٥٥ راجع النشيد الأوّل من أناشيد مريم.

٢٥٦ ديات ٤، ١٥.

٢٥٧ راجع أناشيد الميلاد ١١- ١٢.

٢٥٨ منذ البدء عبارة يستعملها القدّيس أفرام عادة ليتكلّم عن الفترة التي كان فيها الإنسان يسكن الفردوس، راجع مثلاً أناشيد نصيبين ٣٦، ٩ حيث يقول الموت: «يا ابن مريم، إنّ سلطاني كان يمتدّ في كلّ مكان، فكيف بالصليب استطعت أن تغلبني وأنا في البدء قد انتصرت بخشبة (أي بالشجرة التي أكل منها الإنسان)». فإذا قارنّا المقطع هذا بما سبق في تفسير الدياتسّرون نستنتج أنّ هذه الأرض المباركة منذ البدء هي جسد مريم، أي أنّ مريم ، منذ البدء، لم يطلها فساد.

٢٥٩ ديات ١٢، ٥.

الطاهرة إذًا تضحي مثال الكنيسة التي لا يطولها الفساد. ولكن في أناشيد الفردوس يقول أفرام إنّ الفردوس هو امتداد لحالة الكنيسة، أي إنّ الفردوس هو الكنيسة المنتصرة[٢٦٠]. وبالتالي نستنتج أنّ الكنيسة وفردوس عدن هما، إن لم يكونا حقيقة واحدة، فهما يجدان مثالهما الشخصيّ والزمانيّ في العذراء مريم. وبالتالي، فالحقائق الثلاث تتمتّع بالحالة نفسها: العصمة من الخطيئة، ولا سيّما خطيئة آدم وحوّاء. الكنيسة كجسد المسيح لم يطلها فساد الخطيئة رغم خطيئة أبنائها: "كيما يُعلم أنّ كنيسته، رغم وجود المعلّمين الكذبة في داخلها، هي جسده الحق"[٢٦١]، إنّما هي تطرد منها الأشرار "والأشرار هم أولئك الذين طردتهم الكنيسة من حضنها بسبب تركهم الايمان". ولنلاحظ هنا الشبه بين ما فعلته الكنيسة وما قام به الفردوس الذي "حين رأته (الجنّة) ووجدته مملوءًا عارًا طردته من حضنها"[٢٦٢]، وبالتالي فكلاهما لم تمسّهما خطيئة آدم. لا نتكلّم هنا في واقع زمنيّ بل في حقيقة كيانيّة. فطهارتهما كانت هكذا منذ البدء، أي منذ خلقا لم تلحق بهما خطيئة. وبالمعنى نفسه نفهم حقيقة براءة مريم من خطيئة حوّاء، ليس فقط ببعد زمنيّ، أي إنّها قد خضعت للخطيئة ثمّ تبّررت، بل هي كالكنيسة والفردوس، لم تطلها الخطيئة البتة، وطهارتها هي حقيقة كيانيّة، حالة كوّنت بها العذراء مريم منذ البدء: "بفضل هذا الجسد (المسيح الإنسان) الذي هو نفسه الكنيسة التي لا يطولها الفساد، كانت أرضه مباركة منذ البدء. إنّ الأرض هي جسد مريم، هذا الهيكل الذي في داخله قد وضع الزرع". لذلك يقول أفرام مخاطبًا العذراء مريم: "طوبى لكِ أيّتها القصر، قصر الملك، الذي بابه أكبر من المائتين (بمعنى ممنوع)، الملك الممجّد قد حلّ داخلك، ليكون حبّه سورًا لجمالك، وحشاك قد هرب من فساد اللعنة. بواسطة الحيّة حلّت آلام النساء، و(بك) يخزى ذاك القذر إذ يرى أنّ فساده غير موجود في حشاك"[٢٦٣].

---

٢٦٠ راجع أناشيد الفردوس٢، ١٣، ٦.

٢٦١ ديات ١٤، ١٢.

٢٦٢ أناشيد الفردوس ٤، ٥.

٢٦٣ أناشيد البتوليّة ٢٤، ١١.

لاهوت أفرام المريميّ
في الفكر الكنسيّ

نضج لاهوتيّ مريميّ سابق لأوانه نجده لدى أفرام إذ استبق المجامع "المريميّة"، إذا صحّ التعبير معلنًا مريم "أمّ اللّه" أمّ المسيح الإله وليس فقط الإنسان؛ وهو تحديد سوف يجد اتضاحه ويلبس ثوبًا عقائديًّا في مجمع أفسس سنة ٤٣١، أي بعد حوالى سبعين سنة من موت أفرام، إذ يقول هو: "هي ما حملت بإنسان كيما يشعر ناموس الطبيعة بعمله، فهو لغاية الحشا ظلّ نارًا وروحًا وبحشا أمّه صار إنسانًا وما برح إلهًا كاملاً"[٢٦٤].

وبكلامه عن الخليقة الجديدة، وعن استبدال اللّه أرض عدن القديمة التي رآها اللّه حسنة في البدء، أي نقيّة من أيّة وصمة شرّ، بمريم الأرض الجديدة، حين شاء أن يجدّد خليقته ويعيدها إلى صفائها الأوّل، نستنتج بوضوح وعي هذه الجماعة الأولى لمفهوم أوّليّ "لعصمة مريم من دنس الخطيئة الأصليّة"، عقيدة دامت حوالى الألفي سنة كيما تُصاغ بشكل نهائيّ، "وحدك يا يسوع مع أمّك أجمل من أيّ شيء آخر! إذ لا توجد أيّ لطخة فيك ولا توجد أيّ لطخة في أمّك[٢٦٥]". وكما أُخذ آدم من أرض عدن الطاهرة وكان حسنًا، كذلك أخذ المسيح ذاته من مريم أرض عدن الجديدة. فإنْ كان المسيح هو آدم الجديد بريئًا من لطخة الخطيئة كما كان آدم أوّلاً، فحالة مريم هي إذًا حالة عدن المباركة قبل أن تطالها لعنة ابنها. بآدم قد لُعنت الأرض التي خرج منها، وبالمسيح تباركت مريم التي خرج منها. لذلك أضحت مريم نقطة انطلاق جديدة، بها جدّد اللّه جبلته وجعلها بريئة من جديد. مريم كانت نقطة تحوّل عظيمة، به انتقلنا من بنوّة حوّاء وعبوديّة الموت إلى بنوّة مريم حوّاء الجديدة، وورثنا الحياة بالعماد. وبنوّة مريم تطول الأزمنة كلّها من آدم حتى نهاية الدهر، فتضحي الابنة أمًّا لوالدها بالنعمة. وتطول أمومة مريم المخلوقات كلّها، فيها قد

---

٢٦٤ راجع النشيد الثامن عشر من أناشيد مريم.

٢٦٥ تعببير أفراميّ قويّ يعلن مشابهة مريم للمسيح من ناحية البراءة من الخطيئة، فالمسيح أخذ كلّ صفات آدم وسار على خطاه ما عدا خطوة الخطيئة»، أي أنّه أضحى إنسانًا كاملاً مثل آدم قبل أن يسقط، بريئًا طبعًا من الخطيئة. وحدها بين كلّ الخلائق أمّ يسوع هي مثله من دون خطيئة، ومن دون أيّ لطخة إثم معصومة من الخطيئة منذ ساعة صوّرها ابنها في حشا أمّها.

تجدّدت الخليقة وبدأت من جديد مسيرة ارتقائها نحو ألوهة خالقها. بهذا المعنى يهتف أفرام: "لقد قلب الأنظمة حشا مريم".

إنّ فكر أفرام هو فكر كنسيّ، ولاهوته التزم بقوّة لاهوت كنيسته الذي عايشه، فبقي وفيًّا لهذه الكنيسة الأمّ التي كتب ودافع عنها بشدّة ضدّ مختلف البدع التي انتشرت في تلك الأيّام. إنّ وفاء أفرام للكنيسة الجامعة قد ظهر جليًّا من خلال التزامه بطاعة أساقفة كنيسته المحليّة فتتلمذ فتيًّا على يد يعقوب الرهاويّ أحد آباء المجمع النيقاويّ، فنهل منه اللاهوت الصحيح ونشره، فكتب العظات وألّف الأناشيد التي تحتوي الإيمان الصحيح حتى دخل لاهوته صميم تراث الكنائس الشرقيّة وأغنى ليتورجيّاتها بالعقيدة المستقيمة. ولم يقتصر غناه على السريان، بل امتدّ شعاع نوره إلى الشرق قاطبة، فدخل فكره الكنائس هذه من خلال آباء تأثّروا به. فالكنيسة البيزنطيّة وصلها لاهوته عبر رومانوس المرتّل الذي تأثّر جدًّا به. والكنيسة الأرمنيّة التي استقت روحانيّتها من الفكر واللاهوت السريانيّ والكبادوكيّ، قد تأثّرت به، ونقلت أعماله إلى لغتها، فخلّدت تذكاره أيضًا، إذ أبرزتها إلى النور ساعة فُقد الأصل السريانيّ فخدمت العلم. وكذلك نقل أفرام إلى اليونانيّة كدليل على مدى تأثّر هذه الكنيسة به. ورهبان الكنيسة القبطيّة ينشرون دومًا أعمال أفرام، الواحد تلو الآخر، ويفاخرون برواية شعبيّة، لا تأكيد علميًّا على حقيقتها، تقول إنّه زار مرّة رهبانهم وزرع شجرة لا تزال حتى اليوم تحظى باهتمامهم.

ولمّا انفتحت أعين الغرب على نور هذا النجم الطالع من الشرق، راح علماؤها يعملون البحث والتفتيش في كتاباته وترجمتها، كاثوليكًا وبروتستانت، فكان لهم الفضل الكبير في الكشف أكثر فأكثر عن هذه الثروة الكنسيّة العظيمة، حتى أعلنه البابا بندكتوس الخامس عشر، عام ١٩٢٠، معلّمًا للكنيسة الجامعة[٢٦٦]. ولا غرو، فإنّ فكر أفرام الكنسيّ قد أضحى تراث الكنيسة الجامعة، دليلاً على أمانة كنّارة الروح أفرام ووفائه للفكر القويم الذي يحييه الروح القدس.

---

٢٦٦ راجع: BENEDICTUS PP. XV., *Letterae Encyclicae Principi Apostolorum*, in AAS 12 (1920) pp. 457- 471.

أناشيد في مريم

النّشيد الأوّل

ܒܩܠܐ ܕܝܘܪ̈ܐ ܒܥܘܢܝܐ ܫܘܒܚܐ ܠܡܘܠܕܟ
ܐܠܗܐ ܐܦ ܐܢܫܐ ܀

على لحنِ أناشيد الأطفال[1].

اللازمة: المجدُ لميلادك يا إلهاً وإنسانًا[2].

ܒܬܘܠܬܐ ܩܪܬܢܝ ܕܐܙܡܪ: ܫܪ̈ܒܗ ܒܬܗܪܐ ܐܝܟ.
ܗܒ ܠܝ ܬܗܪܐ ܡܢܟ ܒܪ ܐܠܗܐ.
ܘܐܙܡܪ ܒܟܢܪܝ ܡܢ ܡܘܗܒܬܟ.
ܕܐܨܝܪ ܐܝܟ ܨܠܡܐ ܕܫܦܝܪ ܫܘܦܪܐ ܀

قد نادت بيَ البتولُ لأغنّيَ بإعجابِ قصّتَها

فهَبْني منكَ الدّهشةَ يا ابنَ اللهِ

وأغنِ كنّارتي من موهبتِكَ

لأرسمَ لأمِّكَ وصفاً زاخراً محاسنَ.

ܥܘܠܐ ܒܥܘܒܗ ܕܠܐ ܙܘܘܓܐ . ܬܗܪܐ ܪܒܐ .
ܚܠܒܐ ܒܬ̈ܕܝܗ ܕܠܐ ܒܥܝܕܐ .
ܒܬܘܠܐ ܘܚܠܒܐ ܒܦܓܪܗ ܕܟܝܐ .
ܬܗܪܐ ܪܒܐ . ܘܡܢܘ ܡܫܟܚ ܠܡܡܠܠܘ ܀

في حشاها جنينٌ من دونِ زواج: ذُهلٌ عظيمٌ

وفي ثديِها الحليبُ، وهذا ليس معتادًا

بتولٌ هي، وفي جسدِها الطّاهرِ حليبٌ[3]

عجيبةٌ جدًّا[4]، فمَن يقدِرُ أن يصفَها.[5]

ܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ ܝܠܕܬ ܠܒܪܐ ܩܕܝܫܐܝܬ
ܘܝܗܒܬ ܚܠܒܐ ܠܙܐܢ ܥܡܡܐ .
ܘܛܥܢ ܒܒܘܪܟܝܗ ܠܛܥܝܢ ܟܠܐ .
ܘܐܝܬܝܗ ܒܬܘܠܬܐ . ܘܐܝܬܝܗ ܐܡܐ . ܘܡܢ ܠܐܝܬܝܗ ܀

العذراءُ مريمُ قد وَلدتِ الابنَ بالقداسةِ

وأعطتِ الحليبَ للّذي يُعطي القوتَ للشعوبِ

حَمَلَت ركبتاها حاملَ كلِّ شيءٍ

رغم أنّها بتولٌ هي أمٌّ؛ كلَيهما كانت في آنٍ معًا.[6]

---

١ ܝܪ̈ܘ تعبير سريانيّ يعني الأغاني التي تنشدها الأمّ لطفلها لينام. وقد يعني أيضًا اللحن الهادئ.

٢ ܐܠܗܐ ܐܦ ܐܢܫܐ إن اعتبرناها متعلّقة بالمسيح تضحي منادىً "يا إلهاً وإنسانًا"، إنّما إذا كانت متعلّقة بـ "ܡܘܠܕܟ" تصبح صفة لمولد المسيح، الإلهيّ من حيث مولده الأزليّ من "حضن الآب"، والإنسانيّ "من مريم العذراء".

٣ حرفيًّا "البتوليّة" وهي جملة مُختزلة (Phrase élliptique)، بها يُستعاض عن إعطاء الصفة للشّخص من خلال إعلان الحالة. بدلاً من أن يقول "بتول هي/ وهي بتول/ رغم بتوليّتها) قال: بالبتوليّة أو بعلامات البتوليّة.

٤ حرفيًّا مملوءة عجبًا، وقد آثرت ترجمتها بحسب المعنى: عجيبة جدًّا.

٥ حرفيًّا: من قادر على الكلام.

٦ حرفيًّا :"وهي بتول وهي أمّ، وما هو الذي لم تكنه"، تركيبة لغويّة سريانيّة للتعبير عن حقيقتين متناقضتين موجودتين في وقت واحد.

ܩܕܝܫ ܦܓܪܗ̇ . ܘܒܗܝܐ ܢܦܫܗ̇ . ܘܕܟܐ ܗܘܢܗ̇ .
ܘܚܟܝܡܐ ܛܒ ܫܦܝܐ .
ܘܡܫܡܠܝܐ ܛܒ ܒܪܓܫܐ .
ܢܟܦܐ ܡܪܕܝܐ . ܢܩܝܐ ܚܟܝܡܐ ܘܡܠܝܐ ܫܘܦܪܐ ܀

ܚܕܝ ܒܡܪܝܡ ܟܠܗ ܓܘܕܐ ܕܒܬܘܠܬܐ .
ܕܚܕܐ ܡܢܗܝܢ ܗܝ ܕܐܬܪܟܢܬ ܘܝܠܕܬ .
ܓܢܒܪܐ ܛܥܝܢ ܒܪܝܬܐ .
ܘܒܗ ܐܬܚܪܪ ܓܢܣܐ ܕܐܢܫܐ ܕܡܫܥܒܕ ܗܘܐ ܀

ܢܚܕܐ ܒܡܪܝܡ ܐܕܡ ܪܒܐ ܕܚܒܠܗ ܚܘܝܐ .
ܘܗܝ ܝܗܒܬ ܠܗ ܐܣܝܘܬܐ .
ܘܐܬܐܣܝ ܘܐܙܟܝ ܠܒܝܫܐ .
ܘܒܗ ܐܬܐܣܝܬ ܢܟܬܐ ܕܚܘܝܐ ܕܩܛܠܬܗ ܗܘܬ ܀

ܢܚܕܘܢ ܟܘܡܪܐ ܒܡܒܪܟܬܐ ܕܪܟܢܬ ܝܠܕܬ .
ܟܘܡܪܐ ܪܒܐ ܕܗܘܐ ܕܒܚܐ .
ܘܚܪܪ ܐܢܘܢ ܡܢ ܕܒܚܐ .
ܘܗܘ ܒܩܢܘܡܗ ܗܘܐ ܗܘܐ ܕܒܚܐ ܘܪܥܝ ܠܐܒܘܗܝ ܀

مقدّسٌ جسدُها، بهيّةٌ نفسُها، طاهرٌ فكرُها
وذكاؤها صافٍ جدًّا
وكاملةٌ جدًّا بحواسِّها
عفيفةٌ، مهذّبةٌ، طاهرةٌ، عالمةٌ، ومملوءةٌ جمالاً.

فَلْيَفرحْ بمريمَ كلُّ جوقِ البتولاتِ
فالتي هي واحدةٌ منهنَّ قد أطاعَت[٧] وَوَلَدَت
جبّارًا حاملَ البرايا، وتحرّرَت به البشريّةُ المُستَعبَدة[٨].

فَلْيفرحْ بمريمَ آدمُ الكبيرُ[٩] الذي جرحَتْهُ الحيّةُ
فمريمُ قد أعطَتْهُ الدّواءَ
نالَهُ وانتصرَ على الشّرّيرِ
وبه شُفيَت لدغةُ الأفعى، سببُ موتِه[١٠].

وَلْيَفرحِ الأحبارُ بالمباركةِ التّي أطاعَتْ ووَلدَت
عظيمَ أحبارٍ صارَ ذبيحةً
وحرّرَهم[١١] منَ الذّبائحِ
جاعلاً نفسَه ذبيحةً تُرضي أباه[١٢].

---

٧ حرفيًّا "ركعت" بمعنى الانصياع لإرادة الربّ.
٨ حرفيًّا "وتحرّر به جنس البشر الذي كان مستعبدًا"
٩ "ܪܒܐ" الكبير قد تعني: عظيم، دلالة على عظمته كمخلوق على صورة الله ومثاله، أو كبير من النّاحية الزمنيّة وبالتّالي يضحي مرادفًا لـ"آدم الأوّل". من المفضّل أخذ المعنى الثّاني لأنّ أفرام يشير بطريقة غير مباشرة إلى "آدم الثّاني"، المسيح الذي تجسّد من مريم ليفدي البشريّة.
١٠ حرفيًّا "لدغة الأفعى التي كانت قد قتلته"، وبهذه العبارة يشير الكاتب إلى عمل المسيح الخلاصيّ الذي جدّد الخليقة، إذ أعاد إلى الحياة آدم المائت.
١١ أي حرّر أحبار العهد القديم.
١٢ حرفيًّا: "وهو بشخصه صار ذبيحة ...".

ܢܚܕܐ ܒܡܪܝܡ ܟܠܗ ܓܘܕܐ ܗܘ ܕܢܒܝܐ .
ܕܒܗ ܐܫܬܡܠܝ ܚܙܘܢܝܗܘܢ .
ܘܒܗ ܐܬܓܡܪܘ ܢܒܝܘܬܗܘܢ .
ܘܒܗ ܐܫܬܪܪܝ ܟܠܗܝܢ ܡܠܝܗܘܢ . ܘܥܫܢܝ ܚܝܠܐ ܀
ܢܚܕܐ ܒܡܪܝܡ ܟܠܗ ܓܘܕܐ ܕܐܒܗܬܐ .
ܐܦܝ ܒܘܪܟܬܐ ܕܝܠܗܘܢ ܢܣܒܬ .
ܘܫܡܠܝ ܐܢܘܢ ܒܒܪܗ .
ܘܐܦ ܚܙܝܐ ܘܟܐܢܐ ܘܟܗܢܐ ܒܗ ܐܬܕܟܝܘ ܀

ܡܪܝܡ ܝܗܒܬ ܦܐܪܐ ܚܠܝܐ ܠܒܢܝܢܫܐ
ܚܠܦ ܦܐܪܐ ܗܘ ܡܪܝܪܐ
ܕܩܛܦܬ ܚܘܐ ܡܢ ܐܝܠܢܐ .
ܒܦܐܪܐ ܕܡܪܝܡ ܗܐ ܡܬܒܣܡܐ ܒܪܝܬܐ ܟܠܗ ܀
ܐܝܠܢ ܚܝܐ ܗܘ ܕܟܣܐ ܗܘܐ ܒܓܘ ܦܪܕܝܣܐ .
ܒܡܪܝܡ ܕܢܚ . ܘܦܪܥ ܡܢܗ .
ܘܒܛܠܠܗ ܒܪܝܬܐ ܝܬܒܬ .

فلْيُسَرَّ بمريمَ كلُّ جوقِ الأنبياء
إذْ بها تمَّتْ[١٣] كلُّ رؤاهم
وبها اكتملَتْ نبوءاتُهم
وبها تحقَّقَت[١٤] كلُّ أقوالِهم واقتنَتْ قوّةً[١٥].

فَلْيُسَرَّ بمريمَ كلُّ جوقِ الآباءِ[١٦]
إذْ قد حصلَتْ على بركَتِهم
وأظهَرَتْهم كاملين بواسطةِ ابنِها[١٧]،
وتَطهَّرَ بها كلُّ الرؤاةِ والأبرارِ والكهنة.

قد أعطَتْ مريمُ الثّمرةَ الحلوةَ لبني البشرِ
بدلَ الثّمرةِ المرّةِ التّي قطفَتْها حوّاءُ من الشّجرةِ
(بثمرةِ مريمَ) ها هي تتنعّمُ كلُّ الخليقةِ[١٨].

شجرةُ الحياةِ التي كانت محتجِبةً داخلَ الفردوسِ[١٩]
في مريمَ قد نبتَتْ، ومنها أينعَتْ
وفي ظلالِها جلسَتِ[٢٠] الخليقةُ

---

١٣ حرفيًّا: "جُعل حدًّا لرؤاهم" إنّما الفعل يحمل طابعًا إيجابيًّا بمعنى "تحقّق".
١٤ حرفيًّا: "ظهرت صحّة".
١٥ إنّ النبوءات هدفت منذ البدء إلى إعلان سرّ المسيح الفصحيّ، والأقوال النبويّة كلّها كانت صورة غير واضحة المعالم للمخطّط الخلاصيّ، وقد وضحت بتجسّد الابن من مريم. بتجسّد المسيح من مريم تمّت أقوال الأنبياء وباتت فعّالة أيضًا، إذ تجلّى من خلالها المخطّط الخلاصيّ.
١٦ المقصود آباء العهد القديم الذين تاقوا إلى لقاء المسيح، والذين بلغوا غايتهم بواسطة مريم.
١٧ حتّى أبرار العهد القديم تبرّروا واكتملوا بتجسّد الابن. فالدرب التي ساروا عليها للوصول إلى اللقاء الحميم بالله لم يكن في إمكانها أن تكتمل من دون تجسّد الابن. وبتجسّد المسيح منها، أعطت مريم آباء العهد القديم وأبراره كمال البرارة بابنها.
١٨ قارن هذا المقطع بالمقطع ال٢٢ من النشيد ١٨.
١٩ تك ٦،٣.
٢٠ حرفيًّا جلست، إنّما هو فعل يأخذ أيضًا في اللغات الساميّة معنى احتمى كما في المزمور ٩١،١

ܘܝܗܒܬ ܦܐܪ̈ܝܗ ܠܟܠ ܕܩܪܝܒ ܘܠܟܠ ܕܪ̈ܚܝܩ ܀

ܡܪܝܡ ܙܩܪܬ ܐܣܛܠܐ ܫܘܒܚܐ ܘܝܗܒܬܗ ܠܐܒܘܗ̇ .

ܕܐܬܦܫܛ ܗܘܐ ܒܝܬ ܐܝܠܢ̈ܐ .

ܠܒܫܗ ܘܐܬܢܟܦ ܘܩܢܐ ܫܘܦܪܐ

ܐܢܬܬܗ ܡܦܠܬܗ ܘܒܪܬܗ ܣܡܟܬܗ ܘܩܡ ܓܢܒܪܐ ܀

ܚܘܐ ܘܚܘܝܐ ܚܦܪܘ ܓܘܡܨܐ ܘܐܦܠܘܗܝ ܠܐܕܡ.

ܩܕܡܬ ܡܪܝܡ ܥܡ ܡܠܟܐ .

ܘܫܕܪܘ ܐܝܕܝ̈ܗܘܢ ܡܢ ܓܘܡܨܐ .

ܒܪܐܙܐ ܟܣܝܐ ܕܐܬܓܠܝ ܘܐܚܝ ܠܐܕܡ ܀

ܓܦܬܐ ܒܬܘܠܬܐ ܝܗܒܬ ܥܢܒܐ ܕܒܣܝܡ ܚܡܪܗ .

ܘܒܗ ܐܬܒܝܐܘ ܡܢ ܥܩܬܐ .

ܚܘܐ ܘܐܕܡ ܕܒܟܝܢ ܗܘܘ .

ܢܣܒܘ ܣܡܐ ܕܚܝܐ ܘܒܗ ܐܬܒܝܐܘ ܡܢ ܥܩܬܗܘܢ ܀

وهي نشرَتْ ثمارَها على الأقربينَ والأبعدين[٢١].

قد نسجَتْ مريمُ رداءَ المجدِ[٢٢] وأعطتْهُ لأبيها

إذْ كانَ قد تعرّى[٢٣] بينَ الأشجارِ،

لبِسَهُ وتعفّفَ ونالَ محاسنَ[٢٤].

أسقطَته امرأتُه، فأسندَته ابنتُه، فقام جبّارا.

حفرَتْ حوّاءُ والحيّةُ حفرةً وأسقطتا آدمَ

تصدَّتْ لهما مريمُ مع (ابنِها) الملك

مدّا يديهما انتشلاه

وأخرجاهُ منَ الهوّة

بالسرِّ الخفيِّ الذي اعتلنَ عادَ آدمُ حيًّا.

كرمةٌ بتولٌ أعطَتْ عنبًا لذيذٌ خمرُه

تعزّيا به في كَرْبهما

حوّاءُ وآدمُ الباكيان

إذْ نالا دواءَ الحياة

وبه تعزّيا في أحزانهما.

---

٢١ المسيح شجرة الحياة النابتة من جنّة عدن الجديدة مريم لم تُحدّ نعمتها بشعب إسرائيل، بل إنّ الخلاص الذي حققّه المسيح قد طال بواسطة مريم كلّ الشعوب وكلّ المخلوقات، فأضحت مريم بهذا الأمّ الجديدة التي ولدت الإنسان والكون بالنّعمة.

٢٢ مفهوم محوريّ في فكر أفرام، يتردّد في مجمل كتاباته للدلالة على حالة الطهارة الأولى التي خلق فيها آدم. هو الروح القدس الذي كان ملتحفًا به الإنسان يوم خلق، والذي فقده بالمعصية، راجع المقدّمة.

٢٣ د قد تأخذ وظيفة إسم موصول بمعنى: الذي كان عاريًا ... أو تُستعمل أيضًا كأداة تفسيريّة (épexégétique): إذ كان قد تعرّى في الفردوس.

٢٤ حرفيًّا : واقتنى بهاء.

ܐܚܪܢܐ ܒܩܠܐ ܐܝܢܘ ܕܢܓܝܪ ܪܘܚܗ
ܫܘܒܚܐ ܠܗܘ ܕܡܢ ܡܪܝܡ
ܕܢܚ ܠܢ ܘܦܪܩ ܠܢ .

النّشيد الثّاني

على لحن: الذي هو طويل الروح.

اللازمة: المجدُ لمن أشرقَ لنا من مريمَ وافتدانا.

ܐܙܡܪ ܒܛܝܒܘܬܟ . ܩ̈ܠܐ ܕܚܟܡܬܐ .
ܠܒܬܘܠܬܐ ܕܗܘܬ . ܐܡܐ ܒܬܕܡܘܪܬܐ .
ܒܬܘܠܬܐ ܗܝ ܘܐܡܐ . ܫܘܒܚܐ ܠܡܢ ܕܓܒܗ̇ ܀

بنعمتِكَ أُنشدُ نشائدَ حكمةٍ

للبتولِ التّي صارَت بمعجزةٍ أمًّا

فبتولٌ هي وأمٌّ! المجدُ لمنِ اختارَها

ܒܓܘܕܐ ܕܢܟ̈ܦܬܐ . ܩܝܡܐ ܒܒܬܘܠܘܬܐ .
ܘܦܐܪܐ ܕܐܡܗܘܬܐ . ܛܥܝܢܐ ܒܫܠܝܘܬܐ .
ܠܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܐ . ܘܡܢܘ ܕܠܐ ܢܬܗܪ ܀

في صَفِّ العفيفاتِ قائمةٌ بالبتوليّةِ[25]

حاملةٌ بسكونٍ ثمرةَ الأمومةِ

للبتولِ ولدٌ فمَن لا يتعجّبُ

ܠܐ ܐܝܬ ܠܢܫ̈ܐ . ܒܚܠܒܗܝܢ ܒܬܘܠܘܬܗܝܢ .
ܕܐܝܟܐ ܕܐܝܬ ܚܠܒܐ . ܠܐ ܐܝܬ ܒܬܘܠܘܬܐ .
ܒܡܪܝܡ ܗܘܐ ܬܗܪܐ ܕܝܠܕܬ ܒܒܬܘܠܘܬܐ ܀

مع الحليبِ لا تُعطى النّساءُ البتوليّةَ[26]

فمَن لها الحليبُ لا تُعطى البتوليّةَ

وبمريمَ كان العجبُ إذْ وَلَدَت وهي بتولٌ

ܚܩܠܐ ܗܝ ܕܠܐ ܡܬܟܪܒܐ . ܝܠܕܬ ܠܥܒܘܪܐ .
ܘܡܢܗ̇ ܗܘܐ ܡܢܬܐ . ܟܦܐ ܕܒܘܪ̈ܟܬܐ .
ܘܝܗܒܬ ܕܠܐ ܙܪܥܐ . ܦܐܪܐ ܠܒܪܝܬܐ ܀ .

حقلٌ هي ما عُرِف له زارعٌ مطلقًا

منه قد نَمَتْ منَ البركاتِ حُزماتٌ

ومن دونِ زرعٍ قد أعطَت للخليقةِ الثّمرةَ[27].

٢٥ في الأصل السريانيّ ܩܕܝܫܘܬܐ القداسة أو ܩܕܝܫܐ القدّيس تعني الإنسان الذي نذر بتوليّته لله وبقي من دون زواج بعد اعتماده. لذلك آثرنا ترجمة ܩܕܝܫܘܬܐ بالبتوليّة وليس القداسة.

٢٦ حرفيًّا لا يوجد للنساء في حليبهم بتوليّتهم.

٢٧ قارنه بالنشيد ٢٠ المقطع ٣٦

٢٨ فكرة السفينة المحمّلة سترد في النشيد ٧ المقطع ١، فنستنتج أنّ هذه «الكنوز» هي أفراح الآب المتجلّية في تجسّد الابن. أمّا ترجمة كنوزًا ثمينة فهي استعاضة عن الترجمة الحرفيّة كنز الثروات. هي طريقة أدبيّة قديمة في اللغات الساميّة، استعمال مرادفين للفكرة نفسها (Hendiady) تعبير من أصل يونانيّ معناه واحد (أي معنى واحد) من خلال اثنين (أي تعبيرين اثنين)، غالبًا ما يُرام بها تقوية المعنى أو القيمة أو الكميّة.

ܐܠܦܐ ܗܝ ܕܝܠܗ ܛܥܝܢܐ ܓܙܐ ܕܡܩܒܠܐ .
ܘܐܝܬܝܬ ܠܡܣܟܢܐ . ܥܘܬܪ̈ܐ ܫܡܝܢܐ .
ܡܝ̈ܬܐ ܥܬܪܘ ܡܢܗ̇ . ܕܚܝ̈ܐ ܛܥܝܢܐ ܗܘܬ ܀

كسفينةٍ محمّلةٍ كنوزًا ثمينةً[28]
قد جلبَت للفقراءِ خيورَ السّماءِ
والأمواتُ اغتنَوا منها إذْ حملَتِ الحياةَ لهم

ܡܫܬܒܗܪܢ ܣܓܝ̈ ܒܗ̇ . ܟܠܗܝܢ ܒܬܘ̈ܠܬܐ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܗܝ ܕܗܘܬ . ܥܠܬܐ ܠܛܒ̈ܬܐ .
ܘܡܢܗ̇ ܕܢܚ ܢܘܗܪܐ . ܠܝ̈ܬܒܝ ܒܚܫܘܟܐ ܀

تفتخرُ بمريمَ كلُّ البتولاتِ
فبتولٌ هي قد صارَتْ سببًا للخيراتِ
ومنها أشرقَ النورُ للجالسينَ في الظّلامِ[29]

ܒܗ̇ ܐܬܬܪܝܡ ܪܫܗ̇ . ܕܚܘܐ ܕܡܟܝܟ ܗܘܐ .
ܕܛܥܢܬ ܠܝܠܘܕܐ . ܕܐܚܕܗ ܠܚܘܝܐ .
ܘܛܪ̈ܦܐ ܕܥܪܛܠܝܘܬܐ . ܐܘܩܕܬ ܒܫܘܒܚܐ ܀

بها قدِ ارتفعَ رأسُ حوّاءَ الخَفيضُ
فقد حملَتِ المولودَ الّذي أمسكَ الحيّةَ
وأوراقُ عُري حوّاءَ أحرقَها (سعيرُ) المجدِ

ܬܪܬܝܢ ܒܬܘ̈ܠܬܐ . ܗܘܝ̈ ܠܗ̇ ܠܐܢܫܘܬܐ .
ܚܕܐ ܥܠܬܐ ܠܚܝ̈ܐ . ܐܚܪܬܐ ܥܠܬܐ ܠܡܘܬܐ .
ܒܚܘܐ ܕܢܚ ܡܘܬܐ . ܘܒܡܪܝܡ ܕܢܚ ܚܝ̈ܐ ܀

قد كان للبشريّةِ بتولان اثنتان
واحدةٌ سببًا للحياةِ وأخرى علّةً للموتِ
بحوّاءَ قد ظهرَ الموتُ، وبمريمَ (أشرقَتِ) الحياةُ[30]

ܐܡܐ ܕܢܦܠܬ ܗܘܬ . ܒܪܬܐ ܐܩܝܡܬܗ̇ ܗܘܬ .
ܘܡܛܠ ܕܠܒܫܬ ܗܘܬ . ܛܪ̈ܦܐ ܕܥܪܛܠܝܘܬܐ .
ܙܩܪܬ ܘܐܠܒܫܬܗ̇ . ܐܣܛܠܐ ܕܫܘܒܚܐ ܀

قد أنهضَتِ الابنةُ أمَّها الّتي سقطَت
ولأنّها قدِ ارتدَتْ أوراقَ العُري
نسجَتْ لها وألبَسَتْها رداءً من مجدٍ.

ܒܡܪܝܡ ܗܘܐ ܣܒܪܐ . ܠܓܢܣܐ ܕܢܫ̈ܐ .

بمريمَ قد صارَ الرجاءُ لكلِّ جنسِ النّساء

٢٩ راجع لو ١: ٧٩، وأش٩: ٢.
٣٠ راجع المقدّمة «مريم حوّاء الجديدة».

ܕܫܡܥܐ ܒܐܕܢܝܗܝܢ . ܘܒܗܬܬܐ ܠܐܦܝܗܝܢ .
ܘܗܝ ܚܪܪܬ ܐܢܝܢ . ܘܗܘܝ̈ ܕܠܐ ܡܘܡܐ ܀

وقد كان في آذانِهنَّ عارٌ[31] وعلى وجوهِهنَّ خِزيٌ
مَريمُ قد حرَّرتْهُنَّ فصِرْنَ من دونِ لومٍ.

ܝܘܡܢܐ ܦܨܝܚ ܟܠܗܝܢ ܒܥܠܬܐ .
ܕܐܝܟܘܬܗܝܢ ܝܠܕܬ . ܦܐܪܐ ܕܗܘ ܝܗܒ .
ܚܝܐ ܠܒܢܝܗܝܢ . ܫܘܒܚܐ ܠܫܠܘܚܗ ܀

اليومَ تُسَرُّ كلُّ المتزوِّجاتِ
فمثلُهنَّ قد حملَت الثَّمرةَ التي تُعطي
الحياةَ لأولادِهنَّ. المجدُ لمن أرسلَهُ.

ܒܡܪܝܡ ܕܢܚ ܢܘܗܪܐ . ܘܐܪܕܝ ܚܫܘܟܐ .
ܕܥܠ ܗܘܐ ܒܝܕ ܚܘܐ ܘܥܟܪܗ ܠܐܢܫܘܬܐ .
ܘܢܗܪܬ ܒܝܕ ܡܪܝܡ . ܒܪܝܬܐ ܕܚܫܟܬ ܗܘܬ ܀

بمريمَ أشرقَ النورُ وبدَّدَ الظلامَ
الذي أدخلَته حوّاءُ[32] وعكَّرَ البشريَّةَ
والبرايا الَّتي أظلمَتْ قد استنارَتْ بمريمَ.

---

٣١ بسبب قبول حوّاء لكلمة الشيطان بواسطة أذنها وفي عقلها وحملها لها في نفسها، تأتّى العار لـ«آذان النساء»، وهذا ما يؤكّد مفهوم القدّيس أفرام للخطيئة الأصليّة وانتقالها إلى الجنس البشريّ، ودور العذراء مريم في الخلاص خلال قبولها كلمة الله بواسطة أذنها الطاهرة.

٣٢ حرفيًّا: دخل بواسطة حوّاء.

النّشيد الثّالث

على اللّحن السابق نفسه،

اللازمة: المجدُ لمن أشرقَ منكِ بمعجزة.

ܥܢ: ܥܠ ܗܘ ܩܠܐ ܫܘܒܚܐ ܠܗܘ ܕܕܢܚ
ܡܢܟ ܒܬܕܡܘܪܬܐ .

تمجّدُ النقيّةُ مريمُ الابنَ الّذي برحمتِه أشرقَ

من ذاكَ الحشا البتوليِّ من دونِ زرعٍ أو زواجٍ

الأمُّ الّتي ولدَت بأعجوبةٍ ابنَ اللهِ الّذي ظهرَ.

ܕܟܝܬܐ ܡܪܝܡ ܡܫܒܚܐ . ܠܒܪܐ ܕܕܢܚ ܒܪܚܡܘܗܝ .
ܡܢ ܗܘ ܟܪܣܐ ܒܬܘܠܐ . ܕܠܐ ܙܘܘܓܐ ܘܙܪܥܐ .
ܐܡܐ ܕܝܠܕܬ ܒܬܕܡܘܪܐ . ܠܒܪ ܐܠܗܐ ܕܕܢܚ ܀

تَهتِفُ بالجموعِ مريمُ، وبالجماعةِ ترفعُ صوتَها

"لا يُفتّشَنَّ عن ابني أحدٌ فما من أحدٍ يدركُه

أمامَه الفاحصُ يعجزُ[33] وكلُّ الحكماءِ يُغلَبون"[34].

ܟܢܫܐ ܡܪܝܡ ܒܟܢܫܐ . ܘܒܩܗܠܐ ܪܡܝܐ ܩܠܗ .
ܒܒܪܝ ܠܐ ܐܢܫ ܢܒܨܐ . ܕܠܐ ܐܝܬ ܡܢ ܕܡܕܪܟ ܠܗ .
ܕܩܕܡܘܗܝ ܒܨܘܝܐ ܠܐܐ . ܘܟܠܗܘܢ ܚܟܝܡܐ ܡܙܕܟܝܢ ܀

ترفعُ صوتَها الطّاهرَ وتشكرُكَ أيُّها السيّدُ

فقد دفعَكَ حبُّكَ أن تولدَ وتسكنَ في حشًا طاهرٍ

ومنه تَخرجُ للعلن. تباركْتَ يا خفيًّا زُرتَنا.

ܪܡܝܐ ܩܠܗ ܕܟܝܐ . ܘܡܘܕܝܐ ܠܟ ܡܪܝ .
ܕܚܘܒܟ ܐܠܨܟ ܠܡܬܝܠܕܘ . ܘܠܡܫܪܐ ܒܟܪܣܐ ܕܟܝܐ .
ܘܡܢܗ ܢܦܩܬ ܠܓܠܝܐ . ܒܪܝܟ ܐܢܬ ܟܣܝܐ ܕܣܥܪܢ ܀

فمُها يُبكِّتُ الجهلةَ (الطّالبينَ)[35] سبرَ سرِّ ميلادِك المجيدِ

ܦܘܡܗ ܢܟܣܘܪ ܠܣܟܠܐ. ܕܒܥܝܢ ܒܨܝܢ ܡܫܒܚܐ.

---

٣٣ حرفيًّا يهدأ، ترجمة لا تعطي في العربيّة المعنى المقصود: يعجز.

٣٤ يشدّد أفرام على استحالة سبر أسرار الله بواسطة العقل. ولإدراك محبّة الله وفهم تجسّد الابن، على الإنسان أن يؤمن ويحبّ، فيفهم التجسّد بنعمة من الله. ولا يعني هذا أنّه ينكر واجب السعي لمعرفة الحقائق الإلهيّة ولا فرح الاكتشاف، إذ يقول: «هناك من يكتفون بالوقوف على هامش الحقيقة، والحقيقة بصحّتها تمنعهم من السقوط، أمّا أنت فلا تتوقّف على ظاهر الكلمة (كلمة الله) البرّاق، التي بقشرتها الخارجيّة تخفي معنى النصّ الحقيقيّ، إنّما أجهد نفسك في البحث عن المعنى الأعمق وفي معرفة ما يقوله في الحقيقة»، راجع: EFREM,Commentaire de l'Evangile concordant ou diatessaron,XXII,3 tr. L. Leloir, CSCO, Louvain, 1953-1954. ولهذا يميّز أفرام بين الباحثين في سرّ الله على هدي الروح القدس (ܒܨܘܝܐ)، وأولئك الذين بقواهم الذاتيّة وباعتمادهم على قوّة العقل يهدفون إلى سبر أسرار. وفي أيّام أفرام، كانت الجدالات تدور حول سرّي الثالوث والتجسّد، لهذا ففي أغلب الظنّ أنّه ينتقد الآريوسيين.

٣٥ ترجمنا المضارع بالمعنى المُراد من قبل الكاتب، معنى المحاولة من دون الوصول إلى الغاية المنشودة (Sens volitif).

ܒܗ ܢܒܨܘܢ ܣܦܪ̈ܐ . ܕܒܥܝܢ ܒܟ ܐܪ̈ܙܐ .
ܢܬܘܘܢ ܒܗ ܦܠܝܓ̈ܐ . ܕܝܠܕܬ ܟܕ ܠܐ ܡܬܝܕܥܐ ܀

وبها يُدحضُ الكتبةُ الطّالبون سبرَ أسرارِك
وبها يندمُ مَن كان شاكًّا بأنّها وَلَدَت رغم أنّها لم تُعرَف.[٣٦]

٣٦ قد يقصد الكاتب في البيت الأخير أتباع إحدى البدع القائلة بحبل العذراء وولادتها إثر معرفة يوسف لها. الشطر الأخير قد يعني "إذ ولدت ولم تُعرف" إذا اعتبرنا أنّ الـ "ܕ" قبل الفعل هو أداة وصل متعلّقة بالفعل "عرف" وبالتالي تعلن حقيقة الحبل (لأنها...)، إنّما آثرت اعتبار الـ "ܕ" متعلّقة بما قبلها وبالتالي تفسيريّة تعلن محتوى عقيدة من كان يشك قبلاً (بأن...).

ܐܚܪܬܐ ܒܩܠܐ ܕܡܘܕܝܢܐ ܐܠܗܐ ܕܐܚܒܬܘܢܝܗܝ

ܥܘܢܝܐ ܠܟ ܬܫܒܘܚܬܐ ܒܪ ܐܠܗܐ ✤

ܕܘܨܝ ܓܘܢܐ ܕܒܬܘܠܬܐ .
ܒܒܬܘܠܬܐ ܡܠܝܐ ܬܗܪܐ .
ܕܫܡܥܬ ܝܠܕܬ ܓܢܒܪܐ .
ܕܦܟܪ ܘܟܒܫܗ ܠܡܪܘܕܐ .
ܕܠܐ ܢܛܥܐ ܒܒܬܘܠܬܐ ✤
ܕܐܛܥܝ ܚܘܐ ܐܡܟܝܢ ܗܘܐ .
ܘܐܟܠܬ ܦܐܪܐ ܩܛܘܠܐ .
ܘܚܬܟܝܢ ܡܪܝܡ ܬܒܪܬ .
ܐܝܠܢܐ ܕܝܗܒ ܗܘܐ ܡܘܬܐ .
ܘܝܗܒܬ ܦܐܪܐ ܡܚܝܐ ܠܟܠ ✤
ܒܓܘ ܥܘܒܗ ܢܘܪܐ ܫܪܝܐ .
ܥܠ ܚܕܝܗ ܬܗܪܐ ܪܒܐ .
ܒܨܒܥܬܗ ܢܘܪܐ ܠܗܒܐ .
ܘܒܥܘܒܗ ܫܡܫܐ ܛܥܝܢܐ .
ܘܬܗܪܐ ܫܪܒܗ ܕܢܬܡܠܠ ✤

النّشيد الرّابع

على لحن: أيّها المعترفون، إنّ الله الّذي أحببتموه.

اللازمة: المجدُ لك يا ابنَ الله.

يا جوقَ الصّبايا ابتهجْ
بالبتولِ المملوءةِ عجبًا
قد أطاعتْ وولدَتْ جبّارًا
ربطَ وقيّدَ المتمرِّدَ
لئلاّ يُضِلَّ الصّبايا

قد أضلّ[37] حوّاءَ أمَّكُنَّ
فأكلَتِ الفاكهةَ القاتلةَ
وأختُكُنَّ مريمُ قد حَطَّمَتِ
الشّجَرةَ المُعطِيَةَ موتًا
وأعطَتْ ثمرةً تُحيي الجميع[38].

في حشاها حلَّتِ النارُ
وعلى صدرِها العُجبُ العظيمُ
بأصابعِها أمسَكَتِ اللّهيبَ
وعلى حضنِها حملَتِ الشّمسَ
قصّتُها مذهلةٌ فكيفَ تُروى؟

٣٧ الفاعل مقدّر لعدم التكرار، يعود طبعًا إلى المتمرّد في المقطع الأوّل.

٣٨ مريم شجرة الحياة الجديدة التي تمّمت رمز الشّجرة الذي كان في الكتاب المقدّس، فأعطت المسيح، ثمرة الحياة، للعالم أجمع. راجع المقدّمة.

ܒܪܚܡܐ ܕܒܬܘܠܬܐ ܛܥܝܢܐ .
ܠܨܝܪܐ ܕܥܘ̈ܠܐ ܚܒܠܐ .
ܒܪܘܝܐ ܟܝ̈ܢܐ ܝܠܕܬܗ .
ܡܢ ܡܫܟܚ ܠܡܫܬܥܝܘ .
ܫܪܒܐ ܕܡܠܐ ܬܕܡܘܪܐ ❖
ܡܪܝܡ ܬܗܪܐ ܡܠܝܐ ܗܘܬ .
ܘܚܟܝܡܬ ܢܦܫܐ ܗܘܬ .
ܘܢܟܦܬ ܦܓܪܐ ܗܘܬ .
ܘܫܦܝܪܬ ܪܥܝܢܐ ܗܘܬ .
ܘܛܥܝܢܬ ܫܠܗܒܝܬܐ ܗܘܬ ❖

ܐܘ ܐܝܟܢܐ ܡܨܝܐ ܗܘܬ .
ܢܥܒܪ ܬܗܪܐ ܡܢ ܢܦܫܗ .
ܐܘ ܬܫܪܐ ܡܢ ܪܥܝܢܗ .
ܐܘ ܙܘܥܐ ܡܢ ܚܘܫܒܗ
ܕܝܠܕܐ ܗܘܬ ܘܒܬܘܠܬܐ ܗܘܬ ❖
ܛܥܝܢܐ ܒܐܝ̈ܕܝܗ ܠܒܪܗ
ܘܚܙܝܐ ܒܟܠܗ ܛܘܦ̈ܣܝܗ .
ܚܠܒܐ ܒܬܕ̈ܝܗ ܦܫܝܛ ܗܘܐ .
ܘܠܐ ܐܒܕ ܒܬܘܠܘܬܗ .

قد حبلَتْ بمصوِّرِ الأجنَّةِ

وولدَتْ صانعَ الطَّبائعِ

أعطَتِ الحليبَ لمَن يهبُ القوتَ

فمَن يقدرُ أن يرويَ

قصّةً مملوءةً عجبًا

قدِ امتلأَتْ بالدّهشةِ[39] مريمُ

حكيمةَ النّفسِ كانَت[40]

عفيفةً في جسدِها

وبهيّةً بِفكرِها

وهي حاملةُ اللّهيبَ

فكيفَ يمكنُ أنْ لا تَتَعجَّبَ

أو تعبُرَ الدّهشةُ عن نفسِها

ويرحلَ الخوفُ عن بالِها

أو الرِّعدةُ عن فكرِها

إذ وَلَدَتْ وهي بتولٌ

على يَدَيْها تحملُ ابنَها

و تعاينُ سماتَ البتوليّةِ في جسمِها

في ثديِها فاضَ الحليبُ

ورغمَ ذلك ظلَّتْ بتولاً

---

٣٩ راجع الشّرح حول مفهوم الدّهشة ܬܗܪܐ عند أفرام في المقدّمة.

٤٠ في التقليد الآبائيّ تربط الحكمة بالمسيح وتضحي إحدى ألقابه. وهنا نرى مريم «المتألّهة» بسبب قبولها كلمة الله في جسدها وفي فكرها وفي نفسها.

ܒܟܠܝܘܡ ܬܗܪܐ ܡܠܝܐ ܗܘܬ ܀
ܠܗ ܙܡܪܐ ܚܟܝܡܬܐ ܗܘܬ
ܐܢ ܩܪܝܒܝܢ ܫܡܘܥܐ .
ܙܡܪܬܗ ܐܝܟ ܕܠܫܒܪܐ .
ܘܐܢ ܦܪܫܝܢ ܫܡܘܥܐ ܠܗ .
ܐܝܟ ܕܠܡܪܐ ܪܒܘܬܐ ܀
ܣܓܕܐ ܒܒܥܘܬܗ ܠܥܘܠܐ .
ܘܡܠܝܐ ܢܦܫܗ ܕܬܗܪܐ .
ܘܡܫܬܒܗܪܐ ܒܗ ܕܒܪܗ ܗܘ .
ܘܝܕܥܐ ܗܘܬ ܒܗ ܕܡܪܗ ܗܘ .
ܠܒܪܐ ܘܡܪܐ ܛܥܝܢܐ ܗܘܬ ܀

ܚܙܬ ܕܛܥܝܢܐ ܥܘܠܐ .
ܘܒܒܬܘܠܘܬܗ ܦܫܝܐ (ܗܘܬ) .
ܘܡܥܒܪܐ ܚܙܬ ܕܗܘܐ .
ܝܗܒ ܠܗ ܚܝܠܐ ܕܐܣܬܟܠܬ .
ܕܗܘ ܛܥܝܢ ܐܠܗܐ ܗܘ ܀
ܒܬܘܠܬܐ ܡܠܝܬ ܕܬܗܪܐ .

تزدادُ كلَّ يومٍ دهشةً[41]

بحكمةٍ كانَتْ ترنّمُ لَهُ

فإنْ كانَ من سامعين قربَها

غنَّتْ لهُ أغانيَ الأطفالِ

وإذا رحلَ السامعون

سجدَتْ لَه كإلهِ العظمةِ[42]

حملَتْ في حضنِها ولدَها

وبالدّهشةِ امتلأَتْ نفسُها

افتخرَتْ بهِ لأنَّهُ ابنُها

وعارفةً أنّهُ ربُّها

قد حملَتْ ابنَها وربَّها

قد رأَتْ نفسَها تحملُ ابنًا

و بتوليّتُها ما برحَت

وهذا الحدثُ الّذي حصلَ

أعطاها القدرةَ ففهِمَتْ

أنَّ مَن تحملُه هو اللهُ

بتولٌ مملوءةٌ عجبًا

---

٤١ أي تزداد تأمّلاً في سرّ الابن وفهمًا له. وأفرام يشدّد على النموّ الروحيّ لدى مريم، التي دفعتها أوّل حياة يسوع العلنيّة لأن تطلب آية. إنّ تأمّل سرّ الابن كلّ يوم جعلها تتعرّف إليه، فتحفظ كلّ شيء في قلبها، وتزداد دهشة. بهذا المعنى يركّز أفرام على مريم كمثال للّذين يريدون اتّباع الربّ؛ عليهم أن يتعرّفوا إليه كلّ يوم ويتأمّلوا في سرّه تأمّل الحبيب لا تأمّل العالِم.

٤٢ الامتياز الذي نالته مريم بأنّها عرفت من دون سائر البشر أنّ يسوع هذا هو ابن الله. وتظهر مريم في هذا المقطع كأنّها تحاول حجب هذا السرّ عن الآخرين، بينما قصد أفرام هو أن يظهر هذا الامتياز.

ܒܪܬܐ ܒܟܣܝܐ ܐܪܙܐ ܗܘܬ .
ܘܝܕܥܐ ܡܢܘ ܘܒܪ ܡܢܘ .
ܦܐܪܐ ܒܪܝܟܐ ܕܛܥܝܢܐ .
ܘܒܟܠܗܝܢ ܚܟܝܡܐ ܗܘܬ ܀

ܚܙܩܝܐܝܠ ܒܪ ܫܒܝܬܐ .
ܚܙܐ ܒܥܝܢܐ ܕܢܒܝܘܬܐ .
ܒܬܘܠܬܐ ܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܘܪܘ ܨܪܝܗ ܠܒܬܘܠܘܬܗ̇ ܨܘܪܬܐ ܗܘܬ .
ܡܡܨܥܝܘ ܒܓܠܝܢܐ ܕܪܘܚܐ .
ܘܟܬܒܗ̇ ܣܦܪܗ̇ ܒܟܬܒܐ .
ܕܐܝܟ ܕܩܪܐ ܢܣܬܟܠ ܀
ܚܘܝܗ ܡܪܝܐ ܠܢܒܝܐ .
ܒܬܪܥܐ ܕܗܝܟܠܐ .
ܬܪܥܐ ܕܐܚܝܕ ܘܐܡܪ ܠܗ .
ܕܗܢܐ ܬܪܥܐ ܢܗܘܐ ܐܚܝܕ .
ܡܛܠ ܕܐܠܗܐ ܥܐܠ ܒܗ ܀

كتمَتْ في نفسِها السرَّ الخفيَّ
إذ عرفَتْ مَن هو وابنَ مَن هو
الثّمرةَ المباركةَ الّتي تحملُها
وفي هذا كلِّه كانتْ حكيمةً

حزقيالُ نبيُّ السَّبي
بعينِ النّبوءةِ قد رأى البتولَ ابنةَ داودَ
وجعلَ لبتوليّتِها صورةً
بواسطةِ الوحيِ الإلهيِّ

نبوءةُ أرضِ الكلدانيينَ
قد رسمَتْ لمريمَ صورةً[٤٣]
وضعَتْها في كتابِ الأنبياءِ
فحُفِظَتْ قصّتُها في الكتبِ
كي ما يَفهمَ سرَّها كلُّ مَن يَقرأُ

قد أظهرَ السيّدُ للنبيِّ
في الهيكلِ أمامَ أبوابِ الكهنةِ
بابًا مغلقًا وقالَ له:
"هذا البابُ يبقى مغلقًا
لأنّ اللهَ منه يَدخلُ"[٤٤]

---

٤٣ دانيال ٧، ٩.
٤٤ حز ٢، ٤٤.

النّشيد الخامسُ

على لحن: الفردوس.

اللازمة: مباركٌ من جعلكِ بالنّعمة أمًّا له، ومنكِ أشرقَ وخرجَ وأنارَ البرايا.

ܐܚܪܢܐ ܒܩܠܐ ܕܦܪܕܝܣܐ ܒܪܝܟ ܗܘ
ܕܥܒܕܟ ܠܗ ܐܡܐ ܒܛܝܒܘܬܐ
ܘܡܢܟ ܕܢܚ ܘܢܦܩ
ܘܐܢܗܪ ܠܒܪܝܬܐ .

"أن للعذراءِ ولدٌ"[45]! يَسمعُ ولا يصدّقُ
الكاتبُ والفاحصُ والباحثُ بحسَبِ الطّبيعةِ
إذ لا توجدُ وسيلةٌ كيما تَلدَ البتولاتُ
وبمريمَ قد خابَ (ناموسُ) الطّبيعةِ وغَلَبَ
فالعذراءُ حَبلَتْ، والعذراءُ وَلدتْ
هي دربٌ لا قدرةَ للطّبيعةِ على السّيرِ فيها.

ܠܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܐ . ܫܡܥ ܘܠܐ ܡܗܝܡܢ .
ܣܦܪܐ ܘܒܨܘܝܐ . ܕܒܬܪ ܟܝܢܐ .
ܕܠܐ ܐܝܬ ܠܗ ܫܒܝܠܐ . ܕܢܐܠܕܢ ܒܬܘܠܬܐ .
ܒܡܪܝܡ ܟܝܢܐ ܚܒ ܘܐܙܕܟܝ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܒܛܢܬ . ܘܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܬ .
ܘܐܘܪܚܐ ܗܝ ܕܠܐ ܡܫܟܚ . ܟܝܢܐ ܕܢܪܕܐ ܒܗ ܀

المولودُ قد ظَهرَ ووُلدَ منكِ كما يولدُ الأطفالُ[46]
أمُّه كانتْ بتولاً وقد ارتدتِ العَجبَ
قد حملَتِ الثّمرةَ وحشاها بقيَ مختومًا!
جديدةٌ هي الدّربُ الّتي سلكتها المعجزةُ
فأعطتِ البتولُ مولودًا
وهو ما لا تعطيه الطّبيعةُ للبتولات.

ܝܠܕܐ ܕܢܚ ܘܢܦܩ . ܒܐܘܪܚܐ ܕܛܠܝܐ .
ܐܡܗ ܒܬܘܠܬܐ ܗܘܬ . ܘܠܒܫܐ ܬܕܡܘܪܬܐ ܗܘܬ .
ܦܐܪܐ ܛܥܝܢܐ ܗܘܬ . ܘܟܪܣܗ ܚܬܝܡܐ ܗܘܬ .
ܐܘܪܚܐ ܚܕܬܐ ܗܘܬ ܕܗܠܟܬ .
ܘܝܗܒܬ ܠܒܬܘܠܬܐ . ܠܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܐ .
ܡܕܡ ܕܠܐ ܝܗܒ . ܟܝܢܐ ܠܒܬܘܠܬܐ ܀

أَنشِدْ للعذراءِ فقد[47] صارَتْ بالنّعمةِ

ܠܒܬܘܠܬܐ ܐܙܡܪ . ܕܗܘܬ ܒܛܝܒܘܬܐ .

---

٤٥ إش ٧، ١٤.

٤٦ حرفيًّا على طريق الأطفال.

٤٧ يمكن ترجمتها أيضًا التي صارت بالنّعمة، إنّما انفصال ܕܗܘܬ عن البتول يجعلنا نظنّ أنّها تأخذ معنى تفسيريًّا يعبّر عن سبب النشيد" لأنّ" أو "فقد" وليس "التي" كارتباط بالبتول، وإلاّ تضحي حرفيًّا: للبتول أنشد، التي أضحت... شكل غير اعتياديّ في اللغة السريانيّة.

أمًّا لسيِّدِ الكلِّ وحَبلتْ من دونِ زرعٍ
ووَلدتْ من دونِ رجلٍ، وأثمرَتْ من دونِ زواجٍ
وصارتْ للعالَمِ أعجوبةً إذ ولدَتِ العجيبَ من دونِ أن يفهمَ أحدٌ بأيّةِ طريقةٍ!
لأنّ الكتبةَ ليسوا واجدينَ لفحصِه سبيلاً.

ܐܡܐ ܠܡܪܐ ܕܟܠ . ܘܒܛܢܬ ܕܠܐ ܙܪܥܐ .
ܘܝܠܕܬ ܕܠܐ ܓܒܪܐ ܘܐܬܦܪܝܬ ܕܠܐ ܢܩܦܐ .
ܘܗܘܬ ܬܕܡܘܪܬܐ ܒܥܠܡܐ .
ܕܝܠܕܬ ܠܬܕܡܘܪܐ . ܘܠܐ ܡܬܒܨܐ ܕܐܝܟܢ .
ܡܛܠ ܕܠܐ ܡܫܟܚܝܢ . ܣܦܪܐ ܕܢܒܨܘܢܗ ܀

للصَبيّةِ حليبٌ وللعذراءِ مولودٌ
فمَن لا يتعجّبُ من الأمِّ المجيدةِ
قد رضيَتْ أن تَلِدَ، قد أعطَتْ حليبًا
أضحَتْ للأمّهاتِ شبيهةً في كلّ شيءٍ
فليُخزَ الباحِثُ الذي يستقصي (سرَّ) الأمِّ
الّتي صارتْ، وهي بتولٌ، أمًّا لجابِلِه.

ܠܛܠܝܬܐ ܚܠܒܐ . ܘܠܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܐ .
ܘܡܢܘ ܕܠܐ ܢܬܕܡܪ . ܒܐܡܐ ܡܫܒܚܬܐ .
ܡܢ ܨܒܝܢܐ ܕܐܝܠܕܬ . ܡܢ ܚܘܒܐ ܚܠܒܐ .
ܡܢ ܕܡܝܐ ܠܐܡܗܬܐ ܒܟܠܡܕܡ .
ܢܒܗܬ ܐܦ ܡܥܩܒܢܐ . ܕܢܐܡܪ ܚܕܐ ܠܐܡܐ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܗܘܬ . ܐܡܐ ܠܒܪܘܝܗ ܀

قد وُضعَتْ رموزُكِ في تابوتِ العهدِ يا بتولُ[٤٨]
وصوّرتْكِ النبوءةُ بأوصافٍ جميلةٍ[٤٩]
وَوضعَتْها في الأسفارِ للّذي يقدرُ أن يفهمَها:
قد أعلنوا عنكِ جَرّةً جديدةً[٥٠]
وابنُكِ كان الملحَ. أصلحَ الينبوعَ
الذي به صارَتِ الحياةُ للعالمِ المائتِ.

ܐܪܙܝܟܝ ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ . ܣܝܡܝܢ ܒܩܒܘܬܐ ؛
ܘܨܪܐ ܢܒܝܘܬܐ . ܨܘܪܝܟܝ ܫܦܝܪܐ .
ܘܣܡܬ ܐܢܘܢ ܒܣܦܪܐ . ܠܐܝܠ ܕܡܣܬܟܠ .
ܟܪܙܘ ܩܘܠܬܐ ܚܕܬܐ ܐܟܪܙܘܟܝ .
ܘܒܪܟܝ ܗܘܐ ܡܠܚܐ . ܘܐܣܝ ܠܡܒܘܥܐ .
ܕܒܗ ܗܘ ܚܝܐ ܒܗ . ܥܠܡܐ ܕܡܝܬܐ ܗܘܐ ܀

٤٨ وفي بعض المخطوطات يرد: يا ابنة داود.

٤٩ التيبولوجيا الكتابيّة المحوريّة في كتابات أفرام. إنّ الكتابات المقدّسة في العهد القديم قد جُعلت رموزًا سوف تتّضح وتُعتلن في العهد الجديد على ضوء المسيح. ولذلك، جُعلت رموز شتّى للعذراء مريم بلغت وضوحها بتجسّد الابن منها. راجع "أفرام والكتاب المقدّس".

٥٠ راجع ٢ ملوك ٢، ١٩-٢٢: النبيّ أليشع بواسطة الملح الموضوع في الجرّة الجديدة يحوّل الينبوع الموبوء من مصدر مرض وموت إلى نبع حياة لشاربيه. يرى الكاتب في هذا النصّ الكتابيّ صورة تحقّقت في المسيح الملح الشافي الخارج من مريم، الجرّة الجديدة، ليعطي الخلاص للبشر.

ܪ̈ܡܙܘܟ ܒܗܘ ܚܘܛܪܐ . ܕܐܬܬܣܝܡ ܒܐܪܘܢܐ .
ܕܟܕ ܠܐ ܢܨܒ ܐܦܪܥ . ܕܡܫܬܥܐ ܫܪܒܟ ܗܘܐ .
ܚܘܛܪܐ ܕܠܐ ܫܩܝܐ . ܒܛܪܦܐ ܡܟܠܠ ܗܘܐ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܢܗܘܐ ܪܐܙܐ .
ܕܐܪܐ ܕܐܝܬܘܪܬܐ . ܐܦܪܥܬ ܘܝܗܒܬ ܠܟ .
ܘܛܘܦܣܗ ܪܫܝܡ ܘܝܕܝܥ ܒܚܘܛܪܐ ܕܠܘܝܐ ܀

رَمزوا إليكِ بالعصا[٥١] الموضوعةِ في تابوتِ العهدِ
وهي دون أن تُغرسَ قد أورقَتْ لتُعلنَ قصّتَكِ
عصًا دون أن تُسقى قد تكلّلت بالأوراقِ
لتكونَ رمزًا للبتولِ التي أثمرَتْ وأعطتِ الثّمرةَ العجيبةَ
رمزُها مرسومٌ ومعروفٌ في عصا[٥٢] اللاويين.

ܠܐ ܡܢ ܩܕܡ ܙܒܢܐ . ܘܠܐ ܒܬܪ ܙܒܢܐ
ܐܘܠܕ ܐܝܠܢܐ . ܐܡܪܐ ܐܚܪܢܐ ܠܥܠܡܐ .
ܘܠܐ ܒܬܘܠܬܐ ܐܚܪܬܐ . ܝܠܕܬ ܕܠܐ ܙܪܥܐ .
ܡܪܝܡ ܘܐܝܠܢܐ ܚܕ ܗܘܘ .
ܐܡܪܐ ܬܠܐ ܒܣܘܟܐ . ܘܡܪܢ ܒܓܓܘܠܬܐ .
ܐܡܪܐ ܦܪܩ ܠܐܝܣܚܩ ܘܡܪܢ ܠܒܪ̈ܝܬܐ ܀
ܠܗ ܟܕ ܢܚܬ ܗܘܐ . ܫܒܩܗ ܠܡܪܟܒܬܐ .
ܠܗ ܟܕ ܥܡܪ ܒܡܪܝܡ . ܫܡܝܐ ܡܣܝܩܝܢ ܗܘܘ .

لا في الأزمنةِ القديمةِ ولا ما بعدَ الأزمنةِ
ولدَت شجرةٌ أخرى حملاً للعالمِ[٥٣]
وما ولدَتْ بتولٌ أخرى من دونِ زرعِ رجلٍ،
هما واحدٌ مريمُ والشّجرةُ
الحَمَلُ عُلّقَ بالأغصانِ، وربُّنا على الجلجلة[٥٤]
الحَمَلُ فَدى اسحقَ وربُّنا فَدى البرايا.

عندما نَزَلَ أرضَنا لم يتركْ أبدًا عرشَه[٥٥]
وحين حَلَّ بمريمَ لم تَفرغِ السّماواتُ منه،

---

٥١ راجع عدد ١٧، ٢٣- ٢٨: المسيح، الكاهن الأعظم الذي رمز إليه بهارون في العهد القديم، يُشبّه هنا بالعصا التي أورقت (تأكيد على الاختيار الكهنوتيّ لهارون من قبل السيّد) وقد وضعت في تابوت العهد، صورة تحقّقت بمريم التي احتوت المسيح في داخلها.

٥٢ يرد في بعض المخطوطات "في قصّة اللاويين". قد يكون التغيير مقصودًا من أحد النسّاخ لتوضيح المعنى: معروف رمزها في قصّة اللاويين (عدد ١٧، ٢٣- ٢٨)، إنّما عصا (أو أيضًا سبط) تبقى أكثر تناسقًا مع المعنى العام: الرمز ܛܘܦܣܐ يظهر في الصورة التاريخيّة التي هي العصا (وليس القصّة)، وتتحقّق في المسيح ومريم.

٥٣ تك ٢٢، ١٣، إشارة إلى الشجرة التي رآها إبراهيم على الجبل وقد رُبط فيها حملٌ ليقدّم فدية عن اسحق ابنه. فالحمل ما رأى فيه أفرام رمزًا للمسيح الذي يفدي البشريّة، ورأى في الشجرة حاملة الحمل رمزًا للعذراء التي حملت الحمل الفادي.

٥٤ في بعض المخطوطات يرد: "وربّنا على الصليب" (حرفيًّا على الخشبة)، وقد يكون الشكل الأقدم و الأصليّ، لما فيه من توازٍ بين الأغصان (حمل) وخشبة- صليب (المسيح).

٥٥ إزاء الهرطقات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في الشرق المسيحيّ، أظهر أفرام المفهوم الكريستولوجيّ القويم، فأكّد على وحدة الطبيعتين في أقنوم الإبن، فلم تذب أيّ من الطبيعتين في الأخرى ولا كانت الطبيعة الإلهيّة هي الأساسيّة في المسيح، بل إنّ اللاهوت والناسوت قد اتّحدا في الابن من دون أن ينفي الواحد الآخر.

ܟܕ ܗܘ ܕܡܟ ܒܣܦܝܢܬܐ . ܟܐܐ ܥܠ ܒܪ̈ܘܚܐ .
ܟܕ ܗܘ ܥܒܕ ܡ̈ܝܐ ܚܡܪܐ .
ܠܐ ܐܬܦܪܫ ܗܘܐ ܡܠܬܐ . ܡܢܗ ܕܗܘ ܦܓܪܐ .
ܐܠܐ ܒܝܕ ܬܪ̈ܝܗܘܢ . ܚܘܝ ܕܐܠܗܐ ܗܘ ܀

عندما نامَ في السّفينةِ هو قد زجرَ الرّياحَ[٥٦]

وعندما حوّلَ الماءَ خمرًا

لم تَنفصلِ (المسيح) الكلمةُ عن ذاك الجسدِ

لكنْ بواسـطةِ كـليهما قد أظـهرَ أنّـه اللهُ.[٥٧]

٥٦ حرفيًّا لم يزجر آخرُ الرياح.

٥٧ تشديد قويّ على مساواة المسيح بالله وكونه الله، وذلك ضدّ بدعة آريوس الإسكندريّ الذي قال إنّ المسيح ليس هو الله، بل هو مخلوق منه إلاّ أنّه أسمى الخلائق، وقد حرم مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ آريوس وأعلن مساواة الآب والابن بالجوهر، وأعلن «أنّ الكنيسة الجامعة ترفض الذين يقولون إنّ الإبن قد خُلق وجُبل، وأنّ جوهره مختلف عن جوهر الآب...من ليس آريوسيًّا يجب بالضرورة أن يؤمن بكلّ ما يؤمن به المجمع في ما يتعلّق بيسوع المسيح» (وثائق مجمع نيقيا ٢٠).

ܐܣܝܐ ܒܥܠܡܐ ܗܘܐ ܩܛܝܠܐ ܒܡܨܪܝܢ ܒܥܘܠܐ
ܒܪܝܟ ܕܫܪܐ ܒܗ̇ ܒܡܠܝܬܐ ܬܗܪܐ
ܕܢܚ ܘܢܦܩ ܡܢܗ̇
ܘܢܗܪܬ ܠܬܒܝܠ ❖

ܐܬܟܢܫܘ ܟܢܫܐ ܕܒܬܘܠܬܐ .
ܩܘܫܘ ܟܦܐ ܘܙܡܪܘ ܩܠܝ ܫܘܒܚܐ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܬ ܬܕܡܘܪܬܐ ܪܒܐ .
ܘܗܘܬ ܬܕܡܘܪܬܐ ܒܝܢܬ ܚܒܪܬܐ ❖
ܐܫܥܝܐ ܩܪܐ ܠܟܠ ܛܠܝܬܐ .
ܘܓܠܐ ܗܘܐ ܐܪܙܐ ܠܒܬܘܠܬܐ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܒܛܢܐ ܕܠܐ ܙܘܘܓܐ .
ܘܬܠܕ ܕܗܘܝܐ ܡܬܚܬܡܐ ❖
ܐܫܥܝܐ ܡܠܠ ܒܪܘܚܗ .
ܘܐܪܡܝ ܛܠܝܬܐ ܒܬܡܝܗܘܬܐ .
ܕܡܢ ܗܝ ܡܢ ܗܝ ܗ̇ܝ ܘܐܝܟܐ ܘܐܡܬܝ .
ܕܢܚ ܣܘܥܪܢܐ ܕܡܠܐ ܬܕܡܘܪܬܐ ❖
ܬܡܗ ܕܒܗܝܢ ܐܪܡܝ ܐܝܟ .
ܕܙܡܪ ܢܒܝܐ ܠܒܢܬ ܥܒܪܝܐ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܒܛܢܐ ܘܐܬܬܙܝܥ ܢܦܫܬܐ .

النّشيدُ السّادس

على لحن: ها هو مقتول في مصر.

اللازمة: مباركٌ من حلّ بالمليئةِ عجبًا، أشرقَ وخرجَ منها فاستنارتِ المسكونةُ.

تحضّر يا جمعَ البتولاتِ
صَفّقْنَ بالأكفِّ وأنشِدْنَ بأصواتِ التّمجيدِ
فالبتولُ قد وَلدتْ عجيبًا عظيمًا
وصارتْ عجيبةً بين الرّفيقاتِ.

آشعيا قد دعا كلَّ الصّبايا
وأظهرَ السرَّ للبتولاتِ
أنِ العذراءُ تَحبلُ من دونِ زواجٍ
وَتَلدُ العجيبَ وهي بتول[58].

قد تكلّمَ بالوحيِ آشعيا
وأوقعَ الصّبايا في حَيرةٍ
مَن هي؟ يا تُرى مَن هي؟ أين ومتى
يَظهرُ الحدثُ المملوءُ عجبًا؟

قد حَيّرَهنّ صوتُ النّبيِّ
إذ ترنَم بالجدائدِ لبناتِ العبرانيين
"البتولُ تَحبلُ؟! اضطربَتِ العفيفاتُ

[58] أش ٧، ١٤. حرفيًّا بالقداسة.

ܒܬܗܪܐ ܕܐܬܡܠܠ ܒܢܒܝܘܬܐ ܀
ܘܒܬܘܠܬܐ ܒܛܢܐ. ܪܡܙ ܐܫܥܝܐ
ܠܐ ܦܫܩ: ܦܫܩ ܡܢ ܗܝ ܐܝܟܐ (ܘܐܡܬܝ) .
ܒܡܪܝܡ ܪܡ ܩܠܗ ܕܢܒܝܘܬܐ .
ܘܐܬܝܕܥܬ ܡܢ ܗܝ ܡܠܝܬ ܬܗܪܐ ܀

ܢܒܝܐ ܒܚܙܘܢܗ ܐܙܝܥ ܐܢܝܢ .
ܘܫܪܝܘ ܫܘܐܠܐ ܠܥܠܝܡܬܐ .
ܕܠܐܡܬܝ ܗܘ ܗܘܐ ܚܕܬܐ ܗܢܐ .
ܘܒܬܘܠܬܐ ܬܒܛܢ ܐܝܟ ܕܐܬܐܡܪ ܀

ܒܡܪܝܡ ܐܬܦܫܩܘ ܟܠܗܘܢ ܐܪ̈ܙܐ .
ܕܟܣܝܢ ܗܘܘ ܒܟ̈ܬܒܐ ܕܢܒܝܐ .
ܘܕܢܚ ܡܢܗ ܫܡܫܐ ܕܙܕܝܩܘܬܐ .
ܘܒܓܠܝܗ ܢܗܪܬ ܐܪܥܐ ܟܠܗ ܀
ܗܘܬ ܡܪܝܡ ܓܦܬܐ ܘܦܪܥ ܡܢܗ .
ܢܘܪܒܐ ܢܨܪܝܐ ܐܝܟ ܕܟܬܝܒ .
ܘܢܫܬܠܡܘܢ ܡ̈ܠܐ ܕܢܒܝܐ .
ܒܢܨܪܬ ܐܬܪܒܝ ܕܢܫܬܠܡ ܟܠ ܀

ܗܘ ܙܪܥܐ ܡܢܗ ܒܠܐ ܙܘܘܓܐ .

من المعجزةِ التي أعلنَتها النّبوءةُ.

قد ترنَّمَ آشعيا وقال إنَّ البتولَ تحبلُ
لم يَشرحْ مَن هي ولا الأينَ ولا المتى
وفي مريمَ ارتفعَ صوتُ تلك النّبوءةِ
إذ قد عُرفتْ مَن هي تلك المملوءةُ عجبًا.

النّبيُّ برؤياه أقلقَهنَّ
وراحتِ الفتياتُ تُكثِرْنَ الأسئلةَ
أنْ متى يتحقّقُ هذا الأمرُ الجديدُ
وتَحبلُ العذراءُ بحسَبِ النّبوءةِ.

بمريمَ قد تَفسَّرَت كلُّ الأسرارِ
التي كانت محجوبةً في كتبِ الأنبياءِ
فقد أشرقَت منها شمسُ البرارةِ
وبظهورِه استنارتِ الأرضُ كلُّها.

قد صارَتْ مريمُ داليةً ومنها أورقَ
غصنٌ من النّاصرةِ[٥٩] كما كان مكتوبًا
وكيما تَتِمَّ أقوالُ الأنبياءِ قد تربّى في النّاصرةِ
حتّى يتمَّ فيه ما قد كُتبَ.

قد حلَّ في البتولِ وَلَدٌ من دونِ زواجٍ

٥٩ راجع أش ١، ١٠-١١.

ܒܟܘܡܬܐ ܕܟܝܐ ܕܠܐ ܐܬܒܙܥ .	كأنّها مياهٌ أمسَكَها حجابٌ[٦٠]
ܒܡܪܝܡ ܐܫܬܠܡܘ ܟܠ ܐܪ̈ܙܐ .	بمريمَ قد تمّتْ كلُّ الرّموزِ
ܘܐܬ̈ܘܬܐ ܘܣܒܪ̈ܬܐ ܒܗ ܐܫܬܡܠܝܘ ܀	والآياتُ والبشائرُ بها تحقّقتْ.

٦٠ الحجاب هو ما كانت النساء تلبسنه، ولا تزال الشرقيّات يلبسنه إلى اليوم في بعض البلدان، وهو كناية عن قطعة قماشيّة ناعمة تحجب الأعين عن وجه الإمرأة من دون أن تحجب عنها النور، وهو لرقّته لا يمكن أن يمسك الماء في داخله. هذا الشيء اليوميّ أعطاه أفرام مثلاً حسيًّا لعذريّة مريم الدقيقة، التي بنعمة من الله وبمعجزة منه بقيت سالمة رغم حبل صبيّة الناصرة بالربّ، كما حجاب حريريّ رقيق يمسك، بأعجوبة، في داخله ماء من دون أن يتمزّق أو أن يفقد محتواه.

ܐܚܪܢܐ ܩܠܐ ܐܘܣܦ ܠܢ ܡܪܝ ܒܘܢܐ
ܒܘܢܐ ܫܘܒܚܐ ܠܡܫܕܪܟ
ܒܬܕܡܘܪܬܐ ܠܚܙ̈ܝܐ ܀

ܬܘ ܢܬܕܡܪ ܐܘ ܣܦܪ̈ܐ .
ܒܐܡܐ ܒܬܘܠܬܐ ܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܫܦܝܪܬܐ ܕܝܠܕܬ ܕܘܡܪܐ .
ܡܥܝܢܐ ܕܝܗܒܗ ܡܒܘܥܐ .
ܐܠܦܐ ܕܚܕܘܬܐ . ܕܛܥܢܬ ܡܢ ܐܒܐ .
ܡܘܒܠܐ ܡܣܒܪܬܐ . ܒܥܘܒܐ ܕܟܝܐ .
ܫܩܠܬܗ ܘܚܕܪܬܗ . ܠܗܘ ܡܕܒܪܢܐ .
ܪܒܐ ܕܒܪ̈ܝܬܐ . ܕܒܗ ܐܫܬܝܢ ܫܠܡܐ .
ܒܐܪܥܐ ܘܒܫܡܝܐ ܀
ܬܘ ܢܬܕܡܪ ܒܗ̇ ܒܕܟܝܬܐ .
ܕܐܬܕܡܪܬ ܒܩܢܘܡܗ̇ .
ܕܗܝ ܒܠܚܘܕܝܗ̇ ܒܒܪ̈ܝܬܐ .
ܝܠܕܬ ܟܕ ܠܐ ܐܣܬܟܠܬ .
ܬܗܪܐ ܡܠܐ ܗܘܬ . ܢܦܫܐ ܕܕܟܝܬܐ .

النّشيدُ السّابعُ

على لحن: زدنا يا رب فهمًا.

اللازمة: المجدُ لمن أرسلكِ بالعجبِ للّذين يرونك.

تعالَوا نَتأمّلْ يا علماءُ
بالأمِّ البتولِ ابنةِ داودَ
البهيّةِ الّتي وَلدَتِ العجيبَ
الجدولِ الّذي أعطى الينبوعَ[٦١]
سفينةِ الأفراحِ الّتي حملَتْ من الآبِ[٦٢]
أحمالَ البُشرى؛ الّتي على الحضنِ النقيِّ
حملَتْه وطافَتْ به، ربّانِ
البرايا العظيمِ الّذي به ملَكَ السلامُ
بين الأرضِ والسّماء.

تعالَوا نتعجّبْ بالنّقيّةِ
الّتي صارَتْ بذاتِها عجيبةً
فهي وحدَها بين البرايا
وَلَدَتْ من دونِ أن تُعرفَ
قدِ امتلأتْ ذُهْلاً
نفسُ تلكَ النّقيّةِ

٦١ تشبيه رائع لمريم بالجدول وللمسيح بالينبوع، فكما أنّ الجدول يخرج من الينبوع، كذلك مريم خُلقت بواسطة الابن «الذي به كان كلّ شيء»، وإذا بالأدوار تنقلب والجدول هو الذي يعطي الينبوع.
٦٢ فكرة وردت في النشيد ٢ المقطع ٥.

ܘܒܠܒܗ ܒܟܠܝܘܡ . ܫܘܒܚܐ ܪܥܝܐ ܗܘܐ .	وسَكبَ عقلَها المجدَ كلَّ يومٍ
ܒܬܪ̈ܬܝܢ ܚܕܝܐ ܗܘܬ . ܕܬܪ̈ܬܝܗܝܢ ܕܥܡܝܩ̈ܢ .	بنقيضَين اثنين قد سُرَّت[٦٣]:
ܒܒܬܘܠܘܬܐ ܫܠܡܬܐ . ܘܒܒܪܐ ܚܒܝܒܐ .	بالبتوليّة الكاملةِ وبالابنِ الحبيب.
ܒܪܝܟ ܕܕܢܚ ܡܢܗ ܀	تَبارَكَ مَن أشرقَ منها.
ܝܘܢܐ ܛܠܝܬܐ ܛܥܝܢܐ ܠܗ	إنّ الحمامةَ الصبيّةَ حاملةَ
ܠܢܫܪܐ ܥܬܝܩ ܝܘܡܬܐ .	النّسرِ قديمِ الأيّام،
ܛܥܝܢܐ ܠܗ ܘܙܡܪܐ ܫܘܒܚܐ .	تحملُه وتغنّي مجدًا
ܒܩܝ̈ܢܬܐ ܚܒܝܒܬܐ .	بأغانٍ ملأى حبًّا:
ܐܘ ܒܪ ܥܬܝܪܐ . ܕܒܩܢܐ ܙܥܘܪܐ .	"يا ابن الغنيِّ الذي في عُشٍّ صغيرٍ
ܫܦܪ ܠܗ ܕܢܪܒܐ . ܐܘ ܟܢܪ ܩ̈ܠܐ .	قد حَسُنَ له أن يكبرَ. يا قيثارةَ الألحانِ
ܕܫܬܝܩ ܐܝܟ ܥܘܠܐ . ܦܩܘܕ ܠܝ ܐܙܡܪ ܠܟ .	الصّامتَ مثلَ طفلٍ، مُرْني أن أرنّمَ لكَ
ܒܟܢܪܐ ܕܡܙܝܥ . ܩ̈ܠܘܗܝ ܠܟܪ̈ܘܒܐ .	بالكنّارةِ التي تُذيعُ ألحانَها للكروبين
ܨܒܝ ܕܐܡܠܠ ܠܟ ܀	ارتضِ أن أتكلّم عنك."
ܐܬܪܟ ܒܪܝ ܪܡ ܗܘ ܡܢ ܟܠ .	موطنُك يا بُنَيَّ أعلى من كلِّ شيء
ܘܨܒܝܬ ܐܬܪܐ ܥܒܕܬܢܝ ܠܟ .	وقد شئتَ فجعلتَني موطنًا لكَ
ܫܡܝܐ ܙܥܘܪܐ ܠܐܝܩܪܟ .	والسّماءُ أصغرُ من (احتواءِ) مجدِك
ܘܡܣܟܢܬܐ ܛܥܝܢܐ ܠܟ .	ورغمَ هذا ها هي الفقيرةُ تحملُكَ
ܢܐܬܐ ܚܙܩܝܐܝܠ . ܘܢܚܙܝܟ ܥܠ ܒܘܪ̈ܟܝ .	فَلْيَأتِ حزقيالُ ويُبصِرْكَ على رُكبتيَّ
ܘܢܒܪܘܟ ܘܢܣܓܘܕ ܠܟ . ܘܢܫܬܘܕܥ ܕܐܢܬ ܗܘ ܗܘ.	وَلْيركَعْ وَلْيسجدْ لكَ وَيعرِفْكَ أنَّكَ أنتَ
ܗܘ ܕܚܙܐ ܬܡܢ . ܒܪܘܡܐ ܕܟܪ̈ܘܒܐ .	هو ذاك الّذي رآكَ هناكَ في عُلى الكروبين

٦٣ حرفيًّا: وهي مسرورة بأمرين صعبين.

ܥܠܠ ܡܢ ܡܪܟܒܬܐ . ܘܥܠ ܢܛܠ ܛܥܢܐ .
ܠܒܪܗ ܛܥܝܢܐ ܐܢܐ ܀
ܬܗܪܬ ܒܗ ܒܝ ܡܪܟܒܬܐ .
ܕܛܥܝܢܐ ܐܢܐ ܡܕܒܪܢܗ .
ܒܕܚܠܬܐ ܟܪܘܒܐ ܗܘܐ ܩܥܐ .
ܒܪܝܟ ܐܝܩܪܟ ܡܢ ܐܬܪܟ .
ܗܐ ܫܪܝܢ ܐܬܪܟ . ܐܦ ܒܥܘܒܝ ܐܝܬܘܗܝ .
ܡܫܟܢܟ ܥܠ ܒܘܪܟܝ . ܘܟܘܪܣܝ ܐܝܩܪܟ .
ܥܒܕܬܗ ܒܕܪܥܝ . ܚܠܦ ܓܝܓܠܐ ܨܒܥܬܝ .
ܗܘܝ ܠܟ ܡܪܟܒܬܐ . ܐܩܥܐ ܐܟܘܬܗ .
ܒܪܝܟ ܐܢܬ ܡܢ ܐܬܪܟ ܀

ܐܫܥܝܐ ܢܒܝܐ ܐܡܪ .
ܕܗܐ ܒܬܘܠܬܐ ܬܒܛܢ ܬܐܠܕ .
ܬܐ ܚܙܝ ܒܝ ܘܚܕܝ ܥܡܢ .
ܕܗܐ ܝܠܕܬ ܘܚܬܝܡܬܐ ܐܢܐ .
ܐܘ ܢܒܝܐ ܕܪܘܚܐ . ܥܬܝܪ ܚܙܘܢܐ .
ܚܙܝ ܠܥܡܢܘܐܝܠ . ܕܟܣܐ ܗܘܐ ܡܢܟ .
ܘܒܩܠܟ ܪܡܐ . ܒܗܬܗ̇ ܠܙܢܝܬܐ .
ܕܗܝ ܕܛܠܡܬܟ . ܘܠܐ ܗܝܡܢܬ ܕܝܠܕܬ .
ܕܒܒܬܘܠܘܬܝ ܝܠܕܬ . ܐܝܟ ܕܐܢܬ ܡܟܪܙ ܐܢܬ ܀

جالسًا على المركبة[٦٤]، وَلْيُطوِّبْني أنا
بسبب الّذي أحمِلُه.

قد دُهشتْ بي مركبةُ حزقيالَ
إذ أنا أَحملُ سائقَها.
وبخوفٍ يَصرخُ الكروبون:
"تباركَ وقارُك في مكانِ قدسِك"
ها إنّ موطنَك فيَّ، وحشاي تابوتُ عهدِك،
ومسكنُك على ركبتيَّ، وكرسي عظمتِك
أَصنعُها لكَ من ذراعيَّ. بدلَ العجلاتِ أصابعي
تكونُ لكَ مركبةً، ومثلَها أصرخُ:
"تباركتَ في مكانِ قدسِك".

النّبيّ أشعيا قد بَشّرَ
أنْ ها العذراءُ تَحبلُ وتَلدُ.
فتعالَ أشعيا انظرْني وافرحْ معنا
إذ قد وَلَدْتُ ولا زلتُ بتولاً.
فيا نبيَّ الرّوحِ، يا غنيَّ الرّؤيا
شاهدْ عمّانوئيل الّذي عنكَ كان محجوبًا
وبصوتِكَ المرتفعِ اجعلْ صهيونَ الزّانيةَ ذليلةً
إذ هي ظَلَمَتْكَ ورَفضَتْ أن تُصدِّقَ
أنْ بِعُذريّتي قد ولدْتُ كما أنتَ أعلنْتَ.

٦٤ راجع حز ١.

ܬܘ ܠܘܬܝ ܐܘ ܦܪ̈ܘܫܐ .
ܡܦܩ̈ܢܐ ܕܪܘܚܐ ܡܡܠܠܐ .
ܢܒܝ̈ܐ ܕܚܙܘ ܒܟܣܝ̈ܬܐ .
ܒܚܙܘܝܗܘܢ ܫܪܝܪ̈ܐ .
ܐܟܪ̈ܐ ܕܙܪܥܘ . ܘܕܡܟܘ ܥܠ ܣܒܪܐ .
ܩܘܡܘ ܕܘܨܘ ܒܥܠܠܬܐ . ܕܗܐ ܫܒܠܐ ܚܝ̈ܐ .
ܒܥܘܒܐ ܚܒܩܬ . ܕܗܘ ܠܚܡܐ ܠܟܦܢ̈ܐ .
ܘܣܒܥܐ ܠܡܣܟܢ̈ܐ . ܚܕܘ ܥܡܝ ܕܐܫܩܠܬ .
ܥܒܐ ܕܚܕܘܬܐ ܀

هلمّوا نحوي أيُّها الحكماءُ

المدافعون المعلنون عن الرّوحِ [٦٥]

ويا أيُّها الأنبياءُ الّذين شاهدوا الخفايا

بِرؤاهُم الحقيقيّةِ

أيُّها الزّارعون الّذين زرعوا ثمّ رقدوا على الرّجاء[٦٦]

استيقظوا وافرحوا بالغلال، فها هي سنبلةُ الحياةِ

أَحتضنُها بذراعيَّ فيها الخبزُ للجياعِ،

والشِّبَعُ للمحتاجين.

افرحوا معي فها أنا أَحملُ

باقةَ الأفراحِ.

---

٦٥ في بعض المخطوطات: عن الروح والحقّ.

٦٦ يشبّه أفرام أنبياء العهد القديم بزارعين رموا بذار بشرى الله الخلاصيّة ورقدوا من دون أن يروا عملهم يكتمل، وبالمسيح ابن مريم قد بلغت رموزهم ملأها واتّضحت.

ܐܚ̈ܐ ܒܩܠܐ ܕܛܘܒܝܗܘܢ ܠܒܬܘ̈ܠܐ
ܘܨ̈ܝܡܐ ܒܥܘܢܝܐ ܒܪܝܟ ܕܢܚ
ܕܐܢܗܪ ܒܪ̈ܝܬܐ ܀

ܬܘ ܢܐܡܪ ܛܘܒܘܗܝ ܠܡܪܝܡ .
ܡܣܟܢܬܐ ܕܥܬܪܬ ܒܒܪ ܡܠܟܐ .
ܪܒ ܛܘܒܗ ܘܡܥܡܪ ܕܘܟܪܢܗ .
ܘܟܠ ܥܡ̈ܡܝܢ ܢܪܒܘܢ ܠܫܘܒܚܗ .
ܗܝ ܡܪܝܡ ܐܡܪܬ ܕܢܛܒܢ ܠܝ
ܟܠ ܫܪ̈ܒܢ ܛܘܒܐ ܡܛܠ ܝܠܕܐ .
ܐܢܐ ܠܗ̇ ܛܘܒܐ ܕܐܙܡܢܢܝ .
ܘܐܦ ܗܘܐ ܫܘܝܐ ܗܘ ܦܪ̈ܘܫܐ ܀

ܒܫܪܪܐ ܕܛܘܒܗ̇ ܕܐܬܓܒܝܬ .
ܕܬܗܘܐ ܠܗ ܐܡܐ ܠܡܘܠܕ ܟܠ .
ܘܬܬܠ ܚܠܒܐ ܠܡܬܪܣܐ ܟܠ .
ܒܪܝܟ ܕܫܪܐ ܒܓܘܗ̇ ܡܚܪܪ ܟܠ .
ܛܘܒܝܗ̇ ܕܗܘܬ ܠܒܪ̈ܝܬܐ .
ܡܒܘܥܐ ܕܢܒܥܐ ܟܠ ܛܒ̈ܬܐ .
ܕܢܚ ܡܢܗ̇ ܢܘܗܪܐ ܠܒܪ̈ܝܬܐ .
ܢܛܒܢ ܠܗ̇ ܛܘܒܐ ܟܡܐ ܕܡܨܝܐ ܀

النّشيدُ الثّامن

على لحن: طوبى للبتولين وللصائمين.

اللازمة: مباركٌ ظهورُك الذي أنارَ البرايا.

تعالَوا نعلن الطّوبى لمريمَ
تلك الفقيرةِ الّتي اغتنَتْ بابنِ الملِك
عظيمةٌ طوباها وتَذكارُها مزدوجٌ[٦٧]
وكلُّ الشّعوبِ تعظِّمُ مديحَها.
هي مريمُ الّتي قالَت إنّ كلَّ القبائلِ
سوف تتلو لي الطّوبى بسببِ ذاك الّذي وَلدتْه[٦٨].
وأنا أيضًا أتلو لها الطّوبى إذ قد دَعتْني،
وهو واجبٌ ولائقٌ يا حكماء.

طوباها حقًّا مَن قد اختيرَتْ
لتكونَ أمًّا لوالدِ الكلّ
وتعطيَ الحليبَ لمَن يُقيتُ الجميعَ
مباركٌ مَن حلَّ فيها وهو محرِّرُ الجميعَ
طوباها مَن صارتْ للخليقةِ
ينبوعًا يَفيضُ بالخيرات
قد أشرقَ منها النّورُ للخليقةِ
لذلك تطوِّبُها البرايا بقَدْرِ ما تَستطيعُ.

---

٦٧ في بعض المخطوطات: وتذكارها مبارك.
٦٨ لو ١: ٤٦.

الطّوبى لتلك الّتي حَملتْ من دونِ رجلٍ

وَفرحتْ بطفلٍ من دونِ زرعٍ

وما اقتربتْ منها آلامُ المتزوّجاتِ

وابتهجَتْ بثمرةِ الوالداتِ.

صغيرٌ هو فمي ليعلنَ لها الطّوبى

عجيبةٌ هي في هذا كلّه ومُطوَّبةٌ

إذ فيها طَبعُ العذارى قد حُفظَ[69]

وفي حضنِها وَلدٌ يَكِفُّ الأحزانَ.

الطّوبى لها ففيها قد ازدادتِ الطّوبى

وأغنتْ كلَّ الشّعوبِ بإعطائها المولودَ

ومن ثمرةِ الحياةِ الّتي فيها نبتَتْ

أَكلَتْ كلُّ الشّعوبِ وما نَقصتِ الثّمرةُ

لها الطّوبى إذ ما عَرفَها رجلٌ

وفي المولودِ منها [70]

قد أزالتِ اللعنةَ عن بني آدم.

ܠܗ̇ ܛܘܒܐ ܕܒܛܢܬ ܕܠܐ ܓܒܪܐ .
ܘܚܕܝܐ ܥܘܠܐ ܕܠܐ ܙܪܥܐ .
ܘܠܐ ܩܪܒܘ ܠܗ̇ ܟܐܒܐ ܕܡܙܘܓܬܐ .
ܘܐܬܦܨܚܬ ܒܦܐܪܐ ܕܝܠܘܕܬܐ .
ܙܥܘܪ ܗܘ ܦܘܡܝ ܕܢܐܡܪ ܛܘܒܝܗ̇ .
ܕܬܡܝܗܐ ܗ̇ܝ ܒܟܠܗ̇ ܛܘܒܢܝܬܐ .
ܠܗ̇ ܛܒܥܐ ܢܛܝܪܐ ܕܒܬܘܠܘܬܐ .
ܘܠܗ̇ ܥܘܠܐ ܕܡܒܛܠ ܒܟܝܬܐ ܀

ܛܘܒ ܛܘܒܝܗ̇ ܕܪܘܚ ܡܢܗ̇ ܛܘܒܝܗ̇
ܘܟܠܗ ܥܡܡܐ ܥܬܪܘ ܒܡܘܗܒܬܗ̇ .
ܘܡܢ ܦܐܪܐ ܕܚܝܐ ܕܝܠܕ ܡܢܗ̇ .
ܟܠܗ ܥܡܡܐ ܐܟܠܘ ܘܠܐ ܚܣܪ .
ܠܗ̇ ܛܘܒܐ ܕܓܒܪܐ ܠܐ ܝܕܥܗ̇ .
ܠܐ ܚܡܝܗ̇ ܕܝܠܕܗ̇ [ܕܡܢܗ̇] .
ܐܥܒܪܬ ܠܠܘܛܬܐ ܕܒܢܝ ܐܕܡ ܀

69 يشدّد أفرام، كمجمل الآباء الأوّلين، على بتوليّة مريم الدائمة: قبل الميلاد وفيه وما بعده.

70 بيت من القصيدة مفقود في المخطوط.

النّشيدُ التّاسعُ

على لحن: من أجل العظيم الذي في السفينة.

اللازمة: المجدُ لسيّدِ الكلِّ الّذي من حضنِك أشرقَ.

طوباكِ يا ابنةَ الفقراءِ مريمُ

إذ صرتِ أمًّا لسيّدِ الملوكِ

وحَلَّ في حشاكِ وأنتِ بتولٌ[71]

ذاك الّذي امتلأتِ السماواتُ من مجدِه

طوبى للثّدي الّذي أفاضَ حليبًا وأرضَعَه

ولفمِكِ الّذي تاقَ إليه وغنّى له

وذراعَيك اللتين احتضنتاه، وصرتِ مركبةً

طافتْ بالنّاريّ.

طوبى لكِ مريمُ إذ قد صار حشاكِ

قصرًا للملكِ، وفيكِ حلَّ

من يَضفرُ التّيجانَ للسّلاطين،

ويعطي المراتبَ للأسياد.

مِن سِبط يهوذا قد نلتِ أصلاً

ومِن زرع داودَ نسَبُكِ

فمجيدٌ هو أصلُكِ إذ صرتِ وأنتِ بتولٌ

---

٧١ حرفيًّا: بالقداسة.

ܐܡܐ ܠܒܪ ܕܘܝܕ ܀
ܛܘܒܝܟܝ ܠܥܠܝܡܬܐ ܕܛܥܝܢܐ ܗܘܝܬܝ .
ܓܘܪܝܐ ܕܐܪܝܐ ܕܐܡܠܠ ܥܠܘܗܝ ܝܥܩܘܒ .
ܡܟܟ ܢܦܫܗ ܘܡܢܟܝ ܝܢܩ
ܚܠܒܐ ܕܟܝܐ ܘܪܒܐ ܐܬܥܒܕ .
ܘܗܘܐ ܐܡܪܐ ܡܢ ܢܩܝܐ ܒܬܘܠܬܐ .
ܘܠܡܕܒܚܐ ܢܣܩ ܗܘܐ ܕܢܦܪܘܩ .
ܒܟܝ ܗܘ ܪܡܝܙ ܗܘܐ . ܐܝܠܢܐ ܕܝܗܒ ܐܡܪܐ .
ܘܒܗ ܐܬܦܪܩ ܐܝܣܚܩ ܀
ܛܘܒܝܟܝ ܒܪܝܟܬܐ ܕܒܟܝ ܐܬܒܛܠܬ .
ܠܘܛܬܗ ܚܘܐ ܡܢ ܢܫ̈ܐ .
ܘܡܢܟܝ ܐܬܦܪܥ ܚܘܒܐ .
ܐܝܟ ܫܛܪ ܚܘܝܐ ܠܥܡ̈ܡܐ .
ܘܟܠ ܥܘܬܪܝܢ ܗܢܝ ܡܢܟܝ ܠܥܠܡܐ .
ܢܘܗܪܐ ܕܢܚ ܒܟܝ . ܘܚܫܘܟܐ ܘܫܘܠܛܢܗ
ܐܬܒܛܠܘ ܘܥܒܪܘ ܐܦܝ ܀
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܐܬܓܠܝ ܒܪܟܝ .
ܥܠ ܡܪܟܒܬܐ ܡܠܝܬ ܬܕܡܘܪܬܐ .
ܘܡܫܕܪ ܠܗ ܟܠ ܒܘܪܟܬܐ .

أمًّا لابنِ داودَ.

طوباكِ يا صبيّةَ حَمَلَتْ

شبلَ الأسدِ الّذي عنه تكلّمَ يعقوبُ[٧٢].

واضَعَ نفسَه ومنكِ رَضعَ حليبًا طاهرًا وَنَمَا

صارَ حَمَلاً من نعجةٍ بتولٍ

صَعدَ إلى مذبحِ التّقدمةِ كيما يفدينَا.

إليكِ قد رمزَتِ الشّجرةُ الّتي أعطتْ حَمَلاً

به افتُدي اسحقُ.

طوبى لكِ يا مباركةً بها بَطُلَتْ

لعنةُ حوّاءَ عن كلِّ النّساءِ

وبكِ وُفِّي الدّينُ الشاملُ

الّذي كَتبتْه الحيّةُ على الشّعوبِ

قد وَلدتِ كنزًا

أغاثَ الكونَ أجمعَ

بكِ النّورُ أشرقَ وتبدّدَ الظّلامُ وسلطانُه

وزالَ من الوجودِ.

طوبى لكِ مريمُ إذ قد ظَهَرَ ابنُكِ

على المركبةِ المملوءةِ عَجبًا

تُرسِلُ كلَّ البركاتِ

٧٢ راجع خروج ٤٩، ٩.

ܡܢ ܒܗ ܥܝܪ̈ܐ ܡܪ̈ܟܒܬܐ .
ܘܫܘܒܚܐ ܕܟܪ̈ܘܒܐ ܬܕܝܪܐ .
ܒܩܘܠܐ ܚܣܝܢܐ ܕܪܥܡܐ .
ܛܘܒܝܟܝ ܕܓܦܬܝܗܝ .
ܘܚܒܩܬܝܗܝ ܐܝܟ ܐܡܐ .
ܘܣܓܕܬ ܐܝܟ ܥܝܪ̈ܐ ❖
ܛܘܒܝܟܝ ܐܡܐ ܡܠܝܬ ܛܘܒ̈ܐ .
ܕܗܐ ܝܗܒܝܢ ܠܟܝ ܟܠܗܘܢ ܥܡ̈ܡܐ .
ܛܘܒܐ ܪܒܐ ܒܩܠܐ ܪܡܐ .
ܡܛܠ ܒܪܐ ܕܕܢܚ ܡܢܟܝ .
ܘܓܙܪ̈ܬܐ ܘܐܘܡ̈ܘܬܐ ܟܠܗܝܢ .
ܒܥܡ̈ܡܝܗܝܢ ܠܟܝ ܛܘܒܐ ܐܡܪ̈ܝܢ .
ܛܘܒܝܟܝ ܢܟܦܬܐ
ܕܥܡܟܝ ܗܘ ܘܒܟܝ ܗܘ ܫܪܐ . ܛܘܒܐ ܫܡܝܢܝܐ ❖

من عجلاتِ الملائكةِ العاقلة

ومجَّدَه الكاروبون من دونِ انقطاعٍ

بدويٍّ الرَّعدِ والرَّغدةِ.

طوبى لكِ إذ عانقْتِه

واحتضنتِه وصِرتِ أمَّه

وكالملائـــــكةِ سَـــجدتِ لـه.

طوبى لكِ يا أمًّا مَلأى محاسنَ

فها هي تعطيكِ كلُّ الشّعوبِ

جزيلَ الطّوبى بالهُتافِ

من أجلِ الولدِ الذي منكِ أشرقَ.

والجزائرُ وكلُّ الأممِ

بشعوبِها تعلنُ لكِ الطّوبى

فطوبى لكِ يا عفيفةً

فمعكِ هي النّعمةُ السّماويّة

وبكِ حلَّت[٧٣].

٧٣ راجع لو ١، ٣٥.

ܐܝܟܢܐ ܒܥܠܠ ܕܪܘܚܐ ܗܘܘ ܒܢܝܐ
ܫܘܒܚܐ ܠܡܢ ܕܐܘܪܒ ܕܘܟܪܢ
ܐܡܗ ܗܪܟܐ ܘܠܥܠ
ܒܫܡܝܐ ܀

ܐܦܣ ܠܝ ܡܪܝ ܒܗܝܡܢܘܬܐ . ܕܐܡܪ ܬܫܥܝܬܟ .
ܬܡܝܗܐ ܐܠܗܐ .
ܬܡܝܗܐ ܐܢܬ ܫܪܝܪܐܝܬ .
ܕܠܐ ܡܕܪܟ ܠܗ ܬܡܝܗܐ .
ܘܒܢܒܝܘܬܐ ܐܬܩܪܝܬ ܬܡܝܗܐ .
ܬܡܝܗܐ ܐܢܬ ܕܡܠܐ ܬܕܡܪ̈ܬܐ .
ܘܬܕܡܘܪܬܐ ܕܟܠܗ ܬܡܝܗܐ ܗܝ .
ܬܡܝܗܐ ܗܘ ܒܛܢܟ .
ܬܡܝܗܐ ܗܘ ܡܘܠܕܟ
ܬܡܝܗܐ ܐܢܬ ܟܠܟ .
ܬܡܝܗܐ ܐܢܬ ܘܠܐ ܡܬܥܩܒܬ ܀
ܒܟ ܫܪܝܬ ܘܥܠܝܟ ܡܬܬܟܠܢܐ ܫܠܡܬ
ܠܐ ܡܬܚܡܢܐ ܐܠܗܐ .
ܐܦܬܚ ܦܘܡܝ ܠܡܟܪܙܘ ܡܘܟܟܟ .
ܘܡܠܝܗܝ ܐܢܬ ܡܪܝ ܡܢ ܣܝܡܬܟ .

النّشيدُ العاشر

على لحن: قد طافتِ الملائكةُ.

اللازمة: المجدُ لمن عَظَّمَ تذكارُ أمِّه هنا وفي أعلى السّماوات.

مُنَّ عليَّ أيُّها السَّيِّدُ بالايمانِ لأُخبِرَ قصَّتَك

"يا إلهًا عجيبًا"[٧٤]

بحقٍّ أنتَ العجبُ

الّذي لا يدركُه عجبٌ

قد دُعيتَ بالنّبوّةِ عجيبًا[٧٥]

مذهلٌ أنتَ المملوءُ معجزاتٍ

ومعجزةٌ الّتي هي كلُّها عجبٌ

عجيبٌ الحَبَلُ بكَ

عجيبٌ مولدُكَ

عجيبٌ أنتَ كلُّكَ

يا عجيبًا لا يُستقصى.

بكَ أبتدِئ وبالاتّكالِ عليكَ أنتهي[٧٦]

يا أيُّها الإلهُ الّذي لا يُحَدُّ

أَفتحُ فمي لأعلنَ اتّضاعَك

فاملأْهُ من كنوزِكَ أيُّها السَّيِّدُ

---

٧٤ راجع أشعيا ٩، ٦.

٧٥ راجع أشعيا ٩، ٥.

٧٦ إنّ التكلّم بمجد الربّ وأعماله تبدأ دومًا بنعمة إلهيّة، فالربّ هو الذي يأخذ دومًا المبادرة ليفتح عيني الإنسان على عظمة محبّته.

ܐܢܐ ܐܪܥܐ ܐܢܬ ܐܟܪܐ .
ܙܪܘܥ ܡܠܝܟ ܒܩܠܗ ܕܟܗܝܠܐ .
ܐܘ ܕܙܪܥ ܢܦܫܗ ܒܕܟܝܬܐ .
ܝܠܕܐ ܕܠܐ ܙܪܥܐ .
ܕܢܚ ܡܢ ܐܒܐ .
ܘܐܬܐ ܡܢ ܡܪܝܡ .
ܕܟܕ ܠܐ ܙܪܥܘܗ ܝܗܒܬ ܦܐܪܐ ✤
ܓܢܒܪ ܥܠܡܐ ܓܢܒܪܐ ܚܝܠܐ .
ܟܣܐ ܒܐܝܬܘܬܗ
ܘܟܣܐ ܒܐܠܗܘܬܗ .
ܡܪܝܡ ܫܡܥܬ ܘܝܠܕܬܗ .
ܘܡܚܒܒܐ ܠܗ ܘܡܙܡܪܐ ܠܗ .
ܘܡܢܫܩܐ ܠܗ ܘܚܕܝ ܠܚܙܬܗ .
ܚܐܪ ܒܗ ܘܓܚܟ ܐܝܟ ܫܒܪܐ .
ܓܢܐ ܒܐܘܪܝܐ ܘܟܪܝܟ ܒܥܙܘܪܐ .
ܘܟܠ ܕܫܪܐ ܕܢܒܟܐ .
ܩܝܡܐ ܐܝܢܩܬܗ .
ܡܥܦܩܐ ܙܡܪܬܗ
ܘܡܢܫܩܐ ܠܗ ܒܒܘܪܟܝܗ ܘܫܠܐ ✤
ܕܘܝܕ ܐܒܘܟ ܙܡܪܐ ܙܡܪ ܠܟ
ܩܕܡ ܐܬܝܬܐ
ܝܚܝܕܝܐ ܕܐܠܗܐ .
ܡܛܠܟ ܫܒܐ ܕܐܒܘܟ ܢܒܝܐ .
ܙܡܪ ܠܟ ܒܢܒܝܘܬܗ .

أنا أرضٌ وأنتَ زارعُها

فازرعْ كلامَكَ في صوتِ الكسولِ

يا مَن زرعَ نفسَه في الطّاهرةِ

يا مولودًا من دونِ زرعٍ

قد أشرقَ من الآبِ

وجاءَ من مريمَ، ومن دونِ أن تُزرعَ أعطَتِ الثّمرَةَ.

جبّارُ العوالمِ، الجبّارُ القويّ

الخفيُّ بجوهرِه والمحتجِبُ بلاهوتِه

مريمُ قد أطاعَتْ وَولدَتْه

تَحتضنُه وتغنّي له،

تقبِّلُه وهو يَفرحُ برؤيتِها

كطفلٍ ينظرُ إليها ضاحكًا

حَلَّ في المذودِ ملفوفًا بأقمطةٍ

ما إن يبدأُ بالبكاءِ

تقومُ فترضعُه

تعانقُه تغنّي لَه

وتَهزُّ له ركبتَيْها لِيَهدأَ.

داودُ أبوك قد أَنشدَ لكَ نشيدًا

قبلَ مجيئِكَ يا وحيدَ اللهِ

إذ دعاكَ ذَهَبَ سَبأ[٧٧] في نبوءتِه

---

٧٧ مز ٧٢، ١٥.

واليومَ تحقَّقَتْ ترنيمتُه

فَها الذّهبُ والمُرُّ واللبانُ

مبسوطةً أمامَكَ يا صبيًّا قويًّا[78]

الذّهبُ لمُلكِكَ

واللبانُ لجوهرِكَ

والمرُّ لناسوتِكَ

فطوبى للّذي لا يَشكُّ فيكَ.

في أبيكَ أنتَ موجودٌ وفي مريمَ أنتَ، وعلى المركبةِ

وفي مذودِكَ موجودٌ وفي كلِّ مكانٍ أنتَ

في أبيكَ أنتَ بحقٍّ

وبمريمَ دونما انقسامٍ[79]

وعلى العرشِ وفي المذودِ الحقيرِ

في كلِّ مكانٍ أنتَ، وفي كلِّ ما صنعتَه

في كلِّ شيءٍ موجودٌ، في كلِّ ما جبلتَه

أنتَ (الخارجُ) منَ الآبِ

أنتَ (الخارجُ) من مريمَ

أنتَ (في كِليْهما) واحدٌ

أنتَ هو الّذي أتى وسوف يأتي بالمجدِ، هللويا.

الويلُ للّذي يفتّشُ ويبحثُ ويستقصي كيما يلمسَ

ܘܗܐ ܒܫܘܡܠܝܐ ܙܡܝܪܬܗ ܡܫܟܚ .
ܗܐ ܕܗܒܐ ܘܡܘܪܐ ܘܠܒܘܢܬܐ .
ܦܫܝܛܢ ܩܕܡܝܟ ܛܠܝܐ ܓܢܒܪܐ .
ܕܗܒܐ ܠܡܠܟܘܬܟ .
ܠܒܘܢܬܐ ܠܐܠܗܘܬܟ .
ܘܡܘܪܐ ܠܐܢܫܘܬܟ .
ܘܛܘܒܘܗܝ ܠܐܢܫ ܕܠܐ ܡܬܦܠܓ ܒܟ ܀
ܗܐ ܒܐܒܘܟ ܐܝܬ. ܘܒܡܪܝܡ ܐܝܬ ܘܥܠ ܡܪܟܒܬܐ
ܘܒܐܘܪܝܐ ܘܒܟܠ ܕܘܟ ܐܝܬ .
ܒܐܒܘܟ ܐܝܬܝܟ ܒܫܪܪܐ .
ܘܒܡܪܝܡ ܕܠܐ ܦܘܠܓܐ .
ܘܥܠ ܡܪܟܒܬܐ ܘܒܐܘܪܝܐ ܫܦܝܠܐ .
ܒܟܠ ܕܘܟ ܐܝܬ ܕܐܝܬ ܗܘ ܒܥܒܕܐ .
ܒܟܠ ܐܝܬܝܟ ܕܐܝܬ ܗܘ ܒܓܒܠܐ .
ܐܝܬ ܗܘ ܕܡܢ ܐܒܐ .
ܘܐܝܬ ܗܘ ܕܡܢ ܡܪܝܡ .
ܐܝܬ ܗܘ ܕܚܕ ܐܝܬܝܟ .
ܐܝܬ ܗܘ ܗܘ ܕܐܬܐ ܘܐܬܐ ܒܫܘ ܗܠ ܀
ܘܝ ܠܗ ܠܐܢܫ ܕܥܩܒ ܘܒܨܐ ܘܒܚܢ ܕܢܓܘܫ

---

٧٨ متّى ٢، ١١.

٧٩ يشدّد مجدّدًا على الاتحاد بين الطبيعتين في المسيح، وفي الوقت عينه على حقيقة كلّي اللاهوت والناسوت في شخص المسيح.

أعماقَ ألوهتِك.

ويلٌ للّذي لا يعترفُ بك

وللّذي لا يحبُّك

والّذي لم يؤمنْ بك.

ويلٌ للّذي حَسِبَك ناقصًا[80]

طوبى للّذي كتبَ أنّكَ أنتَ هو الله[81].

الطّوبى الّتي هي من أبيك

الطّوبى الّتي هي من حبِّك

الطّوبى الّتي هي من روحِك

تُعطى لمن يَفرحُ بمولدِك.

منكَ ترتعدُ أجواقُ ميخائيلَ الناريّةُ

أيُّها المولودُ الإله.

والكروبون على المركبةِ والحيوانات[82]

وكلُّ العجلاتِ الرّوحيّة

لا تكفيك مجدًا يا ابنَ ضابطِ الكلّ

قد جعلتَ في حشا أمِّك اتّضاعَك

حدودَك الّتي شاءَها اتّضاعُك

يا أيُّها الّذي لا يُحدُّ

قد جعلْتَ لكَ حدودًا

ܒܥܘܡܩܝܗ ܕܐܠܗܘܬܟ .
ܘܝ ܠܗܘ· ܠܐܢܫܐ ܕܠܐ ܡܘܕܐ ܒܟ .
ܘܝ ܠܗܘ ܠܐܢܫܐ ܕܠܐ ܡܚܒ ܠܟ .
ܘܝ ܠܐܢܫܐ ܕܠܐ ܗܝܡܢ ܒܟ .
ܘܝ ܠܐܢܫܐ ܕܚܫܒܟ ܚܣܝܪܐ .
ܛܘܒ ܠܐܢܫܐ ܕܟܬܒ ܕܐܠܗܐ ܐܢܬ .
ܛܘܒܐ ܕܡܢ ܐܒܘܟ .
ܛܘܒܐ ܕܡܢ ܚܘܒܟ .
ܘܛܘܒܐ ܕܡܢ ܪܘܚܟ .
ܢܗܘܐ ܠܐܢܫܐ ܕܚܕܐ ܒܡܘܠܕܟ ܀
ܙܐܥܝܢ ܡܢܟ ܠܓܝ̈ܘܢܐ ܢܘܪ̈ܢܝܐ ܕܒܝܬ ܡܝܟܐܝܠ
ܡܠܘܕܐ ܐܠܗܐ .
ܟܪܘܒܐ ܕܡܪܟܒܬܐ ܘܚܝ̈ܘܬܐ
ܐܦ ܓܝ̈ܓܠܐ ܡܠܝ̈ܠܐ .
ܠܐ ܣܦܩܝܢ ܠܟ ܒܪ ܐܚܝܕ ܟܠ .
ܗܐ ܒܟܪܣܗ ܕܐܡܟ ܒܡܘܟܟܟ .
ܬܚܘܡܟ ܕܨܒܐ ܡܘܟܟܟ .
ܐܢܬ ܗܘ ܠܐ ܡܬܚܡܢܐ .
ܐܢܬ ܗܘ ܕܐܬܬܚܡܬ

[80] إشارة إلى آريوس الإسكندريّ الذي قال بعدم مساواة الابن بالآب.

[81] من المرجّح أن يكون هذا الذي كتب أنّ المسيح هو الله هو أحد الآباء المدافعين عن الإيمان الحقّ السابقين أو المعاصرين لأفرام؛ وقد يكون معلّمه ابراهيم أسقف نصيبين الذي شارك في المجمع النيقاويّ.

[82] راجع حزقيال ١.

ܐܢܬ ܗܘ ܕܠܐ ܡܫܘܚܐ .
ܘܠܐ ܡܬܬܚܡܬ ܝܡܐ ܕܪ̈ܚܡܐ ܀
ܫܦܝܪ ܚܙܘܟ ܘܪܝܚܟ ܒܣܝܡ . ܦܘܡܟ ܩܕܝܫ
ܩܕܝܫܐ ܐܠܗܐ .
ܡܢ ܟܠܟ ܢܒܥܝܢ ܚܝ̈ܐ .
ܒܠܚܡܟ ܚܝ̈ܐ ܕܢܦܩܘ ܠܒܝܬ ܠܚܡ .
ܘܚܝ̈ܐ ܐܝܬܝܟ ܡܢ ܚܕ ܚܝܐ
ܚܠܐ ܪܝܚܟ ܒܣܝܡܐ ܛܠܝܘܬܟ .
ܒܣܝܡ ܐܢܬ ܗܘ ܠܡܐܟܘܠܬܐ ܚܢܢܐ .
ܐܟܘܠܐ ܐܢܬ ܫܡܝܢܐ . ܠܛܝܪܐ ܡܚܝܢܐ .
ܘܝܠܕܐ ܒܬܘܠܝܐ .
ܘܛܘܒܘܗܝ ܠܨܗܝܐ ܕܕܡܟ ܠܕܡܟ ܀
ܛܥܢܘ ܪܥܘ̈ܬܐ ܠܟ ܐܡܪܐ ܚܠܒܐ .
ܐܡܪܗ ܚܝܐ ܕܐܠܗܐ .
ܒܪܟܘ ܘܣܓܕܘ ܠܟ ܘܐܘܕܝܘ
ܘܩܪܒܘ ܠܟ ܡܪܝ ܬܫܒܘܚܬܐ ܪܥܝܐ ܫܪܝܪܐ .
ܘܗܦܟܘ ܘܐܬܘ ܡܢ ܬܡܢ .
ܒܬܫܒܘܚܬܐ ܕܥܝ̈ܪܐ ܪܘܚܢܐ .
ܕܡܫܒܚܝܢ ܘܩܥܝܢ ܒܗܕܪܟ .

يا أيُّها غيرَ المحدودِ.

يا بحرَ الرّحمةِ من دونِ حدٍّ.

جميلٌ محيّاك، لذيذةٌ رائحتك وفمُك قدّوسٌ

يا قدّوسًا إلهاً.

منك كلِّك تنبعُ الحياةُ

وفي خبزِك تعطي الحياةَ الخارجةَ من بيتَ لحم[٨٣]

أنتَ الحياةُ الخارجُ من الحيِّ الأَحَدِ

لذيذٌ عطرُك وهنيئةٌ طفولتُك

و لذيذٌ أنتَ مأكلاً يا حنّانُ

أنتَ مأكلٌ سماويٌّ أحيا رعيّتَه

ويا ولدًا بتوليًّا

طوبى لمن يَعطشُ لدمِك.

قد حَمَلَ الرّعاةُ وقدّموا لك حَمَلاً رضيعًا

يا حَمَلَ اللهِ الحيِّ،

رَكعوا وسَجدوا واعترفوا[٨٤]

وقدّموا التّسبيحَ لك يا ربُّ، أيُّها الرّاعي الحقُّ

ثمّ عادوا متعجّبين

من تمجيدِ الملائكةِ الرّوحانيين

الّذين يمجّدون ويهتِفون بالبهاء:

---

٨٣ ܒܝܬ ܠܚܡ في السريانيّة تأخذ معنى مزدوجًا، فتشير إمّا إلى قرية بيت لحم أو إلى بيت الخبز أي حيث يخبز الخبز؛ وقد لعب أفرام على المعنى المزدوج ليشبّه المسيح بخبز الحياة الذي لا يموت آكله.

٨٤ لو ٢، ٨-٢٠.

ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ . ܒܡܪ̈ܘܡܐ ܥܠ̈ܝܐ .
ܫܠܡܐ ܥܠ ܐܪܥܐ .
ܘܣܒܪܐ ܛܒܐ ܠܒܢܝܢܫܐ ܀
ܒܪܗ ܕܐܒܐ ܐܢܬ ܒܪܗ ܕܡܪܝܡ
ܘܚܕ ܗܘ ܐܢܬ
ܐܘ ܡܠܬܐ ܐܠܗܐ ܥܠ ܡܢ ܟܝܢܐ ܡܢ ܐܡܐ .
ܘܟܝܢܝܐ ܡܢ ܐܒܐ .
ܐܦ ܡܢ ܝܘܪܕܢ ܕܠܐ ܒܥܝܕܐ .
ܡܢ ܢܗܪܐ ܘܐܡܐ ܘܡܢ ܐܒܐ
ܚܕ ܐܢܬ ܛܠܝܐ ܐܠܗܐ . ܘܣܓܝܐܢ ܕܚܟܡܬܐ
ܡܠܝܢ ܛܡܝܪܢ ܒܟ .
ܐܘ ܕܫܪܐ ܘܝܢܩ
ܚܠܒܐ ܒܒܬܘܠܐ ܡܢ ܒܪܬ ܕܘܝܕ ܀
ܟܪܣܐ ܛܥܢܬܟ . ܐܘܪܝܐ ܣܦܩ ܠܟ ܫܡܥܘܢ ܛܥܢܟ
ܓܢܒܪܐ ܐܠܗܐ .
ܗܘܐ ܡܬܚܡ ܐܢܬ ܐܚܝܕ ܠܡܓܫܫ
ܘܓܘܫܡ ܐܢܬ ܐܦ ܡܬܓܫܫ ܐܢܬ

"المجدُ لله في الأعالي

وعلى الأرضِ السّلامُ

والرّجاءُ الصّالحُ لبني البشر".[٨٥]

ابنُ اللهِ أنتَ يا ابنَ مريمَ:

في كليهما أنتَ واحدٌ.

يا كلمةَ اللهِ (المتجسّدَ)[٨٦] من الأمِّ بنعمةٍ تفوقُ الطّبيعةَ

و(المنبثقَ) من الآبِ بحسب الطّبيعة

ومن الأردنِّ بغيرِ اعتيادٍ.

من النّهرِ، من الأمِّ ومن الآبِ[٨٧]

واحدٌ أنتَ أيُّها الصبيُّ الإلهُ.

كثيرةٌ هي كلماتُ الحكمةِ

المحتجبةُ فيكَ

يا من سكنْتَ ورَضعتَ

حليبًا بتولاً من ابنةِ داود.

الحشا احتضنَك، المذودُ قد كفاك، وسمعانُ قد حملَك[٨٨]

يا جبّارًا إلهًا،

قد صرتَ محدودًا، أُمسِكْتَ ولُمِسْتَ

قد صِرتَ جسمًا، قد صِرتَ ملموسًا

---

٨٥ لوقا ٢، ١٤.

٨٦ بعض المخطوطات تضيف "المتجسّد".

٨٧ يشكّل عماد المسيح بالنسبة لأفرام إعتلانًا مسيحانيًّا جديدًا؛ فبعد الخروج من الآب والولادة من مريم يأتي العماد كتجلٍّ مسيحانيٍّ وثالوثيٍّ بغاية الأهميّة. بهذا الصدد راجع المقدّمة.

٨٨ سمعان الشيخ، راجع لو ٢، ٢٥-٣٦.

أيُّها الطَّبعُ اللامحدودُ مطلقًا

ها قد حَدَّك مذودٌ صغيرٌ.

أنتَ من يقدرُ أن يحدَّ جوهرَكَ؟

ها قد صِرتَ مُدرَكًا

يا أيُّها غيرَ المُدرَكِ

قد شِئْتَ فأُدرِكْتَ

أيُّها الابنُ الّذي لا يُدرَكُ ولا يُحدُّ.

من تُرى قد شابهتَ؟ تشبهُ أباك، تشبهُ أمَّك

فلا شبيهَ للهِ

من دونِ لونٍ تشبهُ أباكَ

شابهتَه بالقوّةِ والجوهرِ

وبالطّبيعةِ والسّلطانِ[٨٩].

قد شابَهتَ والدتَك مريمَ

إذ منها صِرتَ شبيهَ البشريّةِ

أنتَ شبيهُ أبيك، أنتَ شبيهُ أمِّك

وأنتَ تشبهُ ذاتَك،

فيا أيُّها الّذي أخذَ له صورةَ عبدِ المجدُ لك.

كم أنتَ شجاعٌ، كم أنتَ وضيعٌ وكم أنتَ قويٌّ

وقصَّتُكَ معلَنةٌ وخفيّةٌ

ܟܝܢܐ ܕܡܬܚܡ ܠܐ ܐܫܬܟܚ .
ܘܗܐ ܒܥܘܒܐ ܙܥܘܪܐ ܐܫܬܟܚܬ .
ܡܢܘ ܓܝܪ ܡܨܐ ܠܐܘܣܝܟ .
ܗܐ ܒܡܫܐ ܐܫܬܟܚܬ .
ܐܘ ܕܠܐ ܡܬܡܫܚ .
ܨܒܝܬ ܘܐܬܡܫܚܬ .
ܒܪܐ ܠܐ ܡܬܡܫܚܢܐ ܘܠܐ ܡܬܡܫܚ ܀

ܠܐܒܘܟ ܕܕܡܝܬ ܠܐܡܟ ܕܕܡܝܬ ܠܡܢܘ ܕܕܡܝܬ .
ܕܠܐ ܕܡܘܬܐ ܠܐܠܗܐ .
ܕܠܐ ܓܘܢܐ ܕܕܡܝܬ ܠܐܒܘܟ .
ܐܘ ܒܚܝܠܐ ܐܘ ܒܐܝܬܘܬܐ .
ܐܦ ܒܟܝܢܐ ܘܒܫܘܠܛܢܐ .
ܕܕܡܝܬ ܗܘ ܠܝܠܕܬܟ ܡܪܝܡ .
ܕܡܢܗ ܗܘܝܬ ܕܡܘܬܐ ܠܐܢܫܘܬܐ .
ܗܐ ܕܕܡܝܬ ܠܐܒܘܟ .
ܗܐ ܕܕܡܝܬ ܠܐܡܟ .
ܗܐ ܕܕܡܝܬ ܐܦ ܠܟ .
ܐܘ ܕܢܣܒ ܠܗ ܕܡܘܬܐ ܕܥܒܕܐ. ܠܟ ܫܘܒܚܐ ܀
ܡܐ ܚܪܝܦ ܐܢܬ ܡܐ ܡܟܝܟ ܐܢܬ ܡܐ ܚܣܝܢ ܐܢܬ .
ܘܓܠܝܐ ܘܟܣܝܐ ܫܪܒܟ

٨٩ تأثير قويّ باد للاهوت النيقاويّ، خاصّة من ناحية عبارات الجوهر الواحد والطبيعة؛ وتهدف كلّها إلى إيصال التعليم المستقيم من خلال ألحان شعبيّة وليتورجيّة ضدّ التعاليم الآريوسيّة.

ܫܕܝܐ ܢܦܫܟ ܠܟܠ ܟܠ ܐܢܫ
ܓܚܟ ܐܢܬ ܠܡ ܦܓܥ ܒܟ .
ܣܓܝܐ ܒܟ ܒܢܝܢ . ܠܟܠ ܢܩܘܦܝܢ .
ܣܦܘܬܟ ܦܬܚܢ ܒܣܡ ܚܝܐ .
ܘܡܘܪܘܣܐ ܢܒܥ ܨܒܥܬܟ ..
ܥܝܢܝܟ ܫܦܝܪܢ .
ܗܐ ܚܙܝܢ ܠܐܡܟ .
ܘܟܦܢܐ ܠܚܙܝܬܟ .
ܘܗܘܐ ܟܦܢܝܢ ܠܟ ܒܚܙܝܢܟ ܕܥܕܬܐ ܀
ܢܘܪܢܐ ܐܢܬ ܪܘܚܢܐ ܐܢܬ ܒܪ ܐܝܬܘܬܐ ܐܠܗܝܬ .
ܡܓܫܡ ܡܢ ܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܡܢ ܛܘܗܡܐ ܕܥܒܕܐ ܗܘܝܬ .
ܐܦ ܦܓܪܐ ܘܓܪܡܐ ܐܝܬ ܠܟ .
ܐܘ ܠܐ ܓܫܡܢܐ ܕܗܘܐ ܓܫܡܢܐ .
ܠܐ ܒܪܝܐ ܐܝܟ ܒܫܪܪܐ .
ܕܠܒܪܝܬܐ ܝܗܒܬ ܠܡܗܘܐ .
ܐܢܬ ܗܘ ܒܪܝܬ ܕܨܒܝܬ .
ܐܢܬ ܗܘ ܗܘܝܬ ܕܐܚܒܬ .
ܐܢܬ ܗܘ ܕܡܪܐ ܐܝܬܝܟ
ܒܡܪܘܬܐ ܥܡ ܐܒܘܟ ܀

تَرمي بنفسِك لكلِّ إنسانٍ
ضاحكًا لمن يَلتقي بك
ويَفترُّ جبينُك لمقبِّليك.
شفتاكَ تَفيضان بلسمَ حياةٍ
والعطورُ تَسيلُ من أصابعِك
جميلةٌ عيناك
تنظران إلى أمِّك
و(أمُّك) جائعةٌ لرؤيتِك
ومثلَها أيضًا يجوعُ إليكَ أبناءُ الكنيسةِ.

ناريٌّ أنتَ، روحيٌّ أنتَ وابنُ الجوهرِ[٩٠] الإلهيِّ
متجسِّدٌ من ابنةِ داودَ
من جنسِ العبيدِ أضحيتَ
وصار لك لحمٌ وعَظْمٌ
يا أيُّها اللاجسديُّ الَّذي تَجسَّدَ
بحقٍّ أنتَ غيرُ مخلوقٍ
وأنتَ الَّذي أعطيتَ الوجودَ للخليقةِ[٩١]
إذ بمشيئتِكَ قد خلقْتَ
وأَضحيتَ ما أحببتَ
أنت السّيّدُ مع أبيك.

٩٠ إبن الجوهر لا يقصد بها معنى البنوّة، إنّما تعني من الجوهر نفسه، فكلمة بر أي ابن تعني، إذا سبقت الكلمة، من نوع الشيء نفسه.

٩١ بالنسبة لأفرام، إنّ المسيح هو الذي أتى بالخليقة إلى الوجود؛ فبواسطته قد خلق الله الآب كلّ شيء، «قد كان على لسان الآب حين تكلّم، وفي يده حين خلق».

ܣܪ̈ܦܐ ܡܩܕܫܝܢ ܟܪ̈ܘܒܐ ܡܒܪ̈ܟܝܢ ܐܦ ܡܠܐܟ̈ܐ.
ܡܫܒܚܝܢ ܠܐܠܗܘܬܟ .
ܡܟܣܝܢ ܠܐܘܪܐ ܓܦ̈ܝܗܘܢ .
ܘܝܘܣܦ ܘܡܪܝܡ ܩܝܡܝܢ
ܒܙܘܥܐ ܐܦ ܪ̈ܬܝܛܐ .
ܒܩܠܐ ܕܓܦ̈ܐ ܕܚܝܠܐ ܕܣܪ̈ܦܐ .
ܒܪܡ ܪܥܡܐ ܕܚܝܠܐ ܕܩܠ̈ܝܗܘܢ .
ܡܢܘ ܡܫܘܐ ܠܟ .
ܡܢܘ ܡܕܪܟ ܠܟ .
ܘܡܢܘ ܒܨܐ ܠܟ .
ܘܡܢܘ ܡܡܪܚ ܕܢܒܨܐ ܠܡܘܠܕܟ ✻
ܒܪܐ ܡܠܝܠܐ ܐܢܬ ܕܐܬܝܬ ܒܥܐ ܠܥܢܐ ..
ܗܘ ܒܪܐ ܕܒܬܘܠܬܐ .
ܗܘܝܬ ܐܡܪܐ ܘܪܗܛܬ ܠܐܘܪܥܟ .
ܥܢܐ ܗܝ ܕܐܛܥܝܬ ܗܘܬ .
ܕܫܡܥܬ ܩܠܟ ܟܕ ܓܥܐ ܐܢܬ
ܘܗ ܠܐܡܪܐ ܕܛܥܢܗ ܠܒܪܝܐ .
ܐܘ ܝܠܘܕܐ ܕܝܢܩܗ ܠܥܬܝܩܐ .
ܐܘ ܪܥܝܐ ܘܐܡܪܐ . ܐܘ ܟܗܢܐ ܘܕܒܚܐ .
ܐܘ ܒܪ ܝܠܘܕܐ ܟܡܐ ܒܣܝܡ ܐܢܬ ✻
ܚܕܝܐ ܐܡܟ ܚܕܐ ܐܦ ܝܘܣܦ

السّرافون يقدّسون، والكروبون يباركون
والملائكةُ يمجّدون ألوهتَك
أجنحتُهم تغطّي مذودَك
ويوسفُ ومريمُ قائمان بالخوفِ والرِّعدةِ
من صوتِ أجنحةِ السّرافين المُرعبةِ
ومن رعدِ أصواتِهم المُرجفةِ.
فمَن يُوفيك المديحَ؟
ومَن هو الّذي يدركُك؟
ومَن هو الّذي يفحصُك
ومَن يتجاسَرُ على فحصِ مولدِك؟

يا ابنَ اللهِ أنتَ جئتَ باحثًا عن نعجتِك العاقلة
ويا ابنَ البتولِ
قد صرتَ حَمَلاً، فأسرَعَتْ لاستقبالِك
النَّعجةُ الّتي قد ضَلَّتْ
حينَ سمعتْ صوتَك تَثغو.
فيا حَمَلاً قد حَمَلَ البرارةَ
يا حليبًا قد رَضعَه قديمُ الأيّامِ
يا راعيًا وحَمَلاً، يا كاهنًا وذبيحةً
يا حَمَلاً رضيعًا كم أنتَ لذيذٌ.

مسرورةٌ أمُّك ومسرورٌ معها يوسفُ

ܦܨܝܚ ܐܢܬ ܐܦ ܐܢܬ .
ܐܘ ܐܡܪ ܦܨܚܢ .
ܦܨܝܚܐ ܡܪܝܡ ܕܝܠܕܬܟ .
ܘܡܢܫܩܐ ܠܟ ܒܘܪܐ ܕܐܪܝܐ .
ܕܡܢ ܩܠܟ ܐܬܬܙܝܥ ܗܘ ܬܥܠܐ .
ܗܪܘܕܣ ܡܠܟܐ ܒܝܫܐ .
ܥܒܪܬ ܡܠܟܘܬܗ . ܕܢܣܒܬ ܡܠܟܘܬܟ .
ܗܝ ܕܢܣܒܐ ܗܘܬ .
ܕܐܢܬ ܗܘ ܡܠܟܐ ܘܡܠܟ ܡܠܟܐ ܀
ܨ̈ܪܬܘܗܝ ܠܐܕܡ ܡܢ ܥܦܪܐ ܘܒܪܝܬ ܠܐܡܟ .
ܘܐܢܬ ܠܟ ܨܪܬ ܒܪ̈ܥܝܢܟ .
ܡܢܗ ܓܝܪ ܕܐܠܒܫܬܟ ܟܝܢܐ ܗܘ .
ܕܠܐ ܡܩܢܝܘܡ ܗܘܐ ܠܗ ܠܐܒܘܟ .
ܗܟܢ ܐܝܬܘܗܝ ܟܝܢܟ ܡܪܝ .
[ܐܒܐ] ܠܐ ܗܘܐ ܠܗ ܐܒܘܟ .
ܘܨܒܝܢܟ ܨܪܗ ܠܐܢܫܘܬܟ .
ܒܝܠܕܐ ܕܡܢ ܐܒܘܟ .
ܘܠܐ ܐܢܬ ܠܟ ܥܒܕܬ .
ܕܠܝܬ ܠܟ ܫܘܪܝܐ :
ܒܡܪܝܡ ܐܢܬ ܠܟ ܥܒܕܬ ܕܨ̈ܒܝܬ ܀

ومسرورٌ أنتَ يا من أنت سرورُنا[٩٢]

مسرورةٌ مريمُ إذ وَلدَتْكَ

تُقبِّلُك يا شبلَ الأسدِ[٩٣]

من صوتِه ارتعدَ ذاك الثعلبُ

هيرودسُ الملكُ الخبيثُ

قد زالَ مُلكُه إذ أَخذْتَ ملكَكَ

وقد كانَ مُختَلَسًا

فأنتَ وحدَك ملكُها وأنتَ ملكُ الملوكِ.

من التّرابِ قد صَوّرتَ آدمَ، وَخَلقتَ أمَّكَ

وفي فكرِك صوّرتَ نفسَك منذُ البدءِ[٩٤]

وجوهرُك البشريُّ الّذي أَخذْتَه، طبيعيٌّ هو

ما كانَ لأبيكَ يومًا

فهكذا هي طبيعتُك أيُّها السّيّدُ:

بالجسدِ الآبُ ليسَ أباكَ

ومشيئتُك قد صَوَّرَتْ ناسوتَك.

وعندَ انبثاقِك من الآب

لم تَصنعْ أنت نفسَك إذ ليس لك بدايةٌ

وبخروجِك من مريمَ قد جَعلتَ ذاتَك لأنَّك أنتَ أردتَ.

---

٩٢ كلمة ܦܨܚܢ قد تعني إمّا فصحنا وإمّا سرورنا. وأفرام، مرّة أخرى، يلعب على المعاني ليوصل إلى السامع أنّ بالمسيح فرح عبورنا، أي فرح فصحنا من الموت إلى الحياة، من عبوديّة الخطيئة إلى بنوّة أبناء الله.

٩٣ راجع تكوين ٤٩، ٩.

٩٤ أي إنّ المسيح قد صوّر طبيعته البشريّة في فكره وخلقها لأنّه خالق كلّ شيء؛ ويكمل أفرام شارحًا أنّه قد صوّر فقط طبيعته البشريّة وليس الإلهيّة، وإلاّ لكان أضحى له بدء.

ܩܝܡܐ ܡܪܝܡ ܐܡܟ ܚܬܟ ܡܟܝܪܬܟ ܐܡܬܟ
ܗܝ ܕܩܪܝܒܐ ܠܘܬܟ .
ܡܐ ܕܝܠܕܬܟ ܠܫܡܥܬ ܢܫܩܬ
ܓܦܦܬ ܓܦܦܬ ܐܦ ܐܘܪܟܬ
ܘܫܘܒܚܐ ܨܠܬܐ ܗܘܐ ܐܚܝܕܐ ܠܟ .
ܡܙܡܪܐ ܠܟ ܘܓܚܟܐ ܠܛܠܝܘܬܟ .
ܘܐܢܬ ܚܕܐ ܐܢܬ ܘܝܢܩ ܐܢܬ ܚܠܒܐ .
ܙܥܬ ܠܗ ܝܠܕܬܟ .
ܙܥܬ ܠܗ ܡܝܢܩܬܟ .
ܘܙܥܬ ܠܗ ܒܪܝܬܟ .
ܒܟ ܬܟܝܠܐ ܐܡܟ ܒܪܐ ✣
ܪܒܐ ܕܐܡܗ ܐܠܗܗ ܕܐܡܗ ܡܪܐ ܕܐܡܗ .
ܙܥܘܪ ܘܩܕܝܡ ܡܢ ܐܡܗ .
ܫܠܝ ܬܡܝܗ ܐܬܕܡܪܬ .
ܚܘܨܦܟ ܗܘܐ ܡܬܡܗܐ ܠܝ .
ܡܢܘ ܕܚܙܝܟ ܘܠܐ ܢܬܡܗ .
ܗܐ ܥܪܛܠܝܘܬܟ ܡܬܡܗܐ ܠܚܙܝܐ
ܘܓܠܝܢܟ ܡܬܡܗ ܠܡܕܪܫܢܐ .
ܗܐ ܦܫܝܛܝܢ ܐܝܕܝܟ .
ܗܐ ܒܥܛܢ ܪܓܠܝܟ .

قائمةٌ قربَك مريمُ أمُّك، أختُك، عروسُك وأمَتُك

أَطاعتْ وولدتْكَ، أحبَّتْ عانقتْ وقبّلتْ

سبّحتْ، صلّتْ وَشكرتْ

أَعطتْك حليبًا؛ ها هي تمسكُك

تغنّي لكَ تضحكُ لطفولتِك

وأنتَ مسرورٌ ترضعُ منها الحليبَ.

قد اضطربتْ والدتُك

قد اضطربتْ مرضعتُك

قد اضطربتْ مخلوقتُك

فبكَ أيُّها الابنُ ثباتُ أمِّك.

يا معلّمَ أمِّه،يا إلهَ أمِّه وسيّدَ أمِّه

الأصغرُ والأقدمُ من أمِّه

رويدَك مهلاً قد أذهَلْتَني

إنّ جرأتَك تحيّرُني:

من يَراك ولا يَشتمُّ أريجَك

عُريُك يُدهشُ النّاظرين[95]

وظهورُك يُذهلُ المجادلين[96]

ها هي مضمومةٌ يداك

ها هي تَرفسُ رِجلاك

---

[95] مقارنة بين عري المسيح وعري آدم: في البدء آدم الملتحف بالروح القدس كان عريه «طاهرًا يدهش الناظرين»، والمسيح، آدم الجديد، جاء يعيد آدم إلى جمال حالته الأولى.

[96] قد تأخذ أيضًا معنى الفصيح، الجدليّ، الطاهر، النقيّ. اخترت ترجمتها بمجادلين لأنّها الأقرب إلى الفكرة التي يشير إليها الكاتب: عدم قدرة العقل البشريّ على فهم سرّ التجسّد بقوّته الذاتيّة ويغنى عن النعمة الإلهيّة.

ܗܐ ܪܚܝܡ ܐܢܬ ܟܠܟ .
ܗܐ ܡܠܐ ܦܘܡܟ ܪܛܢܘ ܕܐܝܟܢ ❖
ܫܘܦܪܟ ܫܦܝܪ ܘܪܝܚܟ ܚܠܐ ܗܘ ܘܦܘܡܟ ܕܒܫܐ ܗܘ .
ܛܠܝܐ ܐܠܗܐ .
ܚܝܠܐ ܕܢܦܩ ܡܢ ܦܘܡܟ .
ܡܪܥܒ ܠܫܡܝܢܐ ܘܡܪܝܡ ܩܝܡܐ .
ܡܢ ܬܘܗܐ ܕܪܡܙܟ ܙܐܥܝܢ ܒܪܝܬܐ .
ܘܙܢ ܐܢܬ ܠܒܪܝܬܐ ܒܛܝܒܘܬܟ .
ܘܗܐ ܚܠܒܐ ܕܒܪܝܬ ܗܐ ܝܢܩ ܐܢܬ ❖
ܬܘܕܝܬܐ ܠܟ ܒܪ ܐܠܗܐ ܕܫܘܝܬ ܕܐܙܡܪ .
ܬܫܥܝܬܐ ܕܡܘܠܕܟ .
ܚܣܐ ܘܫܒܘܩ ܚܘܒܝ .
ܘܐܘܕܐ ܠܟ ܡܪܝ ܘܐܫܒܚܟ .
ܒܦܘܡ ܕܙܡܪ ܠܟ ܙܡܝܪ̈ܬܐ ܫܘܒܚܐ .
ܒܝܘܡ ܡܘܠܕܟ ܫܒܘܩ ܚܘܒܝܢ
ܘܢܐܣܐ ܚܢܢܟ ܠܟܐܒܝܢ .
ܘܢܡܠܟ ܡܪܝ ܫܝܢܟ .
ܒܥܡܟ ܘܒܥܕܬܟ .
ܠܟ ܡܪܝ ܫܘܒܚܐ .
ܒܝܘܡ ܥܐܕܟ ܝܠܝܕܐ ܡܫܒܚܐ ❖

محبوبٌ أنتَ كلُّك

وفمُك مملوءٌ من همساتِ والدِك.

بهيٌّ جمالُك، وعذبةٌ رائحتُك وفمُك كالعسلِ

أيُّها الطِّفلُ الإله

القوّةُ الخارجةُ من فمِك

تُرعِدُ السّماويين. ومريمُ واقفةٌ مذهولةً

فمن بإشارتِهِ تَهتزُّ البرايا

وأنتَ تُقيتُ بنعمتِك البرايا

ها أنت ترضعُ الحليبَ الّذي خلقتَه.

لكَ الشّكرُ يا ابنَ اللهِ إذ أهّلْتَني لأترنّمَ

بقصّةِ ميلادِك

اغفرْ خطاياي واتركْ ذنوبي

فأعترفَ لك أيُّها السّيّدُ وأسبِّحَك

فممّا لك أرتّلُ لك تراتيلَ التّمجيدِ

في يومِ ميلادِك اغفرْ ذنوبَنا

وَلْيداوِ حنانُك جراحاتِنا

وَلْيَمْلك يا سيّدُ أمانُك

في شعبِك وكنيستِك

لك المجدُ يا سيّدُ

في يومِ عيدِك يا مولودًا مجيدًا.

النّشيد الحادي عشر

على لحن: داود بن يسّى.

اللازمة: المجد لمن اختار مريمَ ورفعَ وعظّمَ تذكارَها.

قد دعتني البتولُ ابنةُ داودَ
اليومَ إلى الوليمةِ
فبحبٍّ ومن دونِ استقصاءٍ
هلمّوا نفرحْ بوليمتِها
ونُسرُّ معها هاتفين
أنَّ الثّمرةَ التي وَلدتْها هي اللهُ.

البتولُ ابنةُ داودَ
واقفةٌ بين الجموعِ
تحملُ طفلَها
بها يحيطُ الدّارسون
واحدٌ يَفحصُ وآخرُ يُفتّشُ
وهي بتولٌ ومُصانةٌ.

البتولُ تَحملُ ولدًا
وعذريّتُها بقِيتْ مُصانةً
حُبلى وفيها سماتُ العذارى
وتعطي حليبَ الأمّهاتِ

ܐܚܪܢܐ ܥܠ ܩܠܐ ܕܘܝܕ ܒܪ ܝܫܝ ܒܥܘܬܐ
ܒܪܝܟ ܗܘ ܕܓܒܐ ܠܡܪܝܡ ܘܐܪܝܡ
ܘܐܘܪܒ ܕܘܟܪܢܗ ❖

ܒܬܘܠܬܐ ܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܩܪܬܢܝ ܝܘܡܢ ܠܡܫܬܘܬܐ .
ܒܚܘܒܐ ܕܠܐ ܒܨܝܐ .
ܬܘ ܢܬܒܣܡ ܒܡܫܬܘܬܗ .
ܘܢܚܕܐ ܥܡܗ ܟܕ ܐܡܪܝܢ .
ܕܦܐܪܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܗܘ ❖
ܒܬܘܠܬܐ ܒܪܬ ܕܘܝܕ ..
ܗܐ ܩܝܡܐ ܠܗ ܒܝܬ ܟܢܫܐ .
ܘܛܥܝܢܐ ܥܘܠܐ .
ܘܡܚܕܪܝܢ ܠܗ ܕܪܘܫܐ .
ܚܕ ܒܨܐ ܠܗ ܚܕ ܥܩܒ ܠܗ .
ܘܒܬܘܠܬܐ ܗܝ ܘܢܛܝܪܐ ❖
ܛܥܝܢܐ ܥܘܠܐ .
ܘܒܬܘܠܘܬܗ ܢܛܝܪܐ .
ܛܥܝܢܐ ܒܒܬܘܠܬܐ .
ܘܝܗܒܐ ܚܠܒܐ ܕܐܡܗܬܐ .

ܡܢܘ ܡܫܟܚ ܡܢܘ ܡܨܐ .
ܡܢܘ ܡܡܪܚ ܕܢܒܨܐ ܀
ܛܥܝܢܐ ܠܗ ܒܥܘܒܗ .
ܘܚܬܝܡ ܛܒܥܐ ܕܒܬܘܠܘܬܗ .
ܘܐܚܝܕ ܕܫܪܝܪ ܠܗ .
ܡܢܐ ܐܝܬ ܠܗ ܕܢܡܠܠ .
ܐܠܐ ܕܢܩܥܐ ܕܗܘܐ ܕܬܡܗܐ
ܐܝܟ ܕܐܡܪ ܐܫܥܝܐ ܀
ܐܫܥܝܐ ܡܫܒܚܐ .
ܩܪܝܗܝ ܠܐܠܗܐ ܓܢܒܪܐ .
ܘܩܪܝܗܝ ܕܬܡܝܗܐ .
ܡܛܠ ܝܠܕܐ ܕܬܡܝܗܘ .
ܡܛܠ ܗܢܐ ܠܐ ܐܢܫ ܢܥܩܒܝܘܗܝ .
ܢܩܪܘܢܝܗܝ ܐܠܐ ܛܠܝܐ ܕܬܡܝܗܐ ܀
ܡܢ ܐܕܢܐ ܥܠ ܗܘܐ .
ܘܫܪܐ ܒܡܪܒܥܐ ܟܣܝܐܝܬ .
ܘܢܦܩ ܡܢ ܟܪܣܐ .
ܘܠܐ ܫܪܐ ܛܒܥܐ ܕܒܬܘܠܘܬܗ .

فمن يقدرُ أو يستطيعُ

أو يجرؤُ على دَرسِ سرِّها؟

حاملةً الطِّفلَ في حضنِها

وخاتمُ بتوليّتِها مصانٌ

وماذا يَقدرُ كلٌّ من يراها

إلاّ أن يَصرخَ ويقولَ

أن "هذا هو العجيب"

كما قالَ أشعيا[97].

أشعيا (النبيُّ) المجيدُ

قد دعاهُ إلهًا جبّارًا

دعاه عجيبًا من أجلِ ميلادِه العجيب

ولهذا لا يدعوه أحدٌ[98]

إلاّ طفلاً عجيبًا.

بواسطةِ أُذُنِها قد دَخَلَ[99]

وحَلَّ في الحشا باختفاءٍ

وخَرجَ منَ الحشا

وما أفسدَ ختمَ البتوليّةِ[100]

---

٩٧ راجع أشعيا ٩، ٦.

٩٨ في المخطوط يرد أيضًا فعل أمر آخر: لا يبحث أحد (في سرّه)، وهو على الأرجح خطأ ارتكبه الناسخ.

٩٩ مفهوم الحبل من خلال السمع «Conceptio per aurem» فكرة مشتركة بين مجمل الآباء السريان كمار يعقوب السروجيّ وكريللونا وإسحق الإنطاكي (راجع أعماله الكاملة في S. Isaci Antioch. Opera Omnia ed. Bickel. Gissaei 1873, I, p. 60) وغير السريان مثل يوحنّا الدمشقيّ (في الإيمان القويم ٤، ١٤). راجع المقدّمة.

١٠٠ تشديد من قبل أفرام على بتوليّة العذراء الجسديّ حتى بعد لميلاد.

كما لم يفسدِ الخَتمَ
الّذي على القبرِ حين خرجَ.

حَمَلَتْه وطافتْ به
تسعةَ أشهرٍ في حشاها
ورَضِعَ منها الحليبَ
وهو الّذي كان يُغدقُ المطرَ
مذهلٌ هذا وعجيبٌ
ويحطّمُ عنادَ الكافرين.

حضنُها صار يشبهُ
حضنَ المتزوّجاتِ والأمّهاتِ
تحملُ جنينًا
والّتي ما عرفَتْ زوجًا
فكُفَّ أيُّها المتجاسرُ وارتعدْ أيُّها الفاحصُ
واعجَبْ عجبًا بالبتول.

رأسُ الملائكةِ قد دعا المسيحَ سيّدي
ما قُدِّرَ قَطُّ لابنِ بشرٍ
أن يُدعى رئيسَ ملائكةٍ
فالّذي دعاهُ هو اللهُ وابنُ اللهِ
وهو إلهُ جبرائيل[101].

ܘܗܟܢܐ ܠܘܬ ܐܦܠܐ ܐܬܚܒܠ .
ܘܡܟܝܠ ܚܬܝܡ ܗܘܐ ܟܕ ܢܦܩ ܀
ܛܥܢܬܗ ܘܚܕܪܬܗ .
ܬܫܥܐ ܝܪ̈ܚܝܢ ܒܟܪܣܗ̇ .
ܘܡܢ ܝܢܩ ܚܠܒܐ .
ܗܘܝܘ ܡܛܪܐ ܗܘ ܕܝܗܒ ܗܘܐ .
ܗܘܐ ܠܗܘܢ ܐܦ ܕܡܬܕܡܪ .
ܬܡܝܗܐ ܗܕܐ ܘܡܬܕܡܪܐ ܀
ܘܡܢ ܗܘܐ ܒܟܦܘܪܐ .
ܠܟܦܘܪ̈ܐ ܘܡܥܩܪܘܬܐ .
ܘܬܒܪ ܚܕܪܐ .
ܟܕ ܠܐ ܝܕܥܐ ܓܒܪܐ .
ܥܘܒ ܡܪܝܡ ܗܘܐ ܕܡܘܟ̈ܝܐ .
ܡܛܘܠ ܕܗܘ ܒܪ ܐܠܗܐ ܀
ܦܣܘܩ ܕܡܬܚܬܐ .
ܡܪܢ ܡܪܝܡ ܗܘܐ ܠܡܫܝܚܐ .
ܘܠܐ ܐܝܟ ܒܪ ܐܢܫܐ .
ܘܐܝܬܘܗܝ ܪܫܐ ܕܡܠܐܟ̈ܐ .
ܟܠܐ ܕܐܠܗܐ ܗܘ . ܘܒܪ ܐܠܗܐ ܗܘ .
ܘܗܘܝܘ ܡܪܗ ܕܓܒܪܝܐܝܠ ܀

---

١٠١ من القصائد التي تهدف إلى دحض تعاليم المبتدعين كالدوسيتيين والآريوسيين.

ܡܢܘ ܘܒܪ ܡܢܘ .
ܗܘ ܕܐܬܝܠܕ ܡܢ ܒܬܘܠܬܐ .
ܐܠܗܘܗܝ ܐܠܗܐ .
ܘܡܢ ܐܠܗܐ ܫܪܝܪܐ .
ܠܥܠ ܐܠܗܐ ܠܬܚܬ ܒܪܢܫܐ .
ܚܪܝܡ ܗܘ ܐܢܫ ܕܒܨܐ ܒܗ ✣
ܫܒܚܘ ܠܗ ܠܡܫܒܚܘܬܐ .
ܥܡܡܐ ܘܫܠܝܛܢ ܐܪܥܬܐ .
ܠܗܘ ܕܛܥܝܢܐ ܡܪܝܡ .
ܘܗܘܝܘ ܛܥܝܢ ܠܫܡܝܐ .
ܘܠܗ ܗܘ ܡܣܓܕܝܢ ܟܪܘܒܐ ܕܚܝܘܬܐ .
ܘܣܪܦܐ ܠܗ ܗܘ ܡܩܕܫܝܢ ✣
ܟܠܬܐ ܡܟܠܠܬܐ .
ܗܐ ܡܪܟܝ ܐܬܬܠܝ ܥܠ ܩܝܣܐ .
ܘܐܬܦܬܚ ܕܦܢܗ .
ܡܢ ܗܘ ܣܛܪܐ ܕܝܡܝܢܐ .
ܘܪܕܝܢ ܡܢܗ ܡܝܐ ܘܕܡܐ .
ܚܘܣܝܐ ܠܒܢܝ̈ܗܘܢ ܕܐܕܡ ✣
ܐܘܪܗܝ ܫܠܚܬ ܠܗ .
ܠܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܐ ܢܣܒ .
ܘܐܬܐ ܠܝ ܠܒܝ .

من هو وابنُ من
هذا المولودُ من البتول؟
هو الإلهُ من الإلهِ الحقّ[١٠٢]
في العلى هو اللهُ وعلى الأرضِ ابنُ بشرٍ
ملعونٌ من يبحثُ في سرِّه.

أنشدي التّمجيدَ
أيتُّها الشّعوبُ وأممَ الأرضِ
لذاك الّذي تحملُه مريمُ
وهو الحاملُ السماواتِ
له يسجدُ الكروبون
وإيّاه يقدّسُ السّرافون.

أيّتها الكنيسةُ العروسُ
قد عُلِّقَ ربُّك على خشبةٍ
وفُتحَ ضلعُه
من الجانبِ الأيمنِ
يجري منه ماءٌ ودمٌ
غفرانًا لبني آدمَ.

الرُّها قد أرسلتْ إلى المسيحِ الملكِ
أنْ تعالَ إليّ ومعَك اجلبْ لي

١٠٢ تعبير مجمعيّ نيقاويّ يستعمله أفرام، يظهر تشديد القدّيس على نشر التعليم الصحيح بشتّى الوسائل الممكنة.

ܙܩܝܦܐ ܚܝܐ ܕܐܣܓܘܕ ܠܗ .
ܬܐ ܣܡܘܟܝܢܝ ܬܐ ܐܣܝܢܝ .
ܬܐ ܐܣܝܐ ܟܐܒܐ ܕܚܫܝܟܝ ܀

صليبَ الحياةِ لأسجدَ له

تعالَ اعضُدْني، تعالَ اشفِني

تعالَ داوِ آلامي المبرّحةَ[١٠٣].

١٠٣ تروي التقاليد السريانيّة القديمة أنّ أبجر ملك مدينة الرّها الذي أصابه مرض، قد يكون البرص، عجز الأطباء عن شفائه. ولمّا سمع بمعجزات المسيح، أرسل يطلب منه القدوم إليه ليشفيه، فأخذ المسيح قطعة قماش ومسح بها وجهه فانطبع محيّاه عليها وأرسلها إلى أبجر فنال بها الشفاء. ويبحث اليوم علماء الكفن المقدّس في إمكانيّة مروره في مدينة الرها، التي كانت مزدهرة وذات مركز مرموق في العالم الشرقيّ، حتى حيكت حوله رواية الملك أبجر وصورة وجه المسيح.

النّشيد الثّاني عشر

ܐܚܪܢܐ ܒܩܠܐ ܕܦܪܕܝܣܐ ܫܘܒܚܐ
ܠܕܐܬܝܠܕ ܡܢ ܐܒܐ ܡܩܕܡܘܬܗ .
ܘܗܘܐ ܒܛܝܒܘܬܗ ܠܒܪ
ܙܒܢܐ ܀

نشيدٌ آخر على لحن الفردوس.

اللازمة: المجد لمن وَلد من الآب منذ الأزل وبنعمتِه وَلد في الزمن.

ܡܢܘ ܕܠܐ ܢܬܕܡܪ . ܒܡܘܠܕܟ ܡܫܒܚ ܡܢ ܟܠ .
ܒܛܢܟ ܕܠܐ ܙܘܘܓܐ . ܘܝܠܕܬ ܕܠܐ ܦܘܫܩܐ .
ܒܪܘܡܐ ܕܠܐ ܐܡܐ . ܒܥܘܡܩܐ ܕܠܐ ܐܒܐ .
ܬܗܪܐ ܗܘ ܡܘܠܕܟ ܒܟܠܗܘܢ .
ܕܟܕ ܠܐ ܫܪܝܬ ܒܬܘܠܬܐ . ܘܠܐ ܡܬܚܒܠܐ ܒܬܘܠܘܬܐ
ܡܠܝܢ ܬܕܝܢ ܚܠܒܐ . ܕܬܐܢܩ ܠܡܬܪܣܝܢ ܟܠ ܀

من لا يتعجّبُ بميلادِك الفائقِ كلَّ تمجيدٍ
حَبَلَ بكَ من دونِ زواجٍ، ووُلدتَ من دونِ وصفٍ
في الأعالي من دونِ أمٍّ وفي العمق من دونِ أبٍ
في كلٍّ هذا عجيبٌ ميلادُك
إذ ما بَطُلتِ العذريّةُ ولا فَسُدتِ البتوليّةُ
إمتلأ الثديان حليبًا كيما تُرضعا قائتَ الكلِّ.

ܫܪܐ ܒܓܘ ܓܘܦܢܐ . ܫܟܢ ܒܓܘ ܥܢܒܐ .
ܘܠܐ ܕܡܘܢܐ . ܘܕܠܐ ܨܒܥܬܐ ܕܟܪܡܐ .
ܐܝܟ ܓܦܢܐ ܕܛܥܝܢ ܚܡܪܐ . ܠܚܡܪܐ ܕܠܐ ܐܒܐ .
ܘܐܪܙܗ ܕܒܪܐ ܛܥܝܢ ܥܡܗܝܢ .
ܛܥܝܢ ܘܣܬܝܡܢ . ܡܠܝܢ ܘܠܐ ܦܬܝܚܢ .
ܗܘܝ ܠܒܘܠܒܠ . ܦܘܫܩܐ ܕܟܦܘܪܐ ܀

قد حَلَّ في الدّاليةِ وسَكنَ في قشرةِ العنبِ
من دونِ أيّةِ أداةٍ ومن دون أصابعِ الكرّام.
الدّوالي الّتي تحملُ الخمرةَ من دونِ أبٍ
حاملاتٌ بطواياها سرَّ الابنِ
تَحمِلن وهنّ مغلقاتٌ، مليئاتٌ ولسنَ مثقوباتٍ
كافيةٌ لبلبلةِ آراءِ الكافرين[١٠٤].

ܟܐܦܐ ܕܒܚܘܪܒ . ܨܘܪܬܟ ܪܫܝܡܐ ܗܘܬ .
ܕܟܕ ܠܐ ܦܬܝܚܐ ܗܘܬ . ܡܝܐ ܐܦܩܬ ܗܘܬ .
ܥܡܐ ܠܡܬܡܢܚܐ . ܕܡܝܐ ܘܡܫܩܝܐ ܗܘܬ .

الصّخرةُ الّتي في حوريبَ قد رسَمَتْ صورتَك[١٠٥]
هي الّتي لم تُثقَبْ قد أخرجَتْ وأعطتْ
ماءً للجماعةِ المتعبَةِ الّتي كادت تموتُ.

---

١٠٤ رمز جديد لمريم العذراء، فعذريّة مريم قد ظلّت مصانة مثل قشرة العنب التي رغم رقّتها امتلأت ولم تثقب.

١٠٥ راجع خر ١٧، ٦.

ܐܪܐܙܟ ܡܛܐ ܠܟܐܦܐ ܘܐܥܬܪܗ̇ .
ܕܡܢܟ ܕܢܚ ܘܢܦܩ . ܡܫܩܝܐ ܫܡܝܢܐ .
ܘܐܫܬܝ ܥܠܡܐ ܡܢܗ . ܣܒܥ ܒܛܝܒܘܬܐ ✤

سرُّكِ قد طالَ الصَّخرةَ وأغناها
إذ منكِ قد أشرقَ وخرجَ الشّرابُ السّماويُّ
فارتوى منه العالمُ وشَبِعَ نعمةً.

ܓܘ ܡܥܒܪܐ ܕܦܓܪܐ . ܢܛܝܪ ܗܘܐ ܓܢܗ .
ܘܫܟܒ ܬܡܢ ܘܫܪܐ ܚܬܢܐ ܫܡܝܢܐ .
ܘܒܬܘܠܘܬܐ ܢܛܝܪܢ ܬܪ̈ܥܝܗ̇ ܒܢܛܘܪܘܬܐ .
ܘܡܐ ܕܨܒܐ ܗܘܐ ܕܢܦܘܩ ܡܫܒܚܐ .
ܒܬܘܠܬܐ ܫܒܩܗ̇ ܕܡܟܝܐ . ܘܠܐ ܐܪܓܫܬ ܒܡܦܩܢܗ .
ܘܥܝܪ̈ܐ ܘܡܠܐܟ̈ܐ . ܙܡܪܝܢ ܠܫܘܒܚܐ ✤

في داخلِ حشا الجسدِ قد حُفظَ خِدرُ العروسِ
وهناك اضّجَعَ وحلَّ ذاك العروسُ السّماويُّ
رغمَ البتوليّةِ المصانةِ أبوابُها باحتراسٍ
وحينَ شاءَ العريسُ المجيدُ الخروجَ
تركَ البتوليّةَ نائمةً لم تتأثّرْ بخروجِه[106]
والملائكةُ والحرّاسُ ينشدون له التّمجيدَ.

ܠܝ ܢܬܠܘܢ ܛܘܒܐ . ܟܠܗܝܢ ܫܪ̈ܒܬܐ .
ܐܡܪܐ ܒܚܕܘܬܐ . ܡܪܝܡ ܟܕ ܚܕܝܐ .
ܕܗܘܝܬ ܒܛܝܒܘܬܐ . ܐܡܐ ܠܐܠܗܐ .
ܘܠܐ ܙܘܘܓܐ ܝܠܕܬ .
ܐܡܪܗ ܕܐܠܗܐ . ܡܪܐ ܕܡܠܐܟ̈ܐ .
ܐܝܟ ܕܐܡܪ ܠܝ . ܓܒܪܐ ܗܘ ܕܡܣܒܪܢܝ ✤

ابتهجتْ مريمُ وقالتْ بفرحٍ
أنْ لي ستتلو الطّوبى كلُّ الأجيالِ[107]
إذ قد صرتُ بالنّعمةِ أمًّا لله[108]
ومن دونِ زواجٍ قد وَلدْتُ
حَمَلَ اللهِ، سيّدَ الملائكةِ
كما قالَ ليَ الملاكُ حين بشّرَني.

---

١٠٦ بتوليّة العذراء دائمة هي حتّى بعد الميلاد.

١٠٧ لوقا ١، ٤٨.

١٠٨ تأكيد على أمومة مريم للمسيح الإله وليس الإنسان فقط كما سيقول نسطور، والذي حرمه مجمع أفسس سنة ٤٣١، أي بعد حوالى السبعين سنة من موت أفرام.

ܐܚܪܬܐ ܥܠ ܩܠܐ ܗܢܐ ܝܘܡܐ ܢܨܝܚ ܡܪܝ
ܒܪܝܟ ܒܪܟܝ ܗܘ ܠܒܪܟ
ܡܠܝܬ ܬܕܡܪܬܐ ܀

ܒܬܘܠܬܐ ܡܠܝܬ ܬܕܡܪܬܐ .
ܕܝܠܕܬ ܠܢ ܒܪܐ ܕܐܠܗܐ .
ܙܥܘܪ ܗܘ ܦܘܡܝ ܡܚܝܠܐ
ܕܢܡܠܠ ܥܠ ܕܟܝܘܬܟܝ ܀
ܣܝܡܐ ܕܡܠܝܐ ܚܕܘܬܐ .
ܕܡܒܥ ܚܝܐ ܠܩܢܘܝܗ .
ܘܝܗܒ ܠܢ ܒܒܬܘܠܘܬܟܝ .
ܘܡܢܘ ܡܨܐ ܠܫܘܡܠܝܗ ܀
ܕܢܚ ܡܢܟܝ ܒܡܟܝܟܘܬܐ .
ܪܡܐ ܕܐܬܡܟܟ ܕܢܪܝܡ .
ܘܐܪܒ ܘܐܪܝܡ ܕܘܟܪܢܟܝ
ܗܪܟܐ ܘܠܥܠ ܒܫܡܝܐ ܀
ܗܐ ܚܕܝܢ ܘܪܘܙܝܢ ܝܘܡܢ .
ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܘܕܒܓܘܗܘܢ .
ܘܪܗܛܝܢ ܕܢܩܪܒܘܢ ܠܫܘܒܚܐ .

النّشيد الثّالثَ عشرَ

على لحن: يا سيّد في هذا اليوم أبهج.

اللازمة: مباركٌ هو ابنكِ يا مليئةً عجبًا.

يا عذراءُ مملوءةً عجبًا
قد وَلَدْتِ لنا ابنَ اللهِ
إنّ فمي الشّقيَّ لَهو أصغرُ
من أن يخبرَ عن طُهرِك

يا كنزًا مملوءًا أفراحًا
يَفيضُ حياةً لمقتنيه
وهبتِه لنا ببتوليّتِك
فمن يَقدرُ على إيفاءِ المديحِ

قد أَشرقَ منكِ باتّضاعٍ
العليُّ الّذي تصاغرَ ليرفعَ
وعظّمَ ورفعَ تذكارَك
هنا وفي أعلى السّماواتِ[١٠٩]

في هذا اليومِ تَفرحُ وتُسَرُّ
السّماواتُ والأرضُ وكلُّ ما فيها
مسرعةً كلُّها لرفعِ التّمجيدِ

---

١٠٩ مريم سلطانة السماوات والأرض.

ܘܠܡܥܢܐ ܒܬܫܒܚܬܗܘܢ ܀
ܟܪܘܒܐ ܕܐܪܒܥ ܐܦܝܗܘܢ .
ܠܐ ܡܛܝܢ ܐܟܘܬܟܝ .
ܣܪܦܐ ܕܫܬܐ ܓܦܝܗܘܢ .
ܠܐ ܫܦܝܪܝܢ ܝܬܝܪ ܡܢ ܫܘܦܪܟܝ ܀
ܠܐ ܕܟܝܢ ܝܬܝܪ ܡܢ ܕܟܝܘܬܟܝ .
ܠܓܘܕܐ ܕܡܠܐܟܐ ܪܘܡܐ .
ܕܛܥܝܢ ܘܡܙܝܚܝܢ ܠܗ .
ܠܒܪܐ ܗܘܐ ܕܡܢ ܟܪܣܟܝ ܀

وللهتافِ بالمدائحِ

الكروبون الرّباعيّو الوجوهِ
ما هم بقَدْرِ قداستِكِ
والسّرافون السّداسيّو الأجنحةِ
ليسوا أبهى من جمالِكِ[١١٠]

وليس أزكى من طُهرِكِ
طُغُماتُ الملائكةِ السّماويَّةُ
الّتي تَحملُ وتزيّحُ
الطّفلَ المولودَ من حشاكِ

١١٠ مريم سلطانة الملائكة.

ܐܚܪܢܐ ܥܠ ܩܠܐ ܕܢܟܣܘ ܕܝܢ ܠܐܟܠܝܗ
ܕܛܥܘ ܒܥܘܬܐ ܒܪܝܟ ܗܘ ܡܘܠܕܟ
ܡܪܐ ܟܠ . ܕܢܘܗܪܐ ܒܗܘ
ܒܪܝܬܐ ܟܠܗ ܀

ܒܬܘܠܬܐ ܡܠܝܬ ܬܗܪܐ .
ܚܙܐ ܗܘܐ ܥܝܪܐ . ܘܩܡ ܬܗܪ ܒܗ̇ .
ܘܙܡܪ ܕܚܘܒܐ ܙܡܪ ܗܘܐ ܠܗ̇ .
ܫܠܡ ܠܟܝ ܡܠܝܬ ܛܝܒܘܬܐ .
ܠܐ ܪܒܐ ܫܡܝܐ ܡܢܟܝ .
ܘܐܬܪܐ ܕܥܝܪܐ ܪܥܫ ܡܢ ܒܪܟܝ .
ܕܗܐ ܛܥܝܢܐ ܐܢܬܝ ܠܗ ܒܫܠܝܐ ܐܢܬܝ .
ܘܥܝܪܐ ܒܢܫܡܬܗ ܗܘܐ ܚܝܝܢ .
ܘܨܒܐ ܒܚܠܒܟܝ ܠܡܪܒܐ .
ܬܗܪܐ ܡܠܝܢ ܨܒܥܬܟܝ .
ܕܛܥܢܝ ܠܗ ܠܓܡܘܪܬܐ .
ܘܫܠܐ ܚܘܡܐ ܕܫܠܗܒܝܬܐ .
ܘܛܘܒܝܟܝ ܐܡܐ ܡܢܘ ܝܠܕܬ ܀
ܥܒܪ ܡܢ ܙܒܢܐ ܘܥܕܢܐ .
ܢܦܩ ܪܥܝܢܐ ܕܢܚܙܐ ܡܘܠܕܟ .
ܣܗܒܬ ܝܕܥܬܐ ܕܬܬܒܩܐ ܒܟ .
ܘܐܬܥܘܪܬ ܒܙܝܘܐ ܕܥܝܪܐ .

النّشيد الرّابعَ عشرَ

على لحن: من جعل الذبيحة للآكلين الذين ضلّوا.

اللازمة: مباركٌ ميلادُك الّذي منه استنارتْ كلُّ البرايا يا ربَّ الكلِّ.

قد رأى الملاكُ العذراءَ المملوءةَ عجبًا
ووقفَ مندهشًا بها
وغنّى لها أغنيةَ حبٍّ:
"السّلامُ عليكِ يا مملوءةً نعمةً
السّماءُ ليستْ أعظمَ منكِ
وموطنُ الملائكةِ يرتَعدُ من ابنِكِ
فها أنتِ تحملينه بصمتٍ
وهو بنفحتِهِ يُحيي الملائكةَ
قد شاءَ أن ينموَ بحليبِك
أصابعُكِ مملوءةٌ عجبًا
إذ حَمَلَتْ جمرةً هدأتْ شدّةُ لهيبِها
يا أمًّا طوبى لكِ مَن ولدتِ؟"

قد خرجَ الفكرُ إلى ما يتخطّى الأزمانَ والأوقاتِ
كيما يشاهدَ ميلادَكَ
وأسرعَتِ المعرفةُ لتتأمّلَ بكَ
فعَمِيَتْ من بهاءِ الملائكةِ

ܘܥܡ ܡܥܠ ܕܢܘܪܐ ܚܙܬܟ .
ܒܐܒܘܟ ܟܣܝܐ ܚܙܬ ܕܓܢܝܙ ܐܢܬ .
ܘܢܘܪܐ ܚܝܐ ܟܪܝܟܐ ܠܟ .
ܘܓܘܠܬܐ ܘܒܪܩܐ ܬܡܢ .
ܙܘܥܐ ܕܚܝܠܐ ܘܡܟܣܢܘܬܐ .
ܘܥܢܢܐ ܕܫܠܗܒܝܬܐ .
ܘܙܠܝܩܐ ܕܢܘܪܐ ܦܐܝܐ .
ܙܘܥܐ ܪܒܐ ܘܩܠܐ ܕܐܡܪ .
ܕܠܐ ܡܬܒܨܐ ܒܪ ܐܠܗܐ ❖
ܒܪܐ ܕܩܕܡ ܡܢ ܙܒܢܐ .
ܗܒ ܠܝ ܕܐܡܪ ܥܠ ܡܘܠܕܟ .
ܕܠܐ ܡܬܕܪܟ ܡܪܝ ܝܕܥ ܐܢܐ .
ܘܫܪܒܟ ܗܘ ܟܣܐ ܒܐܝܬܘܬܟ .
ܘܓܠܝܢܟ ܒܐܠܗܘܬܟ .
ܚܘܒܐ ܗܘ ܓܪܓ ܠܡܐܡܪ ܕܝܠܟ .
ܗܒ ܡܠܬܐ ܠܚܘܒܐ ܪܒܘ ܠܝ .
ܕܠܐ ܠܒܨܝܐ ܐܬܝܬ ܠܟ .
ܙܡܝܪܬܐ ܕܫܘܒܚܐ ܐܡܪܬ ܠܟ .
ܕܟܕ ܠܐ ܒܨܝܬ ܣܓܕܬ ܠܟ .
ܫܘܒܚܐ ܒܥܐ ܘܠܐ ܒܨܝܐ .

وغاصَتْ في بحرِ النّارِ
رَأتكَ محتجبًا بأبيك الخفيّ
والنّارُ الحيّةُ تحيطُ بكَ
وهناك اللهيبُ والبروقُ
والإنذارُ من اللومِ العظيمِ
والغمامُ ونارُ اللهيبِ
وأشعّةُ النورِ البهيِّ
وخوفٌ عظيمٌ وصوتٌ يقولُ:
"إنّ ابنَ اللهِ لا يُسبرُ"[١١١]

يا ابنًا أقدمَ من الأزمنةِ
هَبْني التّكلّمَ عن ميلادِكَ.
يا سيّدُ أعرفُ أنّكَ غيرُ مُدرَكٍ
وأنّ قصّتَكَ مخفيّةٌ في جوهرِك
ومخفيٌّ في لاهوتِك ظهورُك
إنّما الحبُّ يَدفعُني لأخبرَ
فأعطِ كلامًا لحبّي يا معلّمُ
ما حَضرتُ للبحثِ فيكَ
وأنا أقدّمُ لكَ ترنيمةَ مجدٍ
وأسجدُ لكَ ولا أستقصي فيك
أطلبُ التّهليلَ وليس الفحصَ

١١١ أمر بديهيّ في الفكر الأفراميّ هو عدم إمكانيّة العقل البشريّ الإرتقاء إلى معرفة الله. إلاّ أنّ هذا يبقى ممكنًا بالإيمان والحبّ ورفع المديح للسيّد، عندها يكشف الله ذاته لمحبّه ويجعله يشترك في محبّته الإلهيّة. راجع المقدّمة.

ܐܝܬܝܐ ܕܟܣܐ ܡܢ ܡܗܘܢܐ .
ܓܠܐ ܠܝ ܡܠܬܟ ܐܡܠܠ ܒܟ ܀

أيُّها الكائنُ المحتجبُ عن العقلاءِ

أظهِرْ لي كلمتَكَ لأتكلَّمَ عنكَ.

ܗܘܬ ܡܚܝܪܐ ܒܗ ܐܝܕܥܬܐ .
ܒܬܚܘܡܐ ܕܚܘܒܐ ܘܠܐ ܒܒܘܨܝܐ .
ܘܡܚܪܐ ܕܬܥܘܠ ܠܬܐܘܪܝܐ ܒܗ .
ܘܠܐ ܫܒܩܝܢ ܠܗ ܓܕܘܕܐ .
ܘܓܘܕܐ ܕܪܕܦܝܢ ܠܚܕܕܐ .
ܕܚܝܠ ܓܒܪܐܝܠ ܕܚܕܪܝܢ ܠܗ .
ܘܟܢܫܗ ܪܒܐ ܕܡܝܟܐܝܠ .
ܕܩܝܡܝܢ ܒܙܘܥܐ ܘܕܚܠܐ .
ܘܚܝܠܘܬܐ ܕܟܪܘܒܐ ܕܟܣܝܢ .
ܣܪ̈ܦܐ ܛܪܦܝܢ ܒܟܢܦܝܗܘܢ .
ܟܢ̈ܫܐ ܕܫܠܗܒܝܢ ܒܫܠܗܒܝܬܐ .
ܒܝܢܬ ܗܠܝܢ ܟܠܗܝܢ ܡܢܘ ܡܡܪܚ .
ܢܚܘܪ ܢܥܘܠ ܢܚܙܐ ܠܒܪܐ ܀

تتطلّعُ المعرفةُ إليه

يحدوها الحبُّ لا التّفتيشُ[112]

تتطلّعُ للدّخولِ كيما تتأمّلَه

فلا تَسمحُ لها طُغماتُ الملائكةِ

والأجواقُ المتدافعةُ

(أجواقُ) قوّاتِ جبرائيلَ المحيطةُ به

وجموعُ ميخائيلَ العظيمةُ

الواقفةُ بالخوفِ والرّعدةِ

وجيوشُ الكروبين المختبئةُ

والسّرافون خافقو الأجنحةِ

والجموعُ المتنشّقةُ اللهبَ،

بين كلِّ هؤلاء مَن ذا الّذي يَجرؤ

أن يتطلّعَ للدّخولِ لمشاهدةِ الإبن.

ܚܘܒܐ ܠܗܘܢܐ ܫܥܒܕܗ .
ܬܐ ܢܘܚ ܠܐܝܐ ܡܢ ܥܡܠܟ .
ܠܐ ܬܬܥܠܐ ܒܝܢܬ ܢܘܪ̈ܐ .
ܕܠܐ ܫܒܩܝܢ ܠܟ ܣܕܪ̈ܝܗܘܢ .

قد مَلَكَ الحبُّ على العقلِ

فتعالَ أيُّها المتعبُ استرِحْ من شَقائك

لا تعلُ ما بين النّاريين

إذ لن تَسمحَ لك صفوفُهم

---

١١٢ هي ليست معرفة العلماء التي تطمح إلى سبر أسرار الله، إنّما هي المعرفة التي يدفعها الحبّ نحو الله. هي إذًا صورة المعرفة الحقّة التي تعرف حدودها وتتّكل على النعمة والوحي الإلهيّ للدخول في الحبّ الإلهيّ.

ܕܢܬܩܪܘܒ ܠܘܬ ܟܣܝܐ .
ܬܐ ܚܙܝ ܡܪܝܡ ܕܫܩܝܠܐ ܠܗ .
ܘܝܘܣܦ ܕܡܢܫܩ ܠܗ .
ܟܣܐ ܒܐܒܘܗܝ ܥܡ ܪ̈ܘܚܢܐ .
ܓܠܐ ܒܒܬܘܠܬܐ ܠܥܦܪ̈ܢܐ .
ܠܥܠ ܟܣܐ ܘܠܬܚܬ ܓܠܐ .
ܘܪܘܡܗ ܒܗ ܗܘ ܚܕܝܐ .
ܫܠܡܬ ܒܨܬܐ ܕܠܐܝܐ ܠܟܐ
ܕܓܠܐ ܗܘ ܡܪܢ ܠܪܚܡܗ ܠܗ ܀

أن تقتربَ نحو المحتجبِ.

تعالَ شاهدْ مريمَ تَحملُه

ويوسفَ الّذي يعانقُه.

محتجبٌ في أبيه مع الرّوحيين

وظاهرٌ في البتولِ للتّرابيين

في العلى محتجبٌ وفي الأسفلِ قد ظَهرَ

وفي العلى والعمقِ واحدٌ هو.

التّفتيشُ المضني يكفُّ هنا

فإنّ الرّبَّ تجلّى لمن يحبُّه.

ܐܝܬܝܟ ܠܥܠ ܘܠܬܚܬ ܒܥܘܡܩܐ ܒܪܘܡܐ
ܘܒܥܘܒܐ ܟܣܝܐ ܡܪܝ ܒܥܘܒܗ
ܕܐܒܘܟ ܘܒ ܟܢܦܐ ܒܥܘܒܗ
ܕܡܪܝܡ ܟܕ ܓܠܝܬ ܀

ܡܪܟܒܬܐ ܕܢܘܪܐ . ܒܙܘܥܐ ܫܩܠܐ ܠܗ .
ܘܒܘܪܟܐ ܡܚܝܠܬܐ . ܫܩܠܢܘܗܝ ܘܠܐ ܝܩܕܢ .
ܓܝܓܠܐ ܕܫܘܠܗܒܝܬܐ . ܒܕܚܠܐ ܡܟܪܟܝܢ ܠܗ .
ܘܒܥܘܒܐ ܙܥܘܪܐ . ܕܒܪܬ ܕܘܝܕ ܐܬܚܒܩ .
ܘܕܟܪܘܒܐ ܫܩܠܝܢ ܠܗ ܘܙܝܥܝܢ
ܘܣܪܦܐ ܡܩܕܫܝܢ ܠܗ ܘܕܚܠܝܢ .
ܘܡܪܝܡ ܓܦܬܗ ܥܠ ܚܕܝܗ ܀

ܡܪܝܡ ܡܗܝܡܢܬܐ . ܘܡܒܪܟܬܐ ܒܢܫܐ .
ܚܠܒܐ ܐܝܢܩܬܗ . ܡܢ ܬܕܝܗ ܒܬܘܠܬܐ .
ܬܡܗܐ ܗܘ ܘܡܢ ܢܫܟܚ . ܕܢܦܫܩܝܘܗܝ ܕܐܝܟܢ ܗܘܐ .
ܒܬܘܠܬܐ ܝܠܕܬܗ . ܘܒܬܘܠܘܬܗ ܩܝܡܐ .
ܝܠܕܬ ܘܝܠܕܬܗ ܘܒܬܘܠܬܐ ܗܝ
ܩܡܬ ܘܐܝܢܩܬܗ ܘܒܬܘܠܬܐ ܗܝ .
ܘܡܝܬܬ ܘܒܬܘܠܘܬܗ ܠܐ ܐܫܬܢܝܬ ܀

ܡܕܢܚܐ ܕܢܗܝܪܐ . ܠܛܘܦܣܐ ܗܘܐ ܠܡܪܝܡ .

النّشيدُ الخامسَ عشرَ

على لحن: للجموع العلويّة.

اللازمة: في العلى وفي العمق قد حَللتَ يا سيّد،
في حضن والدك وأنت خفيّ، وفي كَنف
مريمَ حين ظهرت.

مركبةُ النّارِ تحملُه برعدةٍ
والرّكبتان الضّعيفتان تحملانه ولا تحترقان
عجلاتُ اللهيبِ بخوفٍ تطوفُ به
وبحضنِ ابنةِ داودَ الصغيرِ احتُضنَ.
الّذي يحملُه الكروبون ويرتعدون
ويقدّسُه السّرافون ويخافون
مريمُ قد عانقَته على صدرِها.

مريمُ المؤمنةُ والمباركةُ بين النّساءِ
أرضعتْه من ثديِها الحليبَ وهي بتولٌ
عجيبٌ هو ومَن يقدرُ على شرحِ
كيفَ ولدتِ البتولُ وسماتُ البتوليّةِ عليها؟
أطاعتْ وَولدتْه وهي بتولٌ
قامتْ وأرضعتْه وهي بتولٌ
وماتتْ وسماتُ البتوليّةِ ما تغيّرَت[١١٣].

مَشرقُ النّيِّراتِ صارَ رمزًا لمريمَ

١١٣ يشدّد شاعرنا دومًا على بتوليّة مريم التي دامت جسديًّا وروحيًّا حتى ساعة موتها وانتقالها إلى المجد السماويّ. راجع المقدّمة.

ܘܡܢ ܒܛܢܗ ܕܢܚ ܠܢ . ܡܪܐ ܕܢܘܗܪ̈ܐ .
ܒܝܠܕܗ ܠܚܫܘܟܐ ܛܪܕܗ ܡܢ ܥܠܡܐ .
ܘܐܢܗܪ ܒܙܠܝܩܘܗܝ . ܠܥܡ̈ܡܐ ܪ̈ܚܝܩܐ .
ܘܩܘܪ̈ܒܢܐ ܛܥܢܘ ܘܐܝܬܝܘ ܠܗ .
ܘܩܪܒܘ ܠܗ ܒܐܘܪܝܐ ܕܒܝܬ ܠܚܡ .
ܘܣܓܕܘ ܠܗ ܘܗܦܟܘ ܠܐܬܪܗܘܢ ܀

ܝܘܡܢ ܒܪ̈ܝܬܐ . ܢܩܥܢ ܒܬܫܒܘܚܬܐ
ܘܩܠ̈ܝܢ ܗܠܠ ܕܫܘܒܚܐ ܒܟܠ ܦܘ̈ܡܝܢ .
ܘܙܡܝܪ̈ܐ ܫܘܒܚܐ . ܒܙܘܥܐ ܕܠܫܢ̈ܐ .
ܘܐܟܚܕ ܟܠ ܥܡ̈ܡܝܢ . ܒܙܡܝܪܐ ܡܗܠܠܝܢ .
ܒܫܡܝܐ ܫܘܒܚܐ ܠܡܪܝܐ .
ܘܥܠ ܐܪܥܐ ܫܠܡܐ ܠܟܠ ܒܣܪ .
ܕܕܢܚ ܦܪܘܩܐ ܠܥܠܡܐ ܀

ܝܘܡܢ ܚܙܩܝܐܝܠ . ܬܡܝܗܐ ܒܚܙܘܢܐ .
ܚܕܐ ܕܒܥܒܕܐ . ܫܠܡܬ ܢܒܝܘܬܗ .
ܬܡܢ ܚܙܐ ܒܒܒܠ . ܬܪܥܐ ܚܕܐ ܕܐܚܝܕ .
ܘܐܡܪ ܕܢܗܘܐ ܚܬܝܡ . ܕܡܪܝܐ ܥܐܠ ܒܗ .
ܡܪܝܡ ܗܝ ܬܪܥܐ ܕܐܚܝܕ .
ܘܡܫܝܚܐ ܥܠ ܒܗ ܠܥܠܡܐ .
ܘܠܐ ܦܬܚܗ ܢܫܠܘܢ ܕܪ̈ܘܫܐ ܀

ومن حشاها أشرقَ لنا سيّدُ النيّراتِ
بمولدِه طردَ الظّلامَ من العالمِ
وأنارَ بأشعّتِه الشّعوبَ البعيدةَ
فحملوا تقادمَ وأحضروها أمامَه
وقدّموها له في مذودِ بيتَ لحمَ
وَسجدوا أمامَه ثمّ عادوا إلى وطنِهم.

البرايا تصرخُ اليومَ بالتّمجيدِ
وأصواتُ التّسبيحِ تهلّل في كلِّ الأفواهِ
وأناشيدُ التّسبيحِ في حِراكِ الألسنةِ
معًا كلُّ الشّعوب بالأناشيدِ تهلّلُ
"المجدُ للسّيّدِ في السّماءِ
وعلى الأرضِ السّلامُ لكلِّ بَشَرٍ
إذ قد أشرقَ الفادي للعالم".

اليومَ حزقيالُ المدهوشُ بالرّؤيا
مسرورٌ إذ بما حصلَ قد تمّتْ نبوءتُه
ففي بابلَ قد رأى بابًا مغلقًا
وقالَ إنّه يبقى مغلقًا فالسّيّدُ منه يَدخلُ[١١٤].
مريمُ هي البابُ المغلقُ
وبه المسيحُ قد دخلَ العالمَ
من دونِ أن يَفتحَ البابَ، فَلْيَصمُتِ الباحثون.

---

١١٤ راجع حزقيال ٤٤، ٢ والمقدّمة.

الأمُّ الّتي وَلدتْه تستحقُّ التّذكارَ
والحشا الذي حملَه يَستحقُّ الخضوعَ
ويوسفُ أيضًا وقد دُعيَ بالنّعمةِ أبًا
للابنِ الحقِّ، تَمجّدَ أبوه
راعي الخلائقِ الّذي أُرسِلَ
نحو الخروفِ الّذي ضَلَّ وَتاهَ
وأَرجعَه إلى حظيرتِه.

أين يجدُكَ الباحثُ عنكَ؟
وأين يراكَ الّذي يحبُّكَ؟
أَفي السماءِ يطلبُكَ في حضنِ أبيك؟
أم في أفراتة، في مغارةِ بيتَ لحمَ؟
وإنْ طلبَكَ في حضنِ مريمَ يَجدْكَ
محتجبًا تحت خاتمَ البتوليّةِ المصان.
في كلٍّ هذا عجيبٌ هو ميلادُكَ.

ܐܡܐ ܕܝܠܕܬܗ . ܫܘܝܐ ܗܝ ܠܥܘܗܕܢܐ .
ܟܪܣܐ ܕܛܥܢܬܗ . ܫܘܝܐ ܗܝ ܠܟܘܪܗܒܬܐ .
ܐܦ ܝܘܣܦ ܐܒܐ . ܐܬܩܪܝ ܒܛܝܒܘܬܐ .
ܠܒܪܐ ܕܫܪܪܐ . ܗܘ ܕܐܒܘܗܝ ܡܫܒܚܐ ܗܘ .
ܪܥܐ ܟܠ ܒܪܝܢ ܕܐܫܬܠܚ .
ܠܘܬ ܐܡܪܐ ܕܐܒܕ ܘܛܥܐ
ܘܡܦܢܝܗ ܠܗ ܘܐܗܦܟܗ ܀

ܐܝܟܐ ܢܫܟܚܟ . ܐܝܢܐ ܕܒܥܐ ܠܟ .
ܘܐܝܟܐ ܢܚܙܐ ܠܟ . ܐܝܢܐ ܕܪܚܡ ܠܟ .
ܒܫܡܝܐ ܢܒܥܝܟ . ܒܥܘܒܐ ܕܐܒܘܟ .
ܐܘ ܒܐܦܪܬܐ ܗܘ . ܒܡܥܪܬܐ ܕܒܝܬ ܠܚܡ .
ܐܘ ܒܥܘܒܗ ܕܡܪܝܡ ܢܒܥܝܟ .
ܢܫܟܚܟ ܛܡܝܪ ܒܚܬܡܐ ܐܢܬ .
ܬܕܡܘܪܐ ܗܘ ܡܘܠܕܟ ܒܟܠܗܝܢ ܀

ܐܝܬܝܐ ܥܠ ܩܠܐ ܕܟܠܬܐ ܕܡܠܟܐ ܒܥܕܢܐ ܘܕܘܟܪܢܗ
ܕܡܪܝܡ ܒܟܠ ܕܪ ܘܕܪܝܢ ✥

ܫܡܥܬ ܫܠܡܐ ܒܪܝܟܬܐ
ܡܢ ܡܠܐܟܐ ܘܩܒܠܬ ܒܛܢܐ .
ܘܒܥܠܝܬܐ ܗܘܬ ܐܬܒܣܡܘ .
ܐܦ ܬܠܡܝܕܐ ܒܗ ܒܫܠܡܐ .
ܫܠܡܟ ܢܗܘܐ ܫܘܪܐ ܕܫܝܢܐ .
ܠܡܠܟܐ ܘܟܗܢܐ ܒܡܕܝܢܬܗܘܢ .

ܘܠܒܢܝ̈ܗ ܕܥܕܬܐ . ܛܪ ܒܨܠܝܒܟ .
ܕܢܫܒܚܘܢ ܠܫܡܟ ܒܐܘܫܥܢܐ ✥
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܥܠܝܟܝ ܫܪܐ .
ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܕܙܡܪ ܕܘܝܕ .
ܛܘܒܝܟܝ ܕܫܘܝܬܝ ܕܬܩܒܠܝ .
ܫܠܡܗ ܕܡܪܐ ܡܢ ܓܒܪܐܝܠ .
ܛܘܒܝܟܝ ܕܗܘܝܬܝ ܐܝܟ ܡܪܟܒܬܐ
ܘܛܥܢܘܗܝ ܒܘܪܟܝܟܝ . ܘܚܕܪܘܗܝ ܕܪ̈ܥܝܟܝ .
ܘܐܝܟ ܡܒܘܥܐ ܗܘܘ ܠܗ . ܠܒܪܐ ܬܕ̈ܝܟܝ
ܘܓܦܬܝܗ ܠܗܘ ܕܠܒܝܫ ܢܘܪܐ ✥

النّشيد السّادسَ عشرَ

على لحن: عروس الملك.

اللازمة: فَلْيكن تذكارُ مريمَ في كلّ دهر وجيل.

قد سَمعتِ المباركةُ سلامًا

من الملاكِ وقَبلتْ حَمْلاً.

وفي العلّيّةِ ابتهجَ التلاميذُ

أيضًا بالسّلامِ (الّذي سمعوه).

فَلْيكنْ سلامُك سورَ أمانٍ

للملوكِ والكهنةِ في مدنِهم.

احفظْ بصليبك أبناءَ الكنيسةِ

ليسبّحوا اسمَك بالهوشعنا.

طوباكِ مريمُ إذ حَلَّ عليكِ

الرّوحُ القدسُ الّذي ترنّمَ به داودُ،

وطوباكِ إذ استحقّيتِ أن تَقبلي

سلامَ الربِّ بواسطةِ جبرائيلَ.

طوباكِ إذ صرتِ كالمركبةِ

حَملَتْه ركبتاكِ وطافتْ به ذراعاكِ

وصار ثدياك[١١٥] كالنّبعِ للابنِ

واحتضنتِ ذاك الملتحفَ باللهبِ.

١١٥ حرفيًّا جنباك.

ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܗܘܝܬܝ .
ܛܘܦܣܗ ܕܣܢܝܐ ܕܚܙܐ ܡܘܫܐ .
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܗܘܝܬܝ .
ܐܝܟ ܫܘܫܦܐ ܘܟܣܝܬܝ ܙܝܘܗ .
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܕܢܚ ܡܢܟܝ .
ܚܕ ܙܠܝܩܐ ܕܚܫܟܗ ܠܫܡܫܐ .
ܒܪܫܝܬ ܥܠ ܡܘܫܐ . ܐܕܢܚ ܒܪܝܫ ܛܘܪܐ .
ܘܝܘܡܢ ܟܠ ܣܘ̈ܦܝܢ ܡܠܝܢ ܡܢܗ ܀

ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܨܪܘܟܝ .
ܟܠܗܘܢ ܢܒܝܐ ܒܟܬܒܝܗܘܢ .
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܐܟܪܙܟܝ .
ܐܫܥܝܐ ܢܒܝܐ ܒܢܒܝܘܬܗ .
ܕܗܐ ܒܬܘܠܬܐ ܒܛܢܐ ܘܝܠܕܐ .
ܒܪܐ ܕܫܡܗ ܥܡܢܘܐܝܠ .
ܘܗܐ ܟܠܗܘܢ ܥܡܡܐ . ܩܥܝܢ ܕܥܡܢ ܗܘ .
ܗܘ ܕܒܨܒܝܢܗ ܡܕܒܪ ܟܠ ܀
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܐܬܩܪܝܬܝ .
ܐܡܐ ܚܕܬܐ ܒܒܬܘܠܘܬܟܝ .

طوباكِ مريمُ إذ قد صرتِ

ما رَمزتْ إليه علّيقةُ موسى[١١٦].

طوباكِ مريمُ إذ صرتِ حجابًا أَخفى جلالَه[١١٧]

طوباكِ مريمُ إذ أشرقَ منكِ

شعاعٌ أخفى نورَ الشّمسِ

في البَدءِ أشرقَ لموسى على رأسِ الجبل[١١٨]

واليومَ امتلأتْ منه أقاصي الأرض.

طوباكِ مريمُ إذ صَوّرَكِ

الأنبياءُ كلُّهم في كتاباتِهم.

طوباكِ مريمُ إذ أَعلنَ عنكِ

أشعيا النّبيُّ في نبوءتِه

أنْ ها البتولُ تَحبلُ وتَلدُ

ابنًا اسمُه عمّانوئيلُ (اللهُ معنا)[١١٩]

وها هي الشّعوبُ تَصرخُ أَنْ ها هو معَنا

مَن بمشيئتِه يدبّرُ كلَّ شيء.

طوباكِ مريمُ إذ قد دُعيتِ

ببتوليّتِكِ أمًّا جديدة[١٢٠].

---

١١٦ خر ٣، ٢ راجع المقدّمة.

١١٧ إشارة إلى الحجاب الذي وضعه موسى على وجهه المشعّ بعد لقائه بالله، لأنّ الشعب لم يستطع النظر إلى وجهه لبهائه؛ فمريم أضحت الحجاب الذي أخفى فيه البهاء الإلهيّ لكي تستطيع إنسانيّتنا أن تعاين من دون أن تموت بهاء المسيح، موسى الجديد، الذي قادنا من عبوديّة الخطيئة إلى أرض ميعاد الله لنا. راجع خر ٣٤، ٣٣-٣٥.

١١٨ خر ٢٤، ١٢-١٨.

١١٩ أش ٧، ١٤؛ ٨، ٨؛ متّى ١، ٢٣.

١٢٠ إنّ مريم هي أمّ الحياة التي تمّمت ما وجب على أمّها حوّاء أن تفعله. وبدل حوّاء التي أورثتنا الموت جاءت مريم تعطينا بابنها

ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܐܬܪܡܙܬܝ .
ܒܪܡܙܐ ܐܪܥܐ ܕܝܠܕܬ ܠܐܕܡ .
ܘܐܢܬܝ ܝܠܕܬܝܗܝ ܠܡܪܗ ܕܐܕܡ
. . . .
ܗܐ ܡܠܬܐ ܠܟܝ . ܒܟܝ ܡܬܒܢܝܢ ܕܟܝܐ .
ܘܨܪ ܠܗ ܨܘܪ ܢܦܫܗ ܒܟܝ ܡܬܒܢܝܢ ✧
ܛܘܒܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܗܘܝܬܝ .
ܐܡܐ ܫܦܝܪܬܐ ܠܡܪܐ ܡܠܟܐ ․
ܕܢܚ ܡܢܟܝ ܦܐܪܐ .
ܪܓܝܓܐ ܘܡܒܪܟܐ ܕܡܠܐ ܟܠ ܫܘܦܪܝܢ .
ܛܘܒܝܟܝ ܕܪܒ ܛܘܒܟܝ ܪܒܐ .
ܒܡܕܝܢܬܐ ܘܒܟܢܘܫܬܐ .
ܕܝܠܕܬ ܠܡܫܝܚܐ . ܦܪܘܩܗ ܕܥܠܡܐ .
ܕܦܪܩ ܒܛܝܒܘܬܗ ܠܒܪܝܬܐ ✧
ܟܕ ܛܠܝܬܐ ܗܘܝܬ ܪܒܝܘܢܝ .
ܟܘܡܪܐ ܕܥܡܐ ܒܗܝܟܠܗ ܡܪܝܐ .

طوباكِ مريمُ إذ رمزوا إليكِ

بالأرضِ الّتي وَلدتْ آدم[١٢١]

وأنتِ ولدتِ سيّدَ آدمَ

..................................[١٢٢]

ها الكلمةُ قد حلّتْ في حشاكِ الطّاهرِ

وقد صَوَّرَ ذاتَه في حشاكِ[١٢٣].

طوباكِ مريمُ إذ أَضحيتِ

الأمَّ البهيّةَ لسيّدِ الملوكِ

وأَشرقَتْ منكِ الثّمرةُ

الشّهيّةُ والمباركةُ المليئةُ كلَّ جمال.

طوباكِ إذ قد عَظُمَ مجدُكِ

في المدائنِ وما بين الجماعاتِ[١٢٤]

لأنّكِ وَلدتِ المسيحَ، فادي العالمِ

الّذي خلّصَ بنعمتِه البرايا.

"حين كنتُ طفلةً قد ربّاني

كهنةُ الشّعبِ في هيكلِ الرّبِّ"[١٢٥]

ثمرة الحياة الأبديّة، لذلك صارت الأمّ البشريّة الجديدة. إنّ المقارنة هي بين حوّاء ومريم. وحوّاء الجديدة هي من مميّزات أفرام، وتشكّل فكرة ذات بعد لاهوتي مهمّ.

١٢١ إنّ الله برحمته للبشر قد شاء أن يجدّد خليقته، لا أن يعيد خلقها من جديد. لذلك اختار مريم أرضًا جديدة يخرج منها المسيح آدم الجديد، كما أخرج آدم من الأرض ساعة خلقه.

١٢٢ بيت ناقص من المخطوط.

١٢٣ أي إنّ المسيح خالق كلّ شيء قد صوّر، ساعة انبثاقه من الآب، طبيعته البشريّة لا الإلهيّة (إذ لا بدء له) حتى يعطي الألوهة للإنسان من خلال طبيعته الإنسانيّة التي أخذها.

١٢٤ قد يكون تلميحًا إلى الإكرام الليتورجيّ لوالدة الإله مريم الذي كان منتشرًا جدًّا في الجماعات المسيحيّة الأولى.

١٢٥ تقليد مسيحيّ قديم مأخوذ عن أحد الأناجيل المنحولة الذي يقول إنّ العذراء طفلةً قد وضعها والداها القدّيسان يواكيم وحنّة في الهيكل كمنذورة لله. ولا شكّ في أنّ هذا التقليد كان منتشرًا أيضًا أيّام أفرام.

ܘܗܫܐ ܕܗܘܝܬ ܥܠܝܡܬܐ .
ܐܬܘ ܡܟܪܘܢܝ ܠܟܐܢܐ ܝܘܣܦ .
ܓܒܪܐ ܕܢܘܪܐ ܐܬܐ ܡܣܒܪܢܝ .
ܘܝܗܒ ܠܝ ܫܠܡܐ ܘܩܒܠܬ ܒܛܢܐ .
ܘܐܙܠܬ ܘܝܠܕܬܗ . ܒܐܘܪܝܐ ܕܒܝܬ ܠܚܡ :
ܘܚܕܝ ܒܡܘܠܕܗ ܠܒܪܝܬܐ ܟܠܗ ܀

والآن إذ صرتُ صبيّةً
جاؤوا خَطّبوني للبارِّ يوسفَ
ورجلُ النّارِ جاءَ بَشّرَني
وأعطاني سلامًا وَقَبِلْتُ حَمْلاً
رُحتُ ولدتُه في مذودِ بيتَ لحمَ
وسُرَّتْ بميلادِه الخليقةُ بأسرِها."

ܣܘܓܝܬܐ ܠܘܬ ܕܥܠ ܡܪܝܡ ܘܡܠܐܟܐ ܚܘܕ

ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܡܪܝ ܕܠܗ ܣܓܕܝܢ

ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܒܚܕܘܐ ✣

ܚܝܠܗ ܕܐܒܐ ܕܢܓܕܟ ܚܘܒܟ.
ܒܥܘܒܐ ܕܒܬܘܠܬܐ ܕܫܪܝܬ ܒܗ̇.
ܗܒ ܠܝ ܦܘܡܐ ܕܐܫܬܥܐ.
ܬܫܥܝܬܟ ܪܒܬܐ ܕܠܐ ܡܬܕܪܟܐ ✣
ܒܪ ܥܬܝܪܐ ܕܨܒܐ ܚܘܒܗ.
ܘܫܪܐ ܒܥܘܒܐ ܕܡܣܟܢܬܐ.
ܗܒ ܠܝ ܩܠܐ ܐܦ ܡܠܬܐ.
ܕܒܗ ܬܗܪ ܐܢܐ ܐܡܠܠ ✣
ܙܥܘܪ ܗܘ ܦܘܡܐ ܕܢܡܠܠ.
ܐܦ ܠܫܢܐ ܕܢܦܫܩ.
ܘܡܣܟܠ ܩܠܐ ܐܦ ܡܠܬܐ.
ܕܢܬܢܐ ܫܘܦܪܟ ܪܥܝ ܘܐܡܠܠ ✣

ܗܒ ܠܝ ܐܬܩܪܒ ܡܪܐ ܕܟܠ.

النّشيدُ السّابعَ عشرَ

على لحن: نشيد (سوغيتو) حول مريم والملاك.

اللازمة: المجدُ لك يا سيّدًا تَسجدُ له بفرحٍ السّماواتُ والأرض.

يا قوّةَ الآب[١٢٦] الّذي دفعَكَ حبُّكَ
فانحدرتَ وحللتَ في حشا البتولِ
أعطِني فمًا كيما أُخبِرَ
قصّتَكَ العظيمةَ الّتي لا تُدرَكُ

يا ابنَ الغنيِّ الّذي شاءَ حبُّه
أَن يَحِلَّ في حشا الفقيرةِ
أَعطِني الصّوتَ وأَعطِني الكلمةَ
حتّى بذُهلٍ أَروي عنكَ

فمي أصغرُ من أن يُخبرَ عنكَ
أو لساني من أن يَشرحَ (أسرارَك)
وصوتي وكلمتي لا يقدران
على وصفِ جمالكَ، ارتضِ فأتكلّمَ عنك

أعطِني أن أقتربَ يا سيّدَ الكلِّ

١٢٦ إنّها قوّة الآب التي أهّلت إنسانيّتنا للاشتراك في الألوهة. فإنسانيّتنا الساعية نحو التألّه لا تقدر أن تشترك في الجوهر الإلهيّ بسبب الاختلاف بينه وبين جوهرنا الإنسانيّ. لكن بنعمة إلهيّة أتيح لنا أن نشترك بالقوّة الإلهيّة من خلال الابن؛ فقد أتى وأخذ إنسانيّتنا وأعطانا ألوهيّته. وهكذا، من خلال ألوهة المسيح ابن الإنسان، صارت لبشريّتنا القدرة على التألّه.

ܡܢ ܕܚܠܬܐ ܙܥܘܪ ܡܬܡܛܝܘ .
ܕܪܫܐ ܕܥܝܪ̈ܐ ܡܢ ܡܣܒܪ .
ܠܐܡܐ ܛܠܝܬܐ ܥܠ ܡܐܬܝܟ ܀
ܐܘ ܦܪ̈ܘܫܐ ܬܘ ܨܘܬܘ ܫܡܥܘ .
ܫܪܒܐ ܕܟܠܗ ܬܗܪܐ ܡܠܐ .
ܘܙܡܪܘ ܫܘܒܚܐ ܠܗܘ ܕܐܬܪܟܢ .
ܕܢܚܐ ܠܐܕܡ ܕܚܛܐ ܘܡܝܬ ܀
ܐܒܐ ܒܪ̈ܚܡܘܗܝ ܠܒܪܗ ܪܡܙ .
ܕܢܚܘܬ ܢܦܪܘܩ ܠܓܒܝܠܬܗ .
ܘܠܓܒܪܐܝܠ ܥܝܪܐ ܦܩܕ .
ܕܢܛܝܒ ܐܘܪܚܐ ܩܕܡ ܡܚܬܗ ܀
ܙܠܓ ܚܢܢܐ ܕܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܕܗܝ ܬܗܘܐ ܗܘܬ ܐܡܐ ܠܗܘ .
ܕܐܘܗܒ ܠܐܕܡ ܘܠܥܠܡܐ .
ܘܩܕܡ ܫܡܫܐ ܐܝܬܘܗܝ ܫܡܗ ܀
ܕܠܐ ܨܒܝܢܐ ܕܠܐ ܡܬܕܪܟ .
ܘܠܡܠܐܟܐ ܩܪܐ ܘܐܦܩܗ .
ܡܢ ܓܘ ܣܕܪ̈ܐ ܘܫܕܪܗ ܟܠܐ .
ܠܘܬ ܒܬܘܠܬܐ ܕܟܝܬܐ ܕܢܣܒܪܗ ܀

-رغمَ خوفي- نحو عظمةِ
رئيسِ الملائكةِ وهو يبشّرُ
الأمَّ الصبيّةَ بمجيئِك.

هَلمّوا يا حكماءُ أصغوا واسمعوا
القصّةَ المليئةَ كلُّها عجبًا
وأنشدوا المجدَ للّذي انخفضَ
ليحييَ آدمَ الّذي خَطِئَ وماتَ

بمراحمِه أشارَ الآبُ إلى ابنِه
كيما ينحدرَ ليفديَ جبلتَه
وأمرَ الملاكَ جبرائيلَ
ليمهّدَ طريقًا أمامَ نزولِه

قد أشرقتِ الرّحمةُ على ابنةِ داودَ
لتكونَ أمًّا لذاك الّذي
أعطى الحياةَ لآدمَ وللكونِ
والّذي قبلَ الشّمسِ كان اسمُه

تصاغرَ ذو المشيئةِ الّتي لا تُدرَكُ
فنادى بالملاكِ وأخرجَه
من ضمنِ الصّفوفِ وأرسَلَه
إلى البتولِ الطّاهرةِ ليبشّرَها

ܫܩܠ ܐܓܪܬܐ ܕܚܬܝܡܐ .
ܒܪܐܙܐ ܕܟܣܐ ܡܢ ܥܠܡܐ .
ܘܝܗܒܗ ܫܠܡܐ ܠܥܠܝܡܬܐ .
ܘܣܒܪܐ ܛܒܐ ܠܟܠ ܥܡܡܐ ܀

ܛܣ ܢܘܪܢܐ ܘܢܚܬ ܡܛܐ .
ܘܠܡܣܟܢܬܐ ܒܥܘܬܪܐ ܡܠܝܗ .
ܫܠܡܐ ܝܗܒ ܠܗ ܐܦ ܣܒܪܗ .
ܡܚܒܗ ܕܡܬܕܡܪ ܠܟܠ ܀

ܐ ܐܡܪ ܓܒܪܐ ܠܒܬܘܠܬܐ .
ܫܠܡܐ ܠܟܝ ܐܡܗ ܕܡܪܝܐ .
ܡܒܪܟܬܐ ܐܢܬܝ ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ .
ܘܡܒܪܟ ܗܘ ܦܐܪܐ ܕܒܟܝ ܀
ܐ ܡܪܝܡ + ܐܡܪܐ ܡܪܝܡ. ܡܢ ܐܢܬ ܡܪܝ .
ܘܡܢܘ ܗܢܐ ܕܡܡܠܠܬ .

حَملَ الرِّسالةَ المختومةَ

بالسِّرِّ المحجوبِ منذ الآبادِ

وضمَّنَها سلامًا للصَّبيَّةِ

والرَّجاءَ الصَّالحَ لكلِّ الأممِ

طارَ النَّاريُّ وانحدرَ ووصلَ

وملأَ الفقيرةَ غنًى

أعطاها سلامًا وبشَّرَها

بحبِّها الَّذي يُدهشُ الكلَّ

حوار الملاكِ ومريم[١٢٧]

قالَ الملاكُ للبتولِ

"السَّلامُ عليكِ يا أمَّ الرَّبِّ

مباركةٌ أنتِ يا بتولُ

ومباركةٌ الثَّمرةُ الَّتي فيكِ"

مريم

قالتْ مريمُ "مَن أنتَ يا سيِّدي

وما معنى الَّذي قلتَه

١٢٧ نوع أدبيّ سريانيّ قديم ورائج يقوم على سرد طويل وحوار بين شخصيّتين حقيقيّتين أو رمزيّتين، استعمله الشعراء الكنسيّون السريان لإيصال التعاليم الصحيحة بقالب شعريّ عاميّ. هذا النوع الأدبيّ لا يخلو أحيانًا من السرد المملّ والإعادة للفكرة نفسها، بهدف الإحاطة بالفكرة من جميع نواحيها. نجد اليوم في الليتورجيّات السريانيّة، وخاصّة الشرقيّة منها، عدّة قصائد من هذا النوع كالحوار بين السماء والكنيسة، أو بين ميخائيل واللصّ اليمين. وفي الأناشيد النصيبيّة التي كتبها أفرام نجد حوارًا مماثلاً بين الموت والصوم.

ܢܘܟܪܝ ܗܘ ܡܢܝ ܡܢ ܕܐܡܪܬ .
ܘܦܫܩܗ ܣܟܠܗ ܠܐ ܝܕܥܢܐ ܀
ܒ ܒܪܟܐ . ܒܪܝܟܬܐ ܕܢܫܐ ܒܟܝ ܐܬܪܥܝ .
ܥܠܝܐ ܕܢܫܪܐ ܠܐ ܬܕܚܠܝܢ .
ܘܒܟܝ ܛܝܒܘܬܐ ܐܬܪܟܢܬ .
ܕܢܚܘܐ ܪ̈ܚܡܐ ܥܠ ܥܠܡܐ ܀
ܒ ܒܒܥܘ ܐܢܐ ܡܪܝ ܠܐ ܬܙܘܥܢܢܝ .
ܓܘܡܪܐ ܠܒܝܫ ܐܢܬ ܠܐ ܬܘܩܕܢܢܝ .
ܢܘܟܪܝܐ ܗܘ ܠܝ ܡܢ ܕܐܡܪܬ .
ܘܐܦܢ ܣܟܠܗ ܠܐ ܡܫܟܚܢܐ ܀
ܓܠܐ ܠܝ ܐܒܐ ܘܓܠܝܬ ܠܟܝ .
ܐܪܙܐ ܕܗܘܐ ܟܣܝܐ ܗܘܐ .
ܒܝܢܗ ܠܒܪܗ ܟܕ ܫܕܪܢܝ .
ܕܡܢܟܝ ܕܢܚ ܥܠ ܥܠܡܐ ܀

فغريبٌ عنّي ما قلتَه

ولستُ أدرك معنى كلامِكَ"

ملاك

"يا مباركةَ النّساءِ قد ارتضى فيكِ

أن يَحِلَّ العَليُّ، فلا تخافي

وإليكِ النّعمةُ قدِ انحدرتْ

لتغدقَ[١٢٨] الرّحمةَ على العالم"

مريم

"عفوًا سيّدي لا تُقلِقْني

يا لابسًا جمرًا، لا تَحرقْني

غريبٌ عنّي ما أنتَ تقولُ

ولستُ قادرةً على فهمِه"

ملاك

"قد جَلا لي الآبُ وأنا جلوتُ لكِ

السّرَّ الّذي كان مكتومًا

بينه وبين ابنِه حين أرسَلَني

أنْ منكِ يشرقُ (الابنُ) على العالم"

١٢٨ في بعض المخطوطات: لتغدقي.

ܓܓܘܪܬܐ ܐܢܬ ܠܐ ܬܙܝܥܢܝ .	**مريم**
ܓܘܡܪܐ ܕܟܦܦ ܐܢܬ ܠܐ ܬܬܙܝܥܢܝ .	"لهيبٌ أنتَ، فلا تُخِفْني
ܐܘ ܢܘܪܢܝܐ ܠܡܢܐ ܐܡܢ .	معتطفٌ بالجمرِ لا تُرجِفْني
ܕܟܠ ܣܘܥܪܢܐ ܡܠܠܬ ܠܝ ⁘	أيُّها النّاريُّ لماذا أصدّقُ
ܕܬܡܗܐ ܗܘ ܒܟܝ ܢܫܪܐ ܡܐ ܕܗܦܟܬܝ .	الأخبارَ الّتي تقولُها لي؟"
ܘܬܗܝܡܢܝܢ ܣܒܪܬܐ ܕܐܝܬܝܬ ܠܟܝ .	
ܡܛܠ ܒܛܢܟܝ ܕܡܪܝܡܐ .	
ܕܨܒܐ ܕܢܫܪܐ ܒܟܝ ܡܪܟܒܟܝ ⁘	
ܕܚܠܐ ܐܢܐ ܡܪܝ ܕܐܩܒܠ .	
ܕܐܦ ܐܡܝ ܚܘܐ ܟܕ ܩܒܠܬ .	
ܠܚܘܝܐ ܕܡܠܠ ܐܝܟ ܪܚܡܐ .	
ܡܢ ܫܘܒܚܗ ܐܬܓܪܕܬ ⁘	

ملاك

"سيحلُّ فيكِ العجبُ إنْ رَجعتِ

وصدّقتِ البشارةَ الّتي حملتُها لكِ

عن حَبَلكِ بالعليِّ

الّذي ارتضى أن يَحِلَّ فيكِ"

مريم

"خائفةٌ من قبولِ كلامِك يا سيّدُ

فحوّاءُ أمّي أيضًا حين قبِلَتِ

الحيّةَ المتكلّمةَ مثلَ صدّيقٍ

قد حُرِمَتْ فورًا من مجدِها[129]"

١٢٩ يشدّد أفرام على أنّ تردّد مريم أمام الملاك سببه طاعتها ورفضها الوقوع في خطيئة أمّها حوّاء، وما ذلك إلاّ ليظهر شخص مريم، حوّاء الجديدة، التي تتمّم ما وجب على حوّاء القديمة تتميمه. وبدل حوّاء التي عصت وصيّة الربّ وسمعت همس الموت من فم الحيّة فأورثت بنيها الموت، جاءت مريم تسمع بشرى الحياة من فم جبرائيل وتحمل حياة وتهبها لبنيها لتصبح الأمّ الجديدة وأمّ الحياة.

ܗ ܪܦܘ ܡܛܥܝܘ ܐܛܥܝ ܒܪܬܝ .
ܒܐܡܟܝ ܚܘܐ ܟܕ ܡܣܒܪܗ .
ܠܗ ܡܛܥܝܘ ܐܛܥܝܗ ܚܘܝܐ .
ܘܡܢ ܫܪܝܪܐ ܐܫܬܕܪܬ ܀
ܗ ܗܘܐ ܫܪܒܐ ܕܦܠܛܬ .
ܒܟܝܢܐ ܗܘ ܡܫܟܚ ܠܐ ܡܬܥܒܕ .
ܕܠܐ ܡܢ ܒܬܘܠܬܐ ܒܪܐ ܡܬܝܠܕ .
ܘܠܐ ܡܢ ܦܐܪܐ ܐܠܗܘܬܐ ܀
ܘ ܫܕܪܢܝ ܠܗ ܐܒܐ ܠܟܐ .
ܕܐܝܬܐ ܫܠܡܐ ܘܐܣܒܪܟܝ .
ܕܒܪܗ ܕܢܚ ܡܢ ܡܪܒܥܟܝ .
ܠܡܬܠ ܗܕܐ ܠܐ ܬܬܦܠܓܝܢ ܀
ܘ ܫܦܝܪ ܫܠܡܟ ܐܦ ܡܐܬܝܟ .

ملاك

"قد أضلّتْ ضَلالاً يا ابنتي

الحيّةُ بأمِّك حوّاءَ حين بشّرَتْها

وأنا لستُ بمُضِلٍّ لكِ

لأنّي أُرسلتُ من (الله) الحقّ"

مريم

"هذه القصّةُ الّتي أخبَرْتَها

صعبةٌ جدًّا عليَّ فلا تَلُمْني

إذ لا يَخرجُ من البتولِ ابنٌ

كما لا تخرجُ إلهةٌ من ثمرةٍ[١٣٠]"

ملاك

"قد أرسلَني الآبُ إلى هنا

لأجلبَ لكِ سلامًا وأبشّرَكِ

أنّ ابنَه يُشرقُ من حشاكِ

فأمامَ هذا لا تتردَّدي"

مريم

"جميلٌ هو لقاؤك وقدومُكَ

١٣٠ إشارة إلى شجرة معرفة الخير والشر التي أرادت حوّاء قطفها كيما تنال الألوهة. ومريم تقول إنّه يستحيل أن يخرج من الشجرة إلهة ومن العذراء طفل، إلاّ أنّ إرادة الله شاءت أن يتجسّد المسيح من الصبيّة ليضحي ثمرة الحياة التي تعطي الألوهة لحوّاء ونسلها.

لو لم يكن (ناموسُ) الطّبيعةِ يحيّرُني

ويحذّرُني ممّا تقولُ

إذ كيفَ يولدُ طفلٌ من بتولٍ[١٣١]؟"

ملاك

"من كَلمتِه صفوفُ الملائكةِ ترتعدُ

ولا تعترضُ إذا ما أمرَ

وأنتِ فكيف لا ترتعدين

في البحثِ في ما قد شاءَه الآبُ[١٣٢]؟"

مريم

"بلى خِفْتُ، سيّدي، وارتعدتُ

ورغمَ خوفي لستُ أصدّقُ

فالطّبيعةُ أيضًا تُقنعُني

أنّ العذارى لا تَلِدْنَ"

ملاك

"هكذا شاءَ حبُّ الآبِ

أنْ في البتوليّةِ تلدينَ ابنًا

ܐܠܘ ܟܝܢܐ ܠܐ ܡܬܗܪ ܠܝ .
ܗܘܐ ܡܙܗܪ ܠܝ ܥܠ ܡܐܡܪܟ .
ܕܐܝܟ ܦܐܪܐ ܒܒܬܘܠܬܐ ❖
ܐܝܟ ܡܫܪܝܬܐ ܡܢ ܡܠܬܗ .
ܘܡܣܒܪܐ ܕܦܩܕ ܠܐ ܡܗܦܟܝܢ .
ܘܐܢܬܝ ܐܝܟܢܐ ܠܐ ܕܚܠܬܝ .
ܠܡܒܥܐ ܡܕܡ ܕܐܒܐ ܨܒܐ ❖
ܙܥܬ ܠܝ ܡܪܝ ܘܐܙܕܥܙܥܬ .
ܘܟܕ ܕܚܠܬ ܠܐ ܗܝܡܢܬ .
ܕܐܦ ܗܘ ܟܝܢܐ ܡܪܐ ܡܦܝܣ ܠܝ .
ܕܒܬܘܠܬܐ ܠܐ ܝܠܕܢ ❖
ܚܘܒܗ ܕܐܒܐ ܗܟܢ ܨܒܐ .
ܕܒܒܬܘܠܘܬܟܝ ܬܐܠܕܝܢ ܒܪܐ .

---

١٣١ في حبل العذراء الفريد لا يقدر ناموس الطبيعة على الفهم، فأفرام يردّد دومًا الكلام على أهميّة الإيمان وعجز العقل من دون النعمة الإلهيّة عن فهم مخطّط الله.

١٣٢ فكرة سوف تتوالى أيضًا غير مرّة؛ فإزاء عجز العقل عن فهم هذا الحدث الفريد يتجلّى دور الإيمان. إنّ أفرام لا يبتغي إظهار حيرة العذراء وتردّدها بل يريد إيصال رسالته بوجوب وضع حدّ للعلم والعمل العقليّ في إدراك أسرار الله. ترداد يميّز هذا النوع الأدبيّ.

فاهدأي إذًا وصدّقي

أنّ مشيئةَ الآبِ لا تُعصى"

ܘܙܘܥ ܕܠܗܟܢ ܐܦ ܠܡܫܪܐ .
ܕܨܒܝ ܐܒܐ ܠܐ ܡܬܟܠܐ ܀

مريم

"مَنظَرُكَ وَقورٌ وطَبعُكَ مُخيفٌ

ولهيبُكَ يَتّقدُ

وشخصُ سيّدِكَ لا يُسبَرُ

وصعبٌ عليَّ أن أصدّقَ"

ܡ ܚܙܘܟ ܫܦܝܪ ܘܡܣܪܒܟ ܕܚܝܠܐ .
ܘܡܬܘܟܢܘܬܟ ܡܬܝܩܕܐ .
ܦܪܨܘܦܗ ܕܡܪܟ ܠܐ ܡܬܒܨܐ .
ܘܩܫܐ ܗܘܐ ܠܡܗܡܢܘ ܗܝ ܠܝ ܀

ملاك

"قد جلبتُ إليكِ بشرى سارّةً

وأظهرتُ أنّكِ ستلدين ربَّكِ

فاشكُري يا صبيّةُ مَن أهَّلَكِ

لأن تكوني أمَّ الّذي خلقَكِ[١٣٣]"

ܡ ܗܐ ܐܬܝܬ ܐܣܒܪܬ ܠܟܝ .
ܘܐܚܘܝܬ ܡܪܟ ܢܚܬ ܠܟܝ .
ܛܠܝܬܐ ܐܘܕܝ ܠܡܢ ܕܐܫܘܝܟܝ .
ܕܬܗܘܝܢ ܐܡܗ ܕܗܘ ܕܒܪܟܝ ܀

مريم

"طفلةٌ أنا ولستُ أقدرُ

أن أقبلَ (كلامَكَ) يا رجلَ النّارِ

إذ هو خَفيٌّ ما تقولُ

وصعبٌ عليَّ أن أفهمَه"

ܡ ܛܠܝܬܐ ܐܢܐ ܘܠܐ ܡܫܟܚܢܐ .
ܠܓܒܪܐ ܕܢܘܪܐ ܐܡܠܠܘܗܝ .
ܕܟܣܐ ܗܘ ܫܪܪܐ ܕܦܬܓܡܟ .
ܩܫܝܐ ܠܝ ܕܐܬܒܝܢ ܀

١٣٣ يظهر بوضوح وعي أفرام لأمومة العذراء لكلتا الطبيعتين الإلهيّة والإنسانيّة في المسيح، وإدراكه للعذراء الـTHEOTOKOS أي والدة الله، الذي سيعطى لاحقًا لها في مجمع أفسس سنة ٤٣١ كردّ على نسطور القائل بأمومة مريم للمسيح الإنسان فقط.

ܝ ܝܘܡܢ ܣܒܪܐ ܠܐܕܡ ܗܘܐ .
ܕܒܟܝ ܐܬܪܥܝ ܡܪܐ ܕܟܠ .
ܕܢܚܘܬ ܢܫܪܝܘܗܝ ܘܢܚܪܪܝܘܗܝ .
ܡܩܒܠܝ ܡܠܝ ܕܝ ܡܘܕܝܐ ܐܢܬܝ ✢

ܝ ܝܘܡܢ ܬܡܗܬ ܘܐܬܕܡܪܬ .
ܒܟܠܗܝܢ ܡܠܝܟ ܕܐܡܪܬ ܠܝ .
ܘܕܚܠܐ ܡܪܝ ܕܐܗܝܡܢܟ .
ܕܠܡܐ ܢܟܠܐ ܒܝܢ ܡܠܝܟ ✢

ܟ ܟܕ ܐܫܬܠܚܬ ܕܐܣܒܪܝܟܝ ..
ܫܠܡܐ ܫܡܥܬ ܕܐܝܬܝܬ ܠܟܝ .
ܫܪܝܪ ܗܘ ܡܪܝ ܕܗܟܢ ܨܒܐ .
ܕܡܢܟܝ ܢܕܢܚ ܠܥܠܡܐ ✢

ܟ ܟܠܗܝܢ ܡܠܝܟ ܠܝ ܡܬܡܗܢ .
ܡܚܣܢܐ ܐܢܐ ܡܪܝ ܠܐ ܬܟܐܢܝ .
ܕܠܐ ܒܒܬܘܠܬܐ ܥܘܠܐ ܡܬܚܙܐ .

ملاك

"اليومَ قد صارَ الرَّجاءُ لآدمَ

إذ بكِ ارتضى سيِّدُ الكلِّ

أن ينزلَ ليفكَّ قيودَه ويحرِّرَه

فاقبلي كلماتي وكوني شاكرةً"

مريم

"قد ذُهلتُ اليومَ وتعجَّبتُ

بكلِّ الكلماتِ الَّتي قلتَها لي

وخائفةٌ يا سيِّدُ أن أصدِّقَكَ

لعلَّ بين كلماتِكَ غشًّا"

ملاك

"حينما أُرسلتُ لأبشِّرَكِ

سمعتُ سلامًا جلبتُه لكِ

فصادقٌ هو السَّيِّدُ إذ هَكذا شاءَ

أنْ منكِ سوف يُشرِقُ على العالم"

مريم

"كلماتُك كلُّها تَجعلُني أَعجبُ

فعفوًا سيِّدي لا تَلمْني

إذ لا يَظهرُ في البتولِ طفلٌ

ܘܟܢ ܙܘܘܓܐ ܠܐ ܦܓܥܬ ܠܗ ܀
ܠ ܠܘܬܟܝ ܐܬܐ ܠܐ ܬܕܚܠܝܢ .
ܒܓܘܟܝ ܫܪܐ ܠܐ ܠܡܒܥܝܘ .
ܡܠܝܬ ܛܘܒܐ ܫܘܒܚܐ ܙܡܪܝ .
ܠܗܘ ܕܫܦܪ ܠܗ ܕܢܕܢܚ ܡܢܟܝ ܀
ܠ ܠܝ ܡܪܝ ܓܒܪܐ ܠܐ ܚܟܡ ܠܝ .
ܘܙܘܘܓܐ ܠܐ ܦܓܥܬ ܠܝ .
ܐܝܟܢ ܢܗܘܐ ܐܝܟ ܕܐܡܪܬ .
ܕܕܠܐ ܢܣܒܐ ܢܗܘܐ ܒܪܐ ܀
ܡ ܡܢ ܓܒ ܐܒܐ ܐܫܬܕܪܬ .
ܕܐܣܒܪ ܣܒܪܬܗ ܕܚܘܒܗ ܒܓܘܗ .
ܕܒܪܗ ܢܫܪܐ ܒܓܘ ܡܥܒܕܟܝ .
ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܫܪܐ ܒܟܝ ܀
ܡ ܡܟܝܠ ܡܠܐܟܐ ܠܐ ܡܗܦܟܢܐ .

وأنا ما عَرفتُ بعدُ زواجًا"

ملاك

"قد جاءَ إليكِ فلا تخافي

وحَلَّ في حشاكِ فلا تسألي

يا مليئةً طوبى رنّمي مجدًا

للّذي حَسُنَ لديه أن يَظهرَ منكِ"

مريم

"ما عَرفَني قَبْلاً يا سيّدي رجلٌ

وأنا ما تزوّجْتُ بَعدُ

فكيف يكونُ إذًا كما قلتَ

أنْ من دون زواجٍ يكونُ طفلٌ؟"

ملاك

"قد أُرسلتُ من عند الآب لأجلبَ لكِ

بشارةً دَفَعَه حبُّه إليها

أنِ ابنُه يَحِلُّ في حشاكِ

والرّوحُ القدسُ يَحِلُّ عليكِ"

مريم

"إذًا أيُّها الملاكُ لستُ أعترضُ

ܐܢ ܪܘܚ ܩܘܕܫܐ ܐܬܐ ܠܘܬܝ .
ܐܡܬܗ ܐܢܐ ܘܡܪܝ ܠܗ .
ܢܗܘܐ ܠܝ ܡܪܝ ܐܝܟ ܡܠܬܟ ✤
ܢܬܬܪܝܡ ܪܝܫܟܝ ܐܘ ܥܠܝܡܬܐ .
ܢܚܕܐ ܠܒܟܝ ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ .
ܫܡܝܐ ܕܪ̈ܘܡܐ ܒܟܝ ܡܬܦܨܚܝܢ .
ܐܪܥܐ ܕܒܒܪܟܝ ܡܫܝܢܐ ✤
ܢܬܬܪܝܡ ܪܝܫܝ ܡܪܝ ܐܝܟ ܕܐܡܪܬ .
ܘܐܘܕܐ ܠܫܡܗ ܒܚܕܘܬܐ .
ܘܐܢ ܐܢܬ ܥܒܕܗ ܗܘܝܬ ܫܦܝܪ .
ܠܡܢ ܕܡܐ ܗܘ ܠܗ ܝܕܥܬ ✤

ܛܟܣ̈ܝ ܗܘܐ ܠܐ ܡܫܟܚܝܢ .
ܕܢܚܘܪܘܢ ܒܗ ܕܦܫܝܛ ܚܝܠܐ .

إنْ كان الرّوحُ القدسُ يأتي إليّ

فأَمَتُه أنا وهو سيّدي

فَلْيكنْ لي يا سيّدُ بحسَبِ كلمتِكَ[١٣٤]"

ملاك

"فَلْيرتفعْ رأسُكِ يا صبيّةُ

وَلْيفرحْ قلبُكِ يا بتولُ

فالسّماءُ العليا بكِ تُسَرُّ

والأرضُ بابنِكِ تَنالُ الأمانَ"

مريم

"فَلْيرتفعْ رأسي يا سيّدُ كما قلتَ أنتَ

وأعترفَ باسمِهِ بابتهاجٍ

فإنْ كنتَ، أنتَ عبدَه، بهيًّا هكذا

فهل لـه من شبيهٍ هو؟ هل تَعرِفُ؟"

ملاك

"صفوفُ الملائكةِ لا تَقدرُ

من رهبتِهِ أن تنظرَ إليه

١٣٤ راجع لوقا ١، ٣٤-٣٥؛ نجد بوضوح في هذا المقطع المفهوم الذي كان لدى أفرام وهذه الجماعة المسيحيّة السريانيّة الأولى عن دور الروح القدس في فهم أسرار الله. ففقط بالروح القدس فهمت مريم وقبلت أن تكون أمًّا للكلمة المتجسّد. حوار طويل لا يخلو من الترداد المملّ لإظهار عجز العقل عن الوصول إلى حقيقة إلهيّة، وفجأةً، بذكر الروح القدس تتمّ نعم مريم، وينتهي النقاش وكأنّ أفرام ينوّه بطريقة غير مباشرة بأهميّة الروح القدس في إفهامنا الحقائق الإلهيّة.

ܒܓܘ ܫܠܗܒܝܬܐ ܕܐܒܘܗܝ ܟܣܝܐ .
ܘܟܢܫܐ ܡܢܗ ܡܬܬܙܝܥܝܢ ܀

ܡܪܝܡ ܐܡܪܐ ܠܡܠܐܟܐ..
ܐܢ ܫܠܗܒܝܬܐ ܗܘ ܐܝܟ ܡܐܡܪܟ .
ܐܝܟܢ ܕܝܠܝ ܐܦ ܠܐ ܡܬܝܩܕܐ .
ܒܫܠܗܒܝܬܐ ܕܒܗ ܫܪܝܐ ܀

ܟ ܟܪܣܟܝ ܕܝܠܟܝ ܩܘܕܫܐ ܡܠܐ .
ܘܒܐܠܗܘܬܐ ܟܣܝܬܐ ܚܬܝܡ .
ܘܐܬܪܐ ܕܩܕܝܫ ܚܒܝܒ ܛܒ .
ܠܠܒܐ ܐܠܗܐ ܕܒܗ ܢܕܢܚ ܀

ܕ ܒܥܐ ܡܢܟ ܠܡܢܐ ܗܘ ܫܦܪ .
ܠܡܪܟ ܕܢܫܪܐ ܒܡܣܟܢܬܐ .
ܕܗܐ ܒܢܬ ܡܠܟܐ ܡܠܝܢ ܒܥܠܡܐ .
ܘܡܢ ܠܡܢܐ ܨܒܐ ܕܢܣܒܢܝ ܀

وفي لهيبِ أبيه محتجبٌ

والجموعُ (السّماويّةُ) منه تَرتعدُ"

مريم

"قد أَخفتني الآنَ جدًّا

فإنْ كان لهيبًا هو كما قلتَ

فكيف إذًا يَسلمُ حشاي

من اللهيبِ الّذي يَحلُّ فيه"

ملاك

"إنّ حشاكِ مملوءُ قداسةً

ومختومٌ بالألوهةِ الخفيّة[١٣٥]

والمكانُ المقدّسُ حبيبٌ جدًّا

على قلبِ اللهِ كي يَظهرَ منه"

مريم

"أيُّها الملاكُ أخبِرْني لماذا حَسُنَ

لدى سيّدِك أن يَحلَّ في الفقيرةِ

فها بناتُ الملوكِ ملءُ العالمِ

فلماذا ارتضاني أنا المعدمةَ؟"

---

١٣٥ مريم البريئة من وصمة الخطيئة لم يطلها دنس، بل ختمت بالألوهة، وبنعمة من السيّد حفظت نقيّة لتكون مسكنًا لله الحيّ. راجع المقدّمة.

ملاك

"سهلٌ عليه أن يَحلَّ في غنيّةٍ
إنّما قد أَحبَّ فقرَكِ
ليكون للفقراءِ صديقًا
ويُغنيهم ساعةَ يُعتلَن"

ܦܫܝܩ ܗܘܐ ܕܢܫܪܐ ܒܥܬܝܪܬܐ .
ܘܡܣܟܢܘܬܟܝ ܕܝܠܟܝ ܪܚܡ .
ܕܠܡܣܟܢܐ ܚܒܪܐ ܢܗܘܐ .
ܘܢܥܬܪ ܐܢܘܢ ܡܐ ܕܡܬܥܠܠ ܀

مريم

"فَسِّر لي يا سيّدُ إنْ كنتَ تعلمُ
متى يشاءُ أن يأتيَ إليَّ؟
أخبِرْني إنْ كَلَهبٍ سيَظهرُ لي
ساعةَ يَحِلُّ فيَّ كما قُلتَ؟"

ܦܫܘܩ ܠܝ ܡܪܝ ܐܢ ܝܕܥܬ .
ܐܡܬܝ ܨܒܐ ܕܢܐܬܐ ܠܘܬܝ .
ܘܐܢ ܐܝܟ ܢܘܪܐ ܠܝ ܡܬܚܙܐ .
ܡܐ ܕܫܪܐ ܒܝ ܐܝܟ ܕܐܡܪܬ ܀

ملاك

"قد شاءَ وأتى وها هو حالٌّ فيكِ
ولئلاّ يخيفَكِ لم تَشعري به
ولستُ أَجسُرُ أنا أن أنظرَ إليكِ
يا مليئةً نارًا ولستِ تَحترقين[١٣٦]"

ܨܒܐ ܗܘ ܘܐܬܐ ܘܗܐ ܒܟܝ ܫܪܐ .
ܘܕܠܐ ܢܕܚܠܟܝ ܠܐ ܪܓܫܬܝ ܒܗ .
ܠܐ ܡܡܪܚ ܐܢܐ ܕܐܚܘܪ ܒܟܝ .
ܡܠܝܬ ܢܘܪܐ ܘܠܐ ܡܬܘܩܕܐ ܀

مريم

"أريدُ أيضًا أن أسألَك

ܨܒܝܐ ܐܢܐ ܡܢܟ ܕܐܫܐܠܟ .

١٣٦ مريم المتألّهة، باتّحادها بالله وحلوله فيها، أشعّت بالأنوار الإلهيّة حتى أنّ رئيس الملائكة لم يعد قادرًا على التحديق فيها. ونجد إشارة أيضًا إلى مريم علّيقة موسى التي أمسكت بها النار الإلهيّة ولما تحترق.

ܬܘܒ ܦܫܘܩ ܠܝ ܟܝ̈ܢܘܗܝ ܕܒܪܝ .
ܕܫܪܐ ܠܗ ܒܝ ܘܠܐ ܝܕܥܢܐ .
ܡܢ ܐܥܒܕ ܠܗ ܕܠܐ ܢܬܒܨܪ ܀
ܡ ܩܕܝܫ ܩܕܝܫ ܩܕܝܫ ܩܥܝ .
ܕܐܦ ܠܫܘܒܚܗ ܠܐ ܡܣܬܢܩ .
ܕܐܠܐ ܩܕܝܫ ܠܐ ܐܝܬ ܠܢ .
ܕܢܐܡܪ ܒܠܚܘܕ ܡܛܠ ܒܪܟܝ .
ܡ ܩܕܝܫ ܘܡܫܒܚ ܘܒܪܝܟ ܫܡܗ .
ܕܒܡܘܟܟܐ ܚܪ ܕܐܡܬܗ .
ܡܛܠ ܗܢܐ ܠܝ ܢܛܘܒܢ .
ܟܠ ܫܪ̈ܒܬܐ ܕܒܥܠܡܐ ܀
ܡ ܪܘܡܐ ܘܥܘܡܩܐ ܠܗ ܡܙܡܪܝܢ .
ܥܝܪ̈ܐ ܘܐܢܫܐ ܠܗ ܡܫܒܚܝܢ .
ܕܢܚܬ ܘܫܪܐ ܒܒܬܘܠܬܐ .
ܕܢܚܕܬ ܟܠ ܡܪܐ ܕܟܠ ܀

إشرحْ لي أيضًا عن طبائعِ ابني

الّذي حَلَّ فيّ، فَلستُ أعرفُ

ماذا أصنعُ له لئلاّ أنقّصَ من كرامتِه"

ملاك

""قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ" اهتفي له

فطغماتُنا ليست تُضيفُ شيئًا آخرَ

وليس لنا قدّوسٌ آخرُ

إلاّ ابنُكِ لنقولَ له قدّوس"

مريم

"قدّوسٌ ومُمَجّدٌ ومباركٌ اسمُه

إذ نظرَ إلى تواضعِ أَمَتِه

فلهذا سوف تطوّبُني

جميعُ قبائلِ المسكونة"[١٣٧]

ملاك

"العُلى والعمقُ له ترتّلان،

الملائكةُ والبشر إيّاه يسبّحون

إذ قد نَزلَ وحَلَّ في البتولِ

ليجدّدَ كلَّ شيء هو سيّدُ الكلّ"

---

١٣٧ راجع لوقا ١، ٤٨.

ܪ̈ ܪܒ ܗܘ ܚܢܢܗ ܘܠܐ ܡܬܟܝܠ .
ܘܒܣܦܘܬܐ ܠܐ ܡܬܡܠܠ .
ܕܠܐ ܐܚܕܐ ܠܗ ܫܡܝܐ ܠܥܠ .
ܗܘ ܡܣܦܩ ܠܗ ܟܪܣܐ ܠܬܚܬ ܀
ܡ ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܠܗ ܢܒܪܟܘܢ .
ܐܦ ܥܝܪܐ ܘܒܬܘܠܬܐ .
ܘܐܢܫܐ ܟܠܗܘܢ ܠܗ ܢܩܕܫܘܢ .
ܕܢܚܬ ܒܚܘܒܗ ܘܐܢܫ ܗܘܐ ܀
ܡ ܫܡܝܐ ܘܥܝܪ̈ܐ ܢܘܕܘܢ ܠܥܠ .
ܘܚܕܝܐ ܐܪܥܐ ܒܒܬܘܠܬܐ .
ܘܬܪ̈ܝܗܘܢ ܓ̈ܒܐ ܒܚܕܘܬܐ .
ܢܬܠܘܢ ܫܘܒܚܐ ܠܒܪ ܡܪܗܘܢ ܀
1 ܬܪ̈ܝܗܘܢ ܓ̈ܒܐ ܢܬܚܠܛܘܢ .
ܥܝܪ̈ܐ ܘܐܢܫܐ ܘܡܫܒܚܝܢ .
ܠܒܪܐ ܕܫܝܢ ܒܝܢܬܗܘܢ .

مريم

"حنانُه عظيمٌ وليس يُقاسُ

وبالشّفتين ليس يوصَفُ

الّذي لا تَسعُه أعالي السّماواتِ

قد كفاه على الأرضِ حشا السّفليّةِ".

ملاك

"تباركُه السّماواتُ والأرضُ

والملاكُ أيضًا والبتولُ

وبنو البشرِ كلُّهم يقدّسونه

إذ نَزلَ بحبّه وصارَ بشرًا"

مريم

"السّماءُ والملائكةُ يشكرون في العلى

والأرضُ تَبتهجُ بالبتولِ

وبفرحٍ يتلو الجانبان

المجدَ لابنِ سيّدِهم"

ملاك

"كِلا الجانبَين يختلطان

الملائكةُ والبشرُ يسبّحون

الابنَ الّذي أمّنَ بينهم

ܪ̈ܓܝܙܝܢ ܗܘܘ ܘܡܬܚܡܝܢ ܀
ܬ ܬܘܕܝ ܠܟ ܡܪܝ ܡܢ ܥܠܘܗܝ .
ܬܓܡ̈ܐ ܢܘܪܐ ܕܠܐ ܡܬܚܙܝܢ .
ܘܡܢ ܥܠ ܦܘܡ̈ܝ ܕܥܠܡܐ .
ܬܙܡܪ ܐܪܥܐ ܠܟ ܠܫܘܒܚܐ ܀

وقد كانوا غاضبين ومستائين"

مريم

"تَشكرُكَ يا ربُّ الطُّغماتُ،

وملائكةُ النّارِ اللامنظورةُ

وبواسطةِ أفواهِ العالمِ

ترتِّلُ الأرضُ لكَ التَّمجيدَ".

ܥܘܕ ܡܘܣܝܩܐ ܕܕܘܟܪ̈ܢܘܗ̇ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ
ܥܠ ܩܠܐ: ܕܐܒܐ ܟܬܒ ܗܘܐ ܐܓܪܬܐ ܀

ܐ ܐܬܥܝܪ ܟܢܪܝ ܡܢܟܝ .
ܠܬܘܕܝܬܗ̇ ܕܡܪܝܡ ܒܬܘܠܬܐ .
ܐܪܝܡ ܩܠܟܝ ܘܙܡܪܝ . ܫܪܒܗ̇ ܡܠܐ ܬܗܪܐ .
ܕܗܐ ܒܬܘܠܬܐ ܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܝܠܕܬ ܠܗ ܚܝܐ ܠܥܠܡܐ ܀
ܐ ܐܝܢܐ ܕܪܚܡ ܬܗܪ ܒܗ̇ .
ܘܕܒܥܐ ܒܗ̇ ܒܗܬ ܘܫܬܩ .
ܕܠܐ ܢܒܨܐ ܠܐܡܐ . ܕܝܠܕܬ ܒܒܬܘܠܘܬܗ̇ .
ܕܪܡ ܗܘ ܫܪܒܐ ܕܦܘܫܩܗ̇ .
ܠܐ ܢܡܪܚܘܢ ܕܪ̈ܘܫܐ ܥܠ ܒܪܗ̇ ܀

ܐ ܐܒܙܚ ܒܗ ܒܚܘܝܐ .
ܫܚܩܗ ܘܕܪܣܗ ܠܬܢܝܢܐ .
ܘܐܣܝ ܠܚܘܐ ܟܐܒܐ . ܕܡܚܐ ܕܐܫܩܝܗ̇ ܒܗ .
ܡܢ ܚܘܝܐ ܩܛܘܠܐ .
ܕܒܢܟܠܗ ܫܕܝܗ̇ ܒܝܬ ܡܝ̈ܬܐ ܀

النّشيدُ الثّامنَ عشرَ

نشيد آخر حول تذكار والدة الإله.

اللازمة: الآبُ كَتبَ هذه الرسالة.

أَيقظي يا كنّارتي ما تملكين

لمديحِ العذراءِ مريمَ

أعلي صوتَكِ وترنّمي بقصّتها المملوءةِ ذُهُلاً

فها هي البتولُ ابنةُ داودَ

قد وَلدتِ الحياةَ للعالم

من يحبُّ يُذهَلُ فيها

والّذي يَدرسُ يُخزى وَيصمت[١٣٨]

إذ لا تُفحصُ الأمُّ الّتي وَلدتْ بالبتوليّة

فتفسيرُ قصّتِها عالٍ هو

ولا يجرؤ الدّارسون على (فحصِ) ابنِها

قد هَزئ المولودُ بالأفعى

وسَحقَ الحيّةَ

وداوى حوّاءَ من الألمِ الّذي أصابَها

من التنّينِ القاتلِ

الّذي رماها بحيلتِهِ في مثوى الأموات.

١٣٨ بالحبّ فقط تدرك أسرار الله بنعمة منه، أمّا العقل فعاجز. فكرة تميّز أفرام، وتتردّد غالبًا.

ܐܝܟ ܛܘܪ ܣܝܢܝ ܩܒܠܬܟ .
ܘܠܐ ܫܓܪܬ ܡܢ ܢܘܪܟ ܕܚܝܠܬܐ .
ܕܐܢܬ ܗܘ ܛܫܝܬܗ . ܠܢܘܪܟ ܕܠܐ ܬܚܒܠܢܝ .
ܘܠܐ ܐܘܩܕܬܢܝ ܫܠܗܒܝܬܟ .
ܕܣܪ̈ܦܐ ܢܚܘܪܘܢ ܒܗ ܠܐ ܡܨܝܢ ❖
ܐܕܡ ܕܬܪܝܢ ܐܬܩܪܝ .
ܗܘ ܕܫܡܗ ܐܝܬܘܗܝ ܗܘܐ ܡܢ ܩܕܝܡ .
ܡܛܠ ܕܫܪܐ . ܒܟܪܣܐ ܕܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܘܗܘܐ ܡܢܗ ܒܪܢܫܐ .
ܕܠܐ ܙܪܥܐ ܘܚܒܠܐ ܒܪܝܟ ܫܡܗ ❖
ܒܗ̇ ܩܡ ܗܘܐ ܓܒܪܝܐܝܠ .
ܐܪܘܢܐ ܠܡܪܗ ܟܕ ܐܫܬܠܚ .
ܘܒܗ̇ ܛܒܥܐ ܕܐܢܫܐ . ܡܟܝܟܐ ܘܡܫܟܝܢܐ .
ܐܬܚܠܛ ܥܡ ܛܒܥܐ ܕܐܠܗܐ .
ܕܡܥܠܝ ܡܢ ܚܫ̈ܐ ܟܠܗܘܢ ❖
ܐܦ ܗܝ ܡܪܝܡ ܒܥܬ ܕܬܐܠܦ .
ܥܠ ܒܛܢܗ̇ ܡܢ ܓܒܪܐ ܕܡܣܒܪܗ̇ .

مثلَ جبلِ سيناءَ قدِ اقتبَلْتُكَ[139]

ولم أحترقْ بنارِكَ المُخيفةِ

فأنتَ حَجبْتَ نارَكَ لئلاّ تؤذيني

وما أحرقني لهيبُكَ

الّذي لا يقدرُ السّرافون أن يحدّقوا إليه.

قد دُعي آدمَ الثّاني[140]

هو الّذي اسمُه قبل الدّهورِ كائنٌ

إذ قد حَلَّ في حشا ابنةِ داودَ

وصار منها بشرًا

من دونِ زرعٍ أو فسادٍ، تَبارك اسمُه.

فيها قد حضَرَ جبرائيلُ

تابوتَ عهدٍ لسيّدِه حين أُرسِلَ[141]

وبها الطّبعُ البشريُّ الحقيرُ والوضيعُ

قدِ اختلطَ بالطّبعِ الإلهيِّ

المتعالي عن الآلامِ كلِّها[142].

قد طلبتْ مريمُ أن تَعرِفَ

من الملاكِ مبشّرِها عن حَمْلِها

---

١٣٩ راجع خر ١٩، ١٦–٢٥ يوم تجلّى الربّ لموسى على جبل سيناء بالبروق والرعود.

١٤٠ راجع ١ قور ١٤، ٤٥ والمقدّمة.

١٤١ ليس واضحًا من هو الذي أرسل: جبرائيل (ليُحَضِّر مجيء المسيح) أم المسيح.

١٤٢ مريم صلة وصل إنسانيّتنا بالطبع الإلهيّ. بها أضحى ممكنًا عودتنا إلى مشاهدة الله كما آدم وحوّاء قبل الخطيئة، وذلك بواسطة ابنها الذي تبادل لاهوته بناسوتنا وناسوتنا بلاهوته. بهذا الصدد راجع المقدّمة.

ܕܫܡܥܬ ܚܕܬܬܐ . ܕܐܬܡܠܠ ܒܐܕܢܝܗ̇ .
ܘܐܠܦܗ̇ ܗܘܐ ܓܒܪܝܐܝܠ .
ܕܠܐ ܬܠܐܐ ܒܒܘܨܝܗ ܕܗܘ ܒܪܐ ܀
ܐ ܐܝܟܢ ܬܗܘܐ ܠܝ ܗܕܐ .
ܘܓܒܪܐ ܡܡܬܘܡ ܠܐ ܚܟܡ ܠܝ .
ܥܛܠܐ ܘܒܬܘܠܐ . ܒܚܕܐ ܕܢܫܬܘܘܢ .
ܠܗܕܐ ܟܝܢܢ ܠܐ ܝܕܥܗ̇ .
ܘܠܐ ܚܘܝܬܗ̇ ܒܢܫ̈ܐ ܟܠܗܝܢ ܀
ܒ ܒܐܘܪܚܐ ܕܟܪܣܐ ܡܣܟܝܐ ܗܘܬ .
ܗܝ ܒܬܘܠܬܐ ܕܢܐܬܐ ܠܥܘܒܗ̇ .
ܘܬܡܗܗ̇ ܕܢܡܘܣ : ܟܝܢܐ ܒܫܒܝܠܗ .
ܘܣܡܗ ܬܚܘܡܐ ܠܟܝܢܐ ܒܡܘܠܕܗ .
ܘܥܠ ܠܟܪܣܐ ܘܒܬܘܠܘܬܗ̇ ܠܐ ܫܪܐ ܀
ܒ ܒܗܝܡܢܘܬܐ ܓܠܝܬܐ ܕܫܪܪܐ .
ܡܣܒܪܐ ܗܘܬ ܡܪܝܡ ܕܬܒܛܢ .
ܘܫܒܩܗ ܠܗ̇ ܐܘܪܚܐ . ܕܡܘܠܕܐ ܥܬܝܩܐ .
ܘܒܐܘܪܚܐ ܚܕܬܐ ܢܚܬ ܠܘܬܗ̇ .
ܕܠܐ ܟܝܢܐ ܘܠܐ ܗܘܢܐ ܕܪܫܘܗ̇ ܀
ܒ ܒܒܪܗ̇ ܕܡܪܝܡ ܐܬܒܪܟܬ .
ܗܝ ܐܡܐ ܕܐܬܠܛܬ ܡܛܠ ܒܪܗ̇ .

حين سمعَتِ الكلماتِ الّتي قيلَتْ في أذنَيها

نَصحَها جبرائيلُ ألاّ تتعبَ

بالبحثِ في سرِّ الابنِ

كيف يكونُ لي هذا

وأنا ما عَرفَني رجلٌ

فصعبٌ أن يلتقيَ معًا الحَبَلُ والبتوليّةُ

فهذا لم تَعرفْه قطُّ طبيعتُنا

ولا أظهرَتها في أيٍّ من النّساء

بواسطة الحشا (طريقِ الأطفالِ) قدِ انتظرَتِ

البتولُ أن يأتيَ في حضنِها

فأذهلَ (ناموسَ) الطّبيعةِ بالطّريقِ الّتي سلَكَها

وجعلَ للطّبيعةِ حدودًا بميلادِه

وَدَخلَ الحشا وَما أفسدَ فيه البتوليّةَ

قدِ ارتَجَت مريمُ الحَبَلَ

إيمانًا جليًّا حقيقيًّا

فتركَ (الابنُ) طريقَ الولادةِ القديمةَ

وبطريقٍ جديدٍ نَزلَ إليها

(بطريقٍ) لا الطّبيعةُ ولا العقلُ قد سارا عليها.

بابن مريمَ قد تَبارَكَتِ

الأمُّ القديمةُ الّتي لُعنتْ بسببِ ابنِها

ܘܥܠܝ ܒܗ̇ ܠܥܘܡܩܝܗ̇. ܒܡܘܠܕܗ ܒܘܪ̈ܟܬܗ.
ܘܩܛܠܝ ܠܡܘܬܐ ܘܣܛܢܐ .
ܕܫܥܒܕܗ ܗܘܐ ܠܐܕܡ ܘܐܦܠܝܗ ܀

ܒ ܒܡܪܒܥ ܕܡܪܝܡ ܗܘܐ ܥܘܠܐ .
ܗܘ ܕܫܘܐ ܥܡ ܐܒܘܗܝ ܡܢ ܩܕܝܡ .
ܘܝܗܒ ܠܢ ܪܒܘܬܗ . ܘܣܒ ܡܣܟܢܘܬܢ .
ܘܗܘܐ ܥܡܢ ܡܝܘܬܐ .
ܘܡܙܓ ܒܢ ܚܝܘܗܝ . ܕܠܐ ܢܡܘܬ ܀

ܒ ܒܟܠܗܘܢ ܕܐܕܡ ܩܕܡܝܐ .
ܐܬܚܙܝ ܐܕܡ ܕܡܢ ܫܡܝܐ .
ܘܗܠܟ ܒܡܫܘܚܬܗ . ܣܛܪ ܡܢ ܗܝ ܕܚܛܝܬܐ .
ܘܡܛܠܗܢܐ ܩܪܐ ܐܦ ܐܕܡ .
ܐܣܒܪܗ ܡܢ ܦܘܠܘܣ ܕܒܣܪܗ ܀
ܒ ܒܡܘܠܕܗ ܐܕܡ ܩܕܡܝܐ .
ܙܘܘܓܐ ܘܚܒܠܐ ܠܐ ܐܬܒܥܝ .
ܕܐܠܗܐ ܢܣܒ ܗܘܐ . ܒܐܝܕܗ ܥܦܪܐ .

وسَرتْ إلى أعماقِها، بميلادِه، البركاتُ
الّتي قَتلَت الموتَ والشّيطانَ
الّذي استعبدَ آدمَ وأسقطَه.

في حشا مريمَ قد صارَ طفلاً
ذاك المُساوي لأبيهِ منذُ الأزلِ[١٤٣]
فأعطانا عظمتَه وَاقتنى ضَعفَنا
وصارَ مائتًا معنا
ومزجَ فينا حياتَه لئلاّ نموت[١٤٤].

بكلٍّ (صفاتِ) آدمَ الأوّلِ
قد ظهرَ آدمُ السّماويُّ[١٤٥]
وعلى خطواتِه سارَ ما عدا (خطوةَ) الخطيئة
فلذلك قد دعاه بولسُ
حين بشّرَ به آدم[١٤٦].

ولادةُ آدمَ الأوّلِ كانتْ
من دونِ زواجٍ أو مخاضٍ
فَبكفِّه أَخذَ اللهُ ترابًا

١٤٣ تعبير نيقاويّ جديد يستعمله أفرام، ترجمة لعبارة HOMOUSIOUS التي أعلنت في نيقيا لتحديد مساواة الابن للآب بالجوهر، وبالتالي أنّه غير مخلوق إنّما منبثق من الآب منذ الأزل وقبل الدهور.

١٤٤ المسيح ثمرة الحياة التي وهبتها لنا مريم بدل تلك التي وهبتها لنا حوّاء فأماتتنا. إنّ المسيح قد أخذ عنّا الموت وأعطانا الحياة الأبديّة والاشتراك في الألوهة، وبموته كفّر عن خطيئتنا.

١٤٥ المسيح الإنسان الكامل، إعلان قد يكون موجّهًا للدوسيتيين الذين كأنّما يقولون إنّ ناسوت المسيح ما هو إلاّ قناعٌ أخفى خلفه لاهوته.

١٤٦ راجع ١قور ١٥، ٤٥ والمقدّمة.

ܘܓܒܠܗ ܠܐܕܡ ܒܠܚܘܕܘܗܝ .
ܘܚܘܝ ܒܗ ܚܝܠܗ ܘܚܟܡܬܗ ܀
ܓܠܝܐ ܗܘ ܕܗܟܢ ܐܦ ܡܠܬܐ .
ܐܬܓܫܡ ܡܢ ܡܪܝܡ ܒܬܘܠܬܐ .
ܘܠܐ ܓܠܐ ܠܙܘܘܓܐ ܐܪܙܐ ܕܡܬܓܫܡܢܘܬܗ .
ܕܗܘ ܗܘܐ ܦܓܪܐ ܐܝܟ ܕܨܒܐ .
ܘܐܬܓܫܡ ܘܐܬܐ ܠܥܠܡܐ ܀

وَجَبَلَ وحدَه آدمَ

وبه أظهرَ اللهُ قوّتَه وحكمتَه

وجليٌّ أنّ الكلمةَ هكذا أيضًا

قد تجسّدَ من مريمَ البتولِ[147]

وما ظَهرَ للزّواجِ سرُّ تجسّدِه

فهو قد صارَ جسدًا كما أرادَ

فتجسّدَ وأتى العالمَ.

ܓܢܬܐ ܗܝ ܡܪܝܡ ܕܢܚܬ ܠܗ̇ .
ܡܢ ܐܒܐ ܡܛܪܐ ܕܒܘܪܟܬܐ .
ܘܪܣܣ ܡܢ ܢܛܦܘܗܝ . ܥܠ ܐܦܘܗܝ ܕܐܕܡ .
ܘܚܝܐ ܘܩܡ ܗܘܐ ܡܢ ܩܒܪܐ .
ܕܒܥܠܕܒܒܘܗܝ ܩܒܝܪ ܗܘܐ ܒܫܝܘܠ ܀
ܓܙܐ ܪܒܐ ܕܝܕܥܬܐ .
ܦܬܚ ܢܦܫܗ ܩܕܡܝ ܒܪܚܡܬܐ .
ܘܐܠܨܢܝ ܕܐܡܠܠ . ܫܪܒܗ ܕܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܬܘ ܐܬܒܣܡܘ ܫܡܘܥܐ .
ܒܝܘܠܦܢܐ ܡܥܬܪ ܠܫܡܘܥܘܗܝ ܀

حديقةٌ هي مريمُ وقد نَزلَ عليها

من لَدنِ الآبِ غيثُ البركاتِ

ومن فيضِ هذا المطرِ رَشّتْ وجهَ آدمَ

فحيا وقامَ من القبرِ

حيثُ وضعَه أعداؤه في الجحيمِ.

قد فَتحَ كنزُ المعرفةِ الأعظمُ نفسَه

بالرّحمةِ أمامي

ودفعَني لأخبرَ قصّةَ ابنةِ داودَ

فتعالَوا وتلذّذوا أيُّها السّامعون

بتعليمٍ يُغني سامِعيه.

---

١٤٧ مريم أرض عدن الجديدة التي أعطت آدم الجديد، وكما كانت عدن طاهرة نقيّة حين أُخذ منها آدم، كذلك هي مريم التي بها شاء الله أن يجدّد خليقته مصانة من خطيئة آدم وحوّاء. إنّ مريم قد ظلّت في نفس حالة عدن الأولى قبل أن تطالها لعنة ابنها.

ܙ ܕܢܚܐ ܐܢܫܐ ܡܢܗ .
ܝܘܠܦܢܐ ܒܪܝܟܐ ܒܟܠܙܒܢ .
ܘܗܐ ܡܫܬܥܐ ܫܪܒܗ . ܕܒܪܬܗ ܕܕܘܝܕ .
ܕܝܠܕܬ ܒܒܣܪ ܠܐܠܗܐ .
ܬܘ ܥܡܡܐ ܚܙܘ ܒܬܕܡܘܪܬܗ ܀
ܙ ܕܒܢܦܫܗ ܬܗܪܐ ܡܠܝܐ ܗܘܬ .
ܘܒܬܗܪܐ ܠܒܪܗ ܡܠܠܬ .
ܒܩܠܐ ܕܝܕܥܬܐ . ܘܪ̈ܓܫܐ ܪ̈ܘܚܢܐ .
ܘܒܙܡܝܪ̈ܬܐ ܪ̈ܚܝܡܬܐ .
ܘܒܩܝ̈ܢܬܐ ܫܦܝܪ̈ܬܐ ܐܡܪܐ ܀
ܗ ܗܕܐ ܒܬܘܠܬܐ ܗܘܬ ܐܡܐ .
ܘܢܛܝܪ ܒܬܘܠܘܬܗ ܘܠܐ ܚܒܝܠ .
ܘܛܥܢܐ ܒܥܘܒܗ . ܒܬܘܠܬܐ ܒܒܬܘܠܘܬܗ .
ܘܗܘܬ ܗܘܬ ܐܡܗ ܕܐܠܗܐ .
ܐܦ ܐܡܬܗ . ܘܥܒܕܐ ܕܚܟܡܬܗ ܀
ܗ ܗܕܐ ܕܝܠܕܬ ܚܕ ܒܘܟܪܐ .
ܠܐܠܗܐ ܘܠܒܪܢܫ ܪܒܝܬ .

التّعليمُ المباركُ يَهدفُ في كلِّ آنٍ
لأن يُحييَ بني البشر[١٤٨]
وها هو التّعليمُ يخبرُ الآنَ قصّةَ ابنةِ داودَ
الّتي وَلدتِ اللهَ بالجسدِ
هلمّي أيّتُها الشّعوبُ تأمّلْ في عظمتِها.

بنفسٍ مليئةٍ عجبًا
وبذُهلٍ قد قالتْ لابنِها
بلحنِ المعرفةِ وأحاسيسِ الرّوحِ
وبأغاني الأطفالِ المحبَّبةِ
وبالألحانِ البهيّةِ تكلّمَتْ:

"ها هي البتولُ قد صارتْ أمًّا
وبتوليّتُها محفوظةٌ من دونِ فساد
في حشاها تَحملُ ولدًا وهي عذراءُ
قد صارتْ أمًّا لله[١٤٩]
وأمَتَه وعَمَلَ حكمتِه

تلك الّتي وَلدَتِ البكرَ
قد ربّتِ الإلهَ والإنسانَ"[١٥٠]

١٤٨ إنّ التّعليم الموحى من الروح القدس، إنّ في الكتاب المقدّس أو في التعاليم الكنسيّة، يهدف إلى إيصال رسالة الخلاص للبشريّة، وتحضيرها للسير بحسب تصميم الله الخلاصيّ لبلوغ التألّه بنعمة من الله.

١٤٩ من جديد مريم والدة الله، THEOTOKOS مريم أمّ المسيح الإله.

١٥٠ ضدّ بدعة كانت تقول إنّ المسيح قد ولد إنسانًا ثمّ نال الألوهة بعماده وحلول الروح القدس عليه. يشدّد أفرام أنّ مريم قد ربّت المسيح الإنسان والإله.

ܘܗܘܬ ܠܗ ܐܡܐ . ܠܗܘ ܒܪܐ ܡܛܫܝܐ .
ܕܝܠܝܕ ܘܓܡܝܪ ܡܢ ܐܒܘܗܝ .
ܘܗܘܐ ܐܘܦ ܥܘܠܐ ܒܡܪܒܥܬܗ ❖

ܗ ܘܐܝܠܢ ܚܝܐ ܕܢܒܛ ܗܘܐ .
ܒܡܨܥܬܗ ܕܦܪܕܝܣܐ ܡܢ ܩܕܝܡ .
ܠܐ ܝܗܒ ܠܗ ܠܐܕܡ . ܦܐܪܐ ܕܢܚܐ ܠܗ .
ܒܡܥܒܪܘܗ ܕܡܪܝܡ ܐܬܓܠܝ .
ܘܝܗܒ ܢܦܫܗ ܠܐܕܡ ܘܒܗ ܚܝܐ ❖

ܘ ܐܬܐ ܡܢ ܪܘܡܐ ܥܠܝܐ .
ܙܥܪ ܘܢܚܬ ܗܘ ܡܠܬܐ ܕܡܪܝܐ .
ܘܫܪܐ ܒܛܠܝܬܐ . ܛܥܢܬܗ ܘܝܠܕܬܗ .
ܘܗܐ ܟܠ ܦܘܡܐ ܕܡܡܠܠܐ .
ܡܢ ܫܘܒܚܐ ܕܒܬܘܠܬܐ ܥܠܝܡܬܐ ❖

ܙ ܚܘܐ ܒܦܪܕܝܣܐ ܚܝܒܬ ܗܘܬ .
ܫܛܪܐ ܪܒܐ ܕܚܘܒܐ .
ܕܢܬܬܒܥܘܢ ܡܘܬܐ . ܡܢ ܝܠܕܝܗ ܒܕܪܝܗܘܢ .
ܚܘܝܐ ܟܬܒ ܫܛܪܐ ܕܢܟܠܐ .
ܟܬܒ ܫܛܪܐ ܘܚܬܡܗ ܒܢܟܠܗ ❖

وصارتْ أمًّا لذاك الابنِ المحتجبِ
المولودِ كاملاً من الآبِ
وقد صار أيضًا في حشاها طفلاً.

وشجرةُ الحياةِ الّتي نَمتْ
في وَسَطِ الجنّةِ منذ القديمِ
ما أَعطتْ آدمَ ثمرةً تُحييه
وبأحشاءِ مريمَ قد ظَهرتْ
وأَعطتْ نفسَها لآدمَ وبها حيا[151].

نَزَلَ من الأعالي السّماويّةِ
تَصاغرَ وانحدرَ وهو كلمةُ السّيّدِ
وَحَلَّ في الصبيّةِ، حَمَلَتْه وَوَلَدتْه
وها هي كلُّ أفواهِ المتكلّمين تُعلي
قصّةَ البتولِ الطّاهرةِ.

حوّاءُ قد استحقّتْ في الجنّةِ
صكَّ ديونٍ عظيمًا
أنْ يَقتصَّ الموتُ من أولادِها في الأجيالِ
والحيّةُ -كاتبُ الصكِّ الدّجّال-
كَتبَتِ الصّكَّ وأغلقَته وبخداعِها قد خَتَمتْه.

[151] مريم شجرة الحياة الجديدة التي أعطت الإنسان المسيح ثمرة الحياة الأبديّة.

قد نَظَرَ التّنّينُ الأوّلُ

بمَكرِه (إلى حوّاءَ) وأكثرَ لها الضّرباتِ

وطفلةٌ كانت هي أحبّتْ مَكرَ سابيها

فأصغتْ إلى الماكرِ[١٥٢]

وَأنزلتْ آدمَ من مرتبتِه.

قد استحقّتِ الذّنبَ حوّاءُ

وحُفِظَ لمريمَ أن تَفي الدَّينَ

الابنةُ تَفي دَيْنَ أمِّها

وبها يُسدَّدُ الصّكُّ

الّذي كان يَفترسُ[١٥٣] الأجيالَ كلَّها.

بأصابِعها حَملَتِ النّارَ

واحتضنتْ بذراعَيها اللهيبَ

وأمسكتِ النّيرانُ ثديَها لترضَعَها

وأعطتْ حليبًا للّذي يُقيتُ الجميعَ

فمن يَقدرُ على وصفِها.

أولادُ الأرضِ أكثَروا في الأرضِ

اللعناتِ والأشواكَ الّتي أسقطتْها

وأدخَلوا إليها الموتَ فسكنَ فيها وهدمَها

ـ ܝܚ: ܬܢܝܢܐ ܩܕܡܝܐ .
ܚܙܐ ܒܢܟܠܗ ܘܐܣܓܝ ܠܗ ܡܚܘܬܐ .
ܛܠܝܬܐ ܗܘܬ ܕܪܚܡܬ . ܢܟܠܗ ܕܫܒܘܝܗ .
ܘܐܨܝܬܬ ܠܢܟܘܠܐ .
ܘܐܚܬܬ ܡܢ ܕܪܓܗ ܠܐܕܡ ✣
ـ ܝܛ ܚܘܐ ܚܝܒܬ ܡܫܬܟܚܐ .
ܘܠܡܪܝܡ ܐܬܢܛܪ ܠܡܦܪܥ ܚܘܒܬܐ .
ܕܬܦܪܘܥ ܒܪܬܐ ܚܘܒ ܐܡܗ .
ܘܬܩܪܘܥ ܫܛܪܐ .
ܕܢܗܡ ܗܘܐ ܥܠ ܕܪܐ ܟܠܗܘܢ ✣
ܟ ܒܐܨܒܥܬܗ ܢܘܪܐ ܫܩܠܬ .
ܘܒܕܪܥܝܗ ܓܘܡܪܐ ܠܒܟܬ .
ܬܕܝܗ ܐܘܚܕܬ ܫܠܗܒܝܬܐ . ܠܡܝܢܩܗ ܗܘܐ .
ܘܚܠܒܐ ܝܗܒܬ ܠܡܬܪܣܝܢܐ ܟܠ .
ܘܡܢܘ ܚܝܠ ܢܡܠܠ ܥܠܝܗ ✣
ـ ܟܐ ܒܢܝ ܐܪܥܐ ܐܣܓܝܘ ܠܗ .
ܠܘܛܬܐ ܘܟܘܒܐ ܕܐܦܩܬ .
ܘܐܥܠܘ ܒܗ ܡܘܬܐ ܕܢܚܪܒ ܠܗ .

١٥٢ قبول حوّاء للموت من خلال سمعها، ومريم قبلت الحياة وصارت أمًّا للأحياء بالطريقة نفسها: بإصغائها لإرادة الربّ من خلال الملاك. حول الحبل من خلال السمع راجع المقدّمة.

١٥٣ حرفيًّا يزأر، يزمجر أو يصرخ، إستعارة، وفي الأدب السريانيّ يستعمل عادة هذا النوع من استعمال الصفات في كائن ما لإظهار نتيجة عمله: يقال زأر الأسد ويقصد به قتل.

وابنُ مريمَ قد ملأَ حياةَ البرايا كلَّها وأعطاها السَّلامَ.	ܘܒܪܗ ܕܡܪܝܡ ܡܠܝܗ ܚܝܐ . ܠܒܪ̈ܝܬܐ ܟܠܗ̇ ܘܫܝܢܗ̇ ܀
أبناءُ الأرضِ قد أَدخلوا المرضَ والألمَ للعالم[154] وفتحوا البابَ للموتِ فدخلَ وداسَها وابنُ مريمَ في شخصِه قد حَمَلَ آلامَ الخليقةِ وأحياها.	ܝ ܒܢ̈ܝܗ̇ ܕܐܪܥܐ ܐܥܠܘ ܗܘܘ . ܟܘܪ̈ܗܢܐ ܘܟܐܒ̈ܐ ܠܥܠܡܐ . ܘܦܬܚܘ ܠܗ ܬܪܥܐ . ܠܡܘܬܐ ܘܥܠ ܕܫܗ̇ . ܘܒܪܗ ܕܡܪܝܡ ܒܩܢܘܡܗ . ܛܥܢ ܟܐܒ̈ܘܗܝ ܕܒܪ̈ܝܬܐ ܘܐܚܝܗ ܀
قد احتفظتْ بالبتوليّةِ مُصانةً مثلَ أرضِ عَدْنِ المباركةِ الأرضِ الّتي دونَ أن تُحرثَ قد نَمَت في وَسَطِها شجرةُ الحياةِ الّتي بمذاقِها تُحيي الأنفسَ بمراحمِها.	ܟ ܟܕ ܓܝܪ ܢܛܝܪܐ ܒܒܬܘܠܘܬܗ̇ . ܐܝܟ ܐܪܥܐ ܕܥܕܝܢ ܒܪܝܟܬܐ . ܕܟܕ ܠܐ ܐܬܦܠܚܬ . ܢܒܥ ܡܢ ܓܘܗ̇ . ܐܝܠܢ ܚܝܐ ܕܒܛܥܡܗ . ܠܢܦ̈ܫܬܐ ܡܚܝܐ ܒܪ̈ܚܡܘܗܝ ܀
لا تَبحثْ لهذه المعجزةِ عن تفسيرٍ في عقلِك أيُّها الشّقيُّ. لا تَسِرْ عبثًا على دربِ (ناموس) الطّبيعةِ إذ في الدّربِ الخفيّةِ عن العقولِ دَخلَ وَحَلَّ في حشاها المُغلَقِ.	ܠ ܠܗܕܐ ܬܕܡܘܪܬܐ ܠܐ ܬܒܥܐ . ܦܘܫܩܐ ܒܡܘܕܥܟ ܕܘܝܐ . ܠܐ ܬܪܗܛ ܣܪܝܩ . ܒܐܘܪܚܐ ܕܟܝܢܐ . ܕܒܐܘܪܚܐ ܕܟܣܝܐ ܡܢ ܗܘܢܐ . ܥܠܠ ܫܪܐ ܒܓܘ ܒܥܘܒܐ ܚܬܝܡܬܐ ܀

[154] راجع حكمة ٢، ٢٤. يتكلّم أفرام عن أصل الشرّ معلنًا أنّه نتيجة حريّة الإنسان المنحرفة بسبب الخطيئة وأنّ الله هو براء منه، وليس كما كان يدّعي المانويّون أيّام أفرام من أنّ هناك إلهين يحرّكان العالم: إله صالح نبع كلّ خير، وإله شرّير مصدر كلّ شرّ.

ܠܐ ܗܘ ܒܐܢܫܐ ܒܛܢܬ ܗܘܬ .
ܕܢܪܓܫ ܗܘܐ ܟܝܢܐ ܒܥܒܕܗ .
ܒܪܡܐ ܓܝܪ ܠܒܛܢܐ . ܢܘܪܐ ܗܘܐ ܘܪܘܚܐ .
ܒܒܛܢܐ ܕܐܡܗ ܗܘܐ ܐܢܫܐ .
ܟܕ ܗܘܐ ܐܠܗܐ ܡܫܡܠܝܐ ܀
ܠܐ ܗܘ ܠܒܫܪܬܐ ܡܣܒܪ ܗܘܐ .
ܓܒܪܐܝܠ ܕܐܬܐ ܠܘܬܗ .
ܕܐܠܗܐ ܡܠܬܐ . ܫܕܪܗ ܠܘܬ ܡܪܝܡ .
ܕܢܛܝܒ ܠܗ ܐܪܘܢ .
ܕܢܫܪܐ ܒܗ ܘܢܬܓܫܡ . ܟܕ ܫܠܡ ܀
ܟܕ ܠܐ ܡܣܬܟܠ ܗܘܐ ܓܝܪ ܗܘ ܒܛܢܐ .
ܕܐܬܕܡܘܪܬܐ ܕܗܘܬ ܠܚܟܡܬܗ .
ܕܒܘܪܐ ܕܐܢܫܐ . ܫܪܐ ܗܘܐ ܒܛܠܝܬܐ .
ܘܥܒܕ ܦܓܪܐ ܘܗܕܡܐ .
ܠܢܦܫܗ ܐܝܟ ܡܪܐ ܕܟܠ ܡܕܡ ܀

هي ما حَملتْ بإنسانٍ
كيما يَشعرَ (ناموسُ) الطّبيعةِ بعملِه
فهو لغايةِ الحشا ظلَّ نارًا وروحًا[١٥٥]
وبحشا أمِّه صار إنسانًا
وما بَرِحَ إلهًا كاملاً[١٥٦].

جبرائيلُ إذْ قَدِمَ العالمَ
لا ليبشّرَ فقط بإنسانٍ
فاللهُ الكلمةُ قد أرسلَه لمريم
ليحضّرَ له تابوتَ عهدٍ
يَحلُّ فيه ويتجسّدُ
ويبقى كاملاً[١٥٧].

أعجوبةُ الحَمْلِ هذه ما كانت في حاجةٍ
للزواج كيما تُجترحَ
فخالقُ البشرِ قد حلَّ في الصبيّةِ
وصنعَ لنفسِه جسدًا وأعضاءَ
كسيّدٍ قادرٍ على كلِّ شيء.

---

١٥٥ تشديد على بتوليّة مريم الدائمة واستباق لمجمع أفسس (٤٣١) ومجمعا نيقيا (القرن الخامس) والقسطنطينيّة (القرن السادس).

١٥٦ مرّة أخرى تشديد على كمال الطبيعتين الإلهيّة والإنسانيّة في المسيح المتجسّد، وهي من دون شكّ ضدّ تعليم آريوس، وصدى لمقرّرات مجمع نيقيا.

١٥٧ ليس واضحًا إن كانت الصفة "كامل" تتعلّق بالمسيح، وبالتالي: يبقى إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، أم تعود لتابوت العهد، أي مريم، وبالتالي بقي التابوت سالمًا فلم تعرف بتوليّة مريم تغيّرًا. على الأرجح هو الخيار الثاني بسبب استعمال الصفة ܫܠܡܐ بينما للمسيح يستعمل عادة الكاتب ܡܫܡܠܝܐ (راجع المقطع السّابق).

من قد رأى مولودًا
يختارُ له أمًّا تلدُه؟
وَسَبقَ وأرسلَ لها مبشّرًا أنّه يحلُّ فيها
وفيما كانت تفكّرُ كيف تحملُه
دخلَ وحلَّ في حشاها وما شَعرت.

هكذا قبلتْ مريمُ
المولودَ المتسامي عن العقولِ
وعرفتْ من الملاكِ أنّه ليس من زواجٍ سيكونُ
إذ إنّ الرّوحَ القدسَ وقوّةَ العليِّ
قد جعلاه في الحشا.

السّاقيةُ النّقيّةُ الّتي ما امتزجتْ
بِسَيلِ زواجٍ
وَقَبِلَتْ في حشاها نهرَ الحياةِ
نَزلَتْ وأفاضَتْ على البرايا
وَحَيَا بها المائتون كلُّهم.

الهيكلُ الطّاهرُ الّذي حلَّ فيه
اللهُ جبّارُ العوالمِ
وفيه خُدمَ السّرُّ بمعجزةٍ
إذ فيه اللهُ قد صار إنسانًا
وبه أيضًا دُعي آدمُ ابنًا للآب.

ܡ ܡܢܘ ܚܙܐ ܠܗ ܝܠܘܕܐ .
ܕܓܒܐ ܠܗ ܐܡܐ ܕܬܝܠܕܝܘܗܝ .
ܘܩܕܡ ܘܫܕܪ ܠܗ . ܕܐܬܐ ܘܫܪܐ ܒܗ .
ܘܟܕ ܡܬܚܫܒܐ ܥܠ ܛܥܢܗ .
ܥܠ ܥܠܐ ܒܟܪܣܗ ܘܠܐ ܐܪܓܫܬ ∴

ܡ ܡܪܝܡ ܗܟܢܐ ܩܒܠܬܗ .
ܠܗܘ ܝܠܕܐ ܕܪܡ ܗܘ ܡܢ ܡܕܥܐ .
ܘܝܕܥܬ ܡܢ ܥܝܪܐ . ܕܠܘ ܡܢ ܙܘܘܓܐ ܗܘ .
ܕܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܐܦ ܚܝܠܗ
ܕܥܠܝܐ ܫܪܝܘܗܝ ܒܡܥܒܪܐ ∴
ܡ ܡܥܝܢܐ ܗܘ ܕܟܝܐ ܕܠܐ ܡܚܠܛ ܒܗ .
ܡܢ ܪܕܝܐ ܕܙܘܘܓܐ ܡܫܬܘܬܦ .
ܘܩܒܠܬܗ ܒܟܪܣܗ . ܠܗܘ ܢܗܪܐ ܕܚܝܐ .
ܘܢܚܬ ܘܫܩܐ ܠܒܪܝܬܐ .
ܘܚܝܘ ܒܗ ܡܝܬܐ ܟܠܗܘܢ ∴
ܗ ܗܝܟܠܐ ܕܟܝܐ ܕܫܪܐ ܒܗ .
ܐܠܗܐ ܓܢܒܪܐ ܕܥܠܡܐ .
ܘܐܫܬܡܫ ܒܗ . ܐܪܙܐ ܒܬܕܡܘܪܬܐ .
ܕܒܗ ܐܠܗܐ ܗܘܐ ܐܢܫܐ .
ܘܐܦ ܐܕܡ ܒܪܐ ܠܐܒܐ ܐܬܩܪܝ ∴

ܓ ܢܗܘܐ ܠܟ ܡܪܝ ܒܘܝܐܐ .
ܘܚܘܣܢܐ ܠܐܒܝ̈ܠܐ ܕܓܢܬܐ .
ܕܫܠܚܘ ܗܘܘ ܫܘܒܚܐ . ܘܠܒܫܘ ܗܘܘ ܛܪ̈ܦܐ .
ܘܡܛܠܬܗܘܢ ܒܥܘܪ̈ܐ .
ܗܐ ܥܒܪ ܐܢܬ ܕܢܗܦܟܘܢ ܠܥܕܢ ܬܘܒ *
ܦܘܫܩܐ ܗܘ ܡܪܝܡ ܕܐܬܝܠܕܬ
ܒܥܩܪܗ ܕܕܘܝܕ ܡܒܪܟܐ .
ܘܐܦܪܥܘ ܣܘܟ̈ܝܗ . ܣܓܘܠܐ ܕܕܡܐ ܚܝܐ .
ܘܐܫܬܝ ܐܕܡ ܡܢ ܚܡܪ̈ܗ .
ܘܐܬܚܝ ܘܗܦܟ ܠܥܕܢ ܬܘܒ *
ܕ ܕܠܝܬܐ ܗܝ ܡܪܝܡ ܕܐܬܚܙܝܬ .
ܡܢ ܥܩܪܗ ܕܕܘܝܕ ܡܒܪܟܐ .
ܕܟܕ ܠܐ ܛܥܝܢ ܗܘܐ ܢܝܪܐ ܕܙܘܘܓܐ .
ܒܪܬܗ ܡܚܒܐ ܠܐܠܗܐ .
ܕܒܚܘܒܗ ܗܘܐ ܐܢܫܐ ܕܢܦܪܘܩܢ *
ܗ ܡܛܠ ܗܢܐ ܠܐ ܡܬܝܠܕ ܙܘܘܓܐ .
ܐܦ ܐܕܡ ܘܚܘܐ ܟܕ ܐܬܒܪܝܘ .
ܘܠܐ ܠܘܬ ܡܪܢ . ܐܢܓܢܐ ܕܢܗܘܐ .
ܕܗܘ ܐܠܗܐ ܒܪܝܗ ܠܐܕܡ .

فَلْيكنْ بكَ يا سيِّدُ عزاءً
وقوّةٌ لحزانى الفردوسِ
الّذين خلعوا المجدَ ولبسوا الأوراقَ
ومن أجل هذا قد لُففتَ بأقمطةٍ
كيما يعودوا إلى عدنٍ.

داليةٌ هي مريمُ قد ظَهرتْ
من جذعِ داودَ المباركِ
فأعطتْ أغصانُها عناقيدَ دمِ الحياةِ
وشربَ آدمُ من خمرِها
وقامَ وعادَ إلى عدنٍ.

العِجلةُ المباركةُ الّتي ظهرتْ
في قطيعِ ابراهيمَ المباركِ
رغم أنّها لم تحملْ نيرَ الزّواجِ
أطاعتْ وولدتِ الابنَ
الّذي بحبّه صار إنساناً ليفدينَا.

لأجلِ هذا ما وُلد
من زواجِ آدمُ وحوّاءُ حين خُلقا
وفي الحَمْلِ بسيّدِنا ما وَجبَ
أن يكونَ هناك الزّواجُ
فهو اللهُ الّذي خلقَ آدمَ

ܘܗܘܐ ܗܘܐ ܒܪ ܐܢܫܐ ܒܚܪܬܐ ✤

وقد صارَ إنسانًا في نُهَيَةِ الزّمنِ[158].

ܦܩܕܬ ܗܘܝܬ ܠܡܝܐ ܘܠܥܦܪܐ .
ܘܐܦܩܬ ܡܢܗܘܢ ܠܓܢܣܐ ܕܨܪܬ ܒܗܘܢ .
ܘܗܕܐ ܛܥܝܘܗ . ܣܟܠܐ ܘܠܐ ܒܥܘܗ .
ܘܐܬܥܝܪܘ ܗܘܢܗܘܢ ܒܥܕܢܐ .
ܕܢܕܥܘܢ ܝܠܕܟ ܕܠܐ ܡܬܕܪܟ ✤

قد أمرتَ المياهَ والتّرابَ
وأخرجتَ منها الأجناسَ الّتي صوّرتَها
وهذا قد حفظَه الجهلةُ ولم يسألوا حولَه
والآن أيقظوا عقولَهم حتّى يعرفوا
عن ميلادِكَ غيرِ المُدرَكِ؟

ܓ ܨܘܬܘ ܠܫܘܒܚܗ ܒܡܪܟܒܬܐ
ܘܠܙܡܝܪܬܗ ܡܢ ܐܡܐ ܒܬܘܠܬܐ .
ܒܡܪܟܒܬܐ ܪܒܘܬܗ . ܘܒܡܪܝܡ ܚܘܒܗ .
ܟܪܘܒܐ ܡܒܪܟܝܢ ܠܗ ܒܙܘܥܐ .
ܘܛܠܝܬܐ ܕܐܡܗ ܗܝ ܡܓܦܦܐ ✤

استمِعوا إلى تمجيدِه على مركبةِ الكروبين
وإلى الأغاني الّتي تغنّيها له الأمُّ البتولُ
في المركبةِ عظمتُه وفي مريمَ حبُّه
الكروبون برعدةٍ يباركونه
والصبيّةُ أمُّه تعانقُه.

ܡ ܩܠܐ ܕܚܝܐ ܠܒܝܬ ܡܝܬܐ .
ܢܫܬܕܪ ܡܢܟ ܡܪܝܡܐ .
ܘܢܐܡܪ ܠܗ ܠܚܘܐ . ܒܐܬܪܐ ܕܩܒܪܐ .
ܕܒܪܬܟܝ ܝܠܕܬ ܒܒܬܘܠܘܬܗ .
ܝܠܘܕܐ ܕܗܘ ܦܪܥ ܚܘܒܝܟܝ ✤

أرسِلْ منكَ أيُّها العليُّ
صوتَ الحياةِ إلى مثوى الأمواتِ
فيقولَ لحوّاءَ في داخلِ القبرِ
إنّ ابنتَكِ قد ولدتْ وهي بتولٌ
مولودًا يفي كلَّ ديونِك.

ܪ ܪܒܐ ܗܘܐ ܒܡܥܝܗ ܕܒܬܘܠܬܐ .
ܘܠܐ ܪܓܫܬ ܕܗܘ ܥܐܠ ܒܡܥܝܗ̈ .

العظيمُ قد حَلَّ في جوفِ البتولِ
وما شعرتْ بدخولِه أحشاءَها

---

158 راجع غلا ٤، ٤.

ܢܛܝܪܐ ܒܬܘܠܘܬܗ̇. ܘܫܪܐ ܗܘܐ ܒܟܪܣܗ̇.
ܡܣܟܝܐ ܕܢܐܬܐ ܐܬܐ ܠܗ̇.
ܘܥܐܠ ܗܘ ܐܦ ܙܟܐ ܒܡܪܒܥܗ̇ ܀

ܪ ܪܒܐ ܗܘ ܕܥܬܝܩ ܝܘܡܬܐ.
ܐܝܟ ܥܘܠܐ ܫܪܐ ܗܘܐ ܒܡܪܒܥܐ.
ܐܦ ܢܘܪܐ ܫܪܐ. ܒܓܘ ܟܪܣܐ ܕܦܓܪܐ.
ܐܦ ܗܘ ܕܐܝܬܘܗܝ ܡܢ ܩܕܡ.
ܫܘܪܝܐ ܥܒܕ ܠܗ ܘܐܬܥܒܝ ܀
ܫ ܫܘܒܚܐ ܠܥܘܠܐ ܕܗܘ ܩܕܝܡ.
ܕܨܪ ܗܘܐ ܠܐܡܗ ܒܡܪܒܥܐ.
ܘܩܪܒ ܗܘܐ ܠܗ̇. ܘܗܘܐ ܛܠܐ ܡܢܗ̇.
ܩܕܝܡ ܕܩܫܝܫ ܡܢ ܐܡܗ.
ܘܛܠܐ ܗܘܐ ܡܢܗ̇ ܒܨܒܝܢܗ ܀
ܬ ܬܘܕܝ ܠܝܡܐ ܕܚܟܡܬܐ.
ܕܥܠ ܠܟܪܣܗ̇ ܕܒܬܘܠܬܐ ܘܫܪܐ.
ܘܗܘ ܪܘܡܐ ܘܥܘܡܩܐ. ܕܡܠܝܢ ܡܢ ܪܒܘܬܗ.
ܟܪܣܗ̇ ܕܒܪܬ ܕܘܝܕ.
ܘܐܚܕܬܗ ܒܥܘܒܗ̇ ܙܥܘܪܐ ܀
ܬ ܬܪܬܝܢ ܐܡܗܬܐ ܐܬܚܙܝ.
ܕܝܠܕܢ ܗܘܝ ܒܢܝܐ ܡܬܕܡܪܢܐ.

ما زالتِ البتوليّةُ في حضنِها، وحَلَّ هو في حشاها
هي تَنتَظرُ ساعةَ مجيئِه إليها
وهو قد دَخلَ منتصرًا في رَحِمِها.

العظيمُ وقديمُ الأيّامِ
قد حَلَّ كالطِّفلِ في حشاها
والنّارُ قد حلّتْ في الحشَا الجسديِّ
والّذي هو كائنٌ منذُ البدءِ
قد جَعلَ لَه بدايةً وصار جَنينًا.

المجدُ للطِّفلِ الّذي منذُ البدءِ
قد صوّرَ أمَّه في الحشا
ثمّ عاد ودنَا منها وصار طفلاً أصغرَ منها
هو الأقدمُ من أمِّه
بمشيئتِه أضحى أصغرَ منها.

الشّكرُ لبحرِ الحكمةِ
الّذي دَخلَ حشا البتولِ وَحلّ فيها
هو الّذي منه امتلأتْ كلُّ الأعالي والأعماق
قد احتواه حشا ابنةِ داودَ
واحتضنَته في حضنِها الصّغيرِ.

أمّان اثنتان قد ظهرتا
والدتين لابنين عجيبين:

ܚܕܐ ܝܠܕܬ ܠܐܕܡ . ܘܡܠܝܗ ܠܘܛܬܐ .
ܘܡܪܝܡ ܝܠܕܬ ܠܐܠܗܐ
ܕܡܠܐ ܗܘܐ ܠܒܪܝܬܐ ܒܘܪܟܬܗ ܀
ܒܪܝܟܬܝ ܡܪܝܡ ܒܪܬ ܕܘܝܕ .
ܘܒܪܝܟ ܗܘ ܦܐܪܐ ܕܝܗܒܬ ܠܢ .
ܒܪܝܟ ܐܒܐ ܕܫܕܪܗ . ܠܒܪܗ ܠܦܘܪܩܢܢ .
ܘܒܪܝܟ ܪܘܚܐ ܦܪܩܠܝܛܐ .
ܕܝܗܒ ܠܢ ܒܐܪܙܗ ܒܪܝܟ ܫܡܗ ܀

واحدةٌ وَلدتْ آدمَ وقد ملأها لعناتٍ

ومريمُ قد ولدَتِ اللهَ

الّذي ملأَ البرايا من بركاتِه.

تباركْتِ يا مريمُ ابنةَ داودَ

وتباركَتِ الثّمرةُ الّتي وَهَبْتِها لنا.

تباركَ الآبُ الذي أرسلَ الابنَ لفدائِنا

وتباركَ الرّوحُ المعزّي

الّذي قد أعطانا معرفةَ سرِّه، مباركٌ اسمُه.

النّشيدُ التّاسعَ عشرَ

نشيدٌ آخر على لحنِ أناشيدِ الأطفال.

اللازمة: المجدُ لكَ يا سيّدًا تَسجدُ له بفرحٍ السّماواتُ والأرض.

قدِ اندهشتُ بمريمَ وهي تُرضِعُ
قائِتَ الكلِّ الّذي صار طفلاً
وقد حَلَّ في حشا الصّبيّةِ
هو الممتلئةُ منه كلُّ العوالم.

بنتُ الفقراءِ قد صارتْ أمًّا
لذاك الغنيِّ الذي حداه حبُّه
النّارُ في حشا البتولِ
متّقدٌ لهيبُها ولا تَحترقُ.

قد عانقتِ الجمرةَ واحتضنَتْها
وما تأذّتْ حين طافتْ
باللهيبِ الّذي تجسّدَ
وحلَّ بين يدَي مريمَ.

هو الشّمسُ العظيمةُ قد صَغُرَ
واحتوي في غمامةٍ منيرةٍ[159]
وصارتِ الصبيّةُ أمًّا لذاك

ܐܚܪܢܐ ܡܘܫܚܬܐ ܕܝܠܕܘܬܐ ܒܩܠܐ ܫܘܒܚܐ
ܠܟ ܡܪܝ ܘܠܟ ܣܓܕܝܢ ܫܡܝܐ
ܘܐܪܥܐ ܒܚܕܘܐ ܀

ܒܡܪܝܡ ܬܗܪܬ ܟܕ ܡܝܢܩܐ .
ܠܟܠ ܦܪܢܣܐ ܕܛܠܝܐ ܗܘܐ .
ܥܐܠ ܗܘܐ ܒܥܘܒܗ̇ ܕܥܠܝܡܬܐ .
ܘܡܠܝܢ ܡܢܗ ܟܠܗ ܥܠܡ̈ܐ ܀
ܒܪܬ ܡܣܟ̈ܢܐ ܐܡܐ ܗܘܬ .
ܠܒܪܗ ܕܥܬܝܪܐ ܕܚܘܒܗ ܚܒܝܒ .
ܢܘܪܐ ܒܥܘܒܗ̇ ܕܒܬܘܠܬܐ .
ܘܥܡ ܫܠܗܒܗ̇ ܠܐ ܝܩܕܐ ܀
ܓܘܡܪܬܐ ܚܒܩܬ ܐܦ ܓܦܦܬ .
ܘܠܐ ܐܬܚܡܬ ܟܕ ܐܚܕܬ .
ܫܠܗܒܝܬܐ ܐܬܓܫܡܬ .
ܘܥܡܪܬ ܒܝܢ ܐܝܕܝܗ̇ ܕܡܪܝܡ ܀
ܫܡܫܐ ܪܒܐ ܙܥܪ ܘܐܬܚܒܝ .
ܒܥܢܢܐ ܢܗܝܪܐ .
ܘܗܘܬ ܠܗ ܛܠܝܬܐ ܐܡܐ ܠܗ .

١٥٩ راجع سفر الخروج خاصة ١٣- ١٤.

ܘܐܚܝ ܠܐܕܡ ܘܠܥܠܡܐ ܀
ܛܥܢܬ ܪܒܝܬ ܐܦ ܓܦܦܬ .
ܒܩ̈ܠܐ ܢ̈ܥܝܡܐ ܥܡ ܡܘܕܝܐ .
ܠܝܠܘܕܐ ܣܓܕܬ ܟܕ ܐܡܪܐ .
ܦܣܘܩ ܠܝ ܡܪܝ ܐܓܦܦܟ ܀
ܕܒܪܝ ܐܢܬ ܐܙܡܪ ܠܟ .
ܘܐܡܟ ܗܘܝܬ ܐܢܐ ܐܝܩܪܟ .
ܒܪܝ ܕܝܠܕܬܗ ܘܩܕܝܡ ܡܢܝ .
ܡܪܝ ܕܛܥܢܬܗ ܘܛܥܝܢ ܠܝ ܀

ܥܘܝܐ ܠܗ ܪܥܝܢܝ ܡܢ ܕܚܠܬܟ .
ܟܢܘܫ ܣܘ̈ܟܠܝ ܐܫܒܚܟ .
ܬܡܗܐ ܠܝ ܟܝ ܐܝܟ ܫܬܩܬ .
ܘܪܥܡܐ ܕܩ̈ܠܐ ܗܘܐ ܟܣܝܐ ܒܟ ܀
ܐܝܟ ܝܠܘܕܐ ܕܢܚ ܡܢܝ .
ܘܐܝܟ ܓܢܒܪܐ ܐܬܥܫܢܬ .
ܘܬܡܝܗܐ ܐܢܬ ܐܝܟ ܕܐܦ ܩܪܐ .
ܗܘ ܐܫܥܝܐ ܕܐܟܪܙ ܥܠܝܟ ܀

الّذي أعطى الحياةَ لآدمَ والعالمِ.

حَملتْ ورنّمتْ واحتضنتْ أيضًا
وبألحانٍ جميلةٍ قد شَكرتْ
وسجدَتْ للطّفلِ وهي تقولُ:
"مُرْني يا سيّدي أن أعانقَكَ"

"لأنّكَ ابني أغنّي لكَ
ولأنّي صرتُ أمَّكَ أنا أمجّدُكَ[160]
يا ابنًا ولدتُه وهو أقدمُ منّي
يا سيّدي الّذي حملتُه وهو الّذي يحملُني"

"قدِ ارتاعَ فكري من مخافتِكَ
فاجمعْ أفكاري حتّى أمجّدَكَ
قد ملأني العجبُ إذ كيف صرتَ صامتًا
ورعدُ الأصواتِ مَخفيٌّ فيكَ"

"كالطِّفلِ قد أشرقتَ منّي
و كجبّارٍ اقتدَرْتَ
أنتَ عجيبٌ كما دعاكَ
أشعيا الّذي أعلنَ بكَ[161]"

---

١٦٠ في هذا المخطوط يرد حرفيًّا أنا صرت أمّك أمجّدك، إنّما في مخطوط آخر يرد: لأنّي صرت أمّك، أمجّدك، أو أمجّدك أنا التي صرت أمّك.
١٦١ راجع أش ٩، ٥.

ܗܫܐ ܟܠܟ ܓܘܝ ܐܢܬ .
ܘܒܐܒܘܟ ܟܠܟ ܟܣܝܬ .
ܟܠܗܘܢ ܪ̈ܘܡܐ ܡܠܝܢ ܡܢܟ .
ܘܐܬܪܐ ܕܬܕ̈ܝ ܠܐ ܥܩܘ ܠܟ .
ܒܝ ܘܒܫܡܝܐ ܐܝܬ ܡܫܪܝܬܟ .
ܐܟܘܬܗ ܡܪܝ ܐܫܒܚܟ .
ܒܢ̈ܝ ܪܘܡܐ ܒܝ ܬܗܪܘܢ .
ܘܟܠܗܘܢ ܛܘܒܐ ܠܝ ܢܐܡܪܘܢ ❖
ܫܡܝܐ ܛܥܢܢܝ ܘܓܦܦܢܝ .
ܕܫܒܚܬ ܡܢܗ ܐܝܬܝܪܐ .
ܗܝ ܓܝܪ ܐܡܐ ܠܐ ܗܘܬ ܠܟ .
ܐܠܐ ܒܠܚܘܕ ܠܟ ܟܘܪܣܝܐ ❖
ܟܡܐ ܡܥܠܝܐ ܘܡܫܒܚܐ .
ܐܡܗ ܕܡܠܟܐ ܡܢ ܟܘܪܣܝܗ .
ܐܘܕܐ ܠܟ ܡܪܝ ܕܨܒܝܬ ܒܝ .
ܕܐܗܘܐ ܐܡܟ ܘܐܙܡܪ ❖
ܐܘ ܓܢܒܪܐ ܕܠܐܪܥܐ ܛܥܝܢ .
ܨܒܐ ܛܥܢܬܗ ܠܟ ܫܘܒܚܐ .

"بأجمعِكَ أنتَ الآنَ في داخلي
وكلُّك في أبيكَ محتجبٌ
كلُّ السّماواتِ مملوءةٌ منكَ
وثدياي[162] لا يضيقان بكَ"

"فِيَّ وَفي السّماواتِ مسكنُك
وكما تمجّدُك السّماءُ[163] أُمجّدُك
سكّانُ العُلى بي يندهشون
وجميعُهم يتلونَ لي الطّوبى"

"السّماءُ تحملُني وتحتضنُني
إذ قد تمجّدتُ أكثرَ منها
فهي ما صارتْ أمًّا لك
إنّما فقط جعلتَها لكَ عرشًا"

"فلكم هي أغلى وأمجدُ
أمُّ الملكِ من عرشِه
أشكرُك يا سيّدي إذ ارتضيتَ بي
أن أُضحِي أمَّك وأغنّيَ لكَ"

"يا جبّارًا حاملَ الأرضِ
قد شاءَ أن أحملَه أنا، المجدُ لك

---

١٦٢ حرفيًّا ومكان أو ومساحة ثديي.
١٦٣ حرفيًّا: مثلها يا سيّد أمجّدك.

ܐܘ ܥܬܝܪܐ ܕܗܘܐ ܒܪܐ .
ܠܒܪܬ ܡܣܟܢܐ ܠܟ ܫܘܒܚܐ ܀
ܥܬܝܩ ܡܢ ܟܠ ܕܢܚܬ ܗܘܐ .
ܠܘܬܝ ܐܝܟ ܠܟ ܡܘܪܒܐ .
ܫܪܝܬ ܥܠ ܒܘܪܟܝ ܘܐܢܬ ܗܘ .
ܕܬܠܐ ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܘܟܠ ܒܪ̈ܝܬܐ ܀

ܠܚܝ ܐܢܬ ܬܕܝ ܘܡܕܒܪܐ .
ܐܪܥܐ ܘܝ̈ܡܡܐ ܘܟܠ ܕܐܝܬ ܒܗܘܢ .
ܗܐ ܡܪܟܒܬܟ ܒܪ̈ܘܡܐ ܠܥܠ .
ܘܛܥܝܢܐ ܐܢܐ ܠܟ ܕܒܝ ܫܪܝܬ ܀
ܕܝ ܓ̈ܝܪ ܐܢܬ ܗܘ ܒܠܒܘܟ .
ܟܢ̈ܫܐ ܕܥܝ̈ܪܐ ܠܟ ܣܓܕܝܢ .
ܟܕ ܒܕ̈ܪܥܝ ܡܬܚܒܩܬ .
ܗܘ ܟܪ̈ܘܒܐ ܡܟܪܟܝܢ ܠܟ ܀
ܫܡܝܐ ܡܠܝܢ ܡܢܟ ܠܥܠ .
ܘܛܥܝܢ ܠܟ ܥܘܒܐ ܠܬܚܬ .
ܒܗ ܒܢܘܪܐ ܫܪܝܬ ܒܝܢܬ .
ܥܠܝ̈ܐ ܘܬܚܬܝ̈ܐ ܠܐ ܐܘܩܕܬ ܀
ܡܩܕܫܝܢ ܠܟ ܣܪ̈ܦܐ ܒܩܘܕܫܐ .

يا غنيًّا قد صار ابنًا

لابنةِ الفقراءِ، لك التّسبيح"

"يا أقدمَ من الكلِّ قد انحدرتَ

إليّ كطفلٍ، لكَ التّعظيمُ

حللتَ على ركبتيّ أنتَ الّذي بك عُلِّقت

السّماءُ والأرضُ وكلُّ البرايا"

"ممسكٌ بثدييّ وتقودُ

الأرضَ والبحارَ وكلَّ ما فيها

ها هي مركبتُك في العلى

وأحملُك أنا إذ فيّ حَللتَ"

"تَسجدُ لك وأنتَ فيّ

جموعُ الملائكةِ كلُّها

وأنتَ مُحتَضَنٌ بين ذراعيَّ

الكروبون كلُّهم يطوفون بكَ"

"السّماواتُ العليا مملوءةٌ منك

والحضنُ في الأسفلِ يحملُك

حللتَ في النّارِ بين العُلويّين

والسّفليين ما أَحرقْتَ"

"يعظّمُك بالتّقديسِ السّرافون

ܘܐܝܟܢܐ ܡܪܝ ܐܙܡܪ .
ܒܙܘܥܐ ܟܪܘܒܐ ܡܒܪܟܝܢ ܠܟ .
ܘܒܩܠܐ ܕܝܠܝ ܡܫܬܒܚܬ ܀
ܫܡܥܝܢܝ ܗܫܐ ܘܬܐܬܐ ܠܘܬܝ .
ܚܘܐ ܐܡܢ ܩܕܡܝܬܐ .
ܢܬܪܝܡ ܪܫܗ ܗܘ ܕܐܬܪܟܢ .
ܒܥܠܬ ܦܘܪܥܢܐ ܕܦܪܕܝܣܐ ܀
ܬܓܠܐ ܐܦܝܗ ܘܬܙܡܪ .
ܕܒܗܬܬܐ ܐܦܐ ܒܟ ܫܠܡܬ .
ܬܫܡܥ ܩܠܐ ܕܡܠܐ ܫܠܡܐ .
ܕܗܐ ܒܪܬܗ ܦܪܥܬ ܚܘܒܬܗ ܀
ܗܐ ܕܩܩ ܗܘ ܚܘܝܐ ܗܘ ܕܐܛܥܝܗ .
ܒܟ ܒܪܐ ܕܡܢ ܥܘܒܝ ܕܢܚ .
ܟܪܘܒܐ ܘܪܘܡܚܐ ܒܟ ܡܬܥܒܪܝܢ .
ܘܢܗܦܘܟ ܐܕܡ ܕܐܬܛܪܕ ܗܘܐ ܀

ܚܘܐ ܘܐܕܡ ܒܟ ܢܬܨܝܪܘܢ .
ܘܦܐܪܐ ܕܚܝܐ ܡܢܝ ܢܩܛܦܘܢ .
ܒܟ ܚܠܝܘܬܐ ܢܛܥܡܘܢ .
ܚܠܦ ܗܘ ܦܐܪܐ ܕܐܡܪ ܠܗܘܢ ܀

فكيف يا سيّدي أرنّمُ لك
بخوفٍ يباركُك الكروبون
وبألحاني تتمجّدُ أنتَ"

"فَلْتسمعْني الآن وتأتِ إليّ
حوّاءُ أمُّنا القديمةُ
وَلْيرتفعْ رأسُها الّذي انخفضَ
بسببِ عُريِها في الجنّة"

"فَلْتكشفْ عن وجهِها وتغنِّ لكَ
فعارُ وجهِها بك التغى
وَلْتسمعِ الأصواتَ الملأى سلامًا
فإنّ ابنتَها وَفَتْ دَينَها"

"ها إنّ الأفعى الّتي أضلّتْها قد سُحقَتْ
بكَ يا الفَرْعُ الّذي من حضنيَ أشرقَ
الكَروبُ والرّمحُ بكَ أُبعِدا[١٦٤]
كيما يعودَ الشّريدُ آدمُ"

"حوّاءُ وآدمُ بك يتصوّران
ومنّي يقطفان ثمرةَ الحياةِ
فماهما بكَ ينالان حلاوةً
بدلَ الثّمرةِ الّتي ملأتْهما مرارةً"

١٦٤ إشارة إلى الكروب الذي وضع على باب الجنّة ليحرسها منعًا لآدم من العودة ثانية، راجع تك ٣، ٢٤.

ܥܒ̈ܕܐ ܛܪ̈ܝܕܐ ܒܟ ܥܐܠܝܢ .
ܠܕܘܟ ܛܘܒܬܐ ܕܡܢܗ ܢܦܩܘ .
ܠܒܘܫܐ ܕܫܘܒܚܐ ܢܬܝܗܒ ܠܗܘܢ .
ܕܢܟܣܘܢ ܒܗ ܥܪܛܠܝܘܬܗܘܢ ✤
ܕܢܚ ܒܫܝܘܠ ܥܠ ܡܚܝܠܘܬܗܘܢ .
ܘܐܛܪܘܕ ܡܢܗܘܢ ܚܫܘܟܗܘܢ .
ܛܠܝܐ ܣܒܐ ܕܕܢܚ ܒܝ .
ܒܟ ܟܠ ܛܠܝ̈ܢ ܢܬܒܪܟܘܢ ✤
ܐܣܝ̈ܪܐ ܕܫܝܘܠ ܒܟ ܢܫܬܪܘܢ .
ܐܦ ܚܫܘܟܐ ܒܟ ܢܗܪܘܢ .
ܡܣ̈ܟܢܐ ܡܪܝ ܒܟ ܢܥܬܪܘܢ .
ܐܦ ܣܢܝܩ̈ܐ ܒܡܨܥܝܘܬܟ ✤
ܟܠܗܘܢ ܟܦܢ̈ܐ ܒܟ ܢܣܒܥܘܢ .
ܘܡܝ̈ܬܐ ܒܩܠܟ ܢܩܘܡܘܢ .
ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܒܟ ܢܩܥܘܢ .
ܒܪܝܟ ܫܠܘܚܟ ܡܪܐ ܕܟܠ ✤

"العبيدُ المطرودون، بك يدخلون
إلى مكانِ الخيراتِ الّذي منه خرجوا
ولباسُ المجدِ يُعطى لهم
كيما يَستروا به عريَهم"

"أشرِقْ في مثوى الجحيمِ على ضَعفِهم
واطردْ منهم كلَّ ظلامِهم
أيُّها الطِّفلُ-الشّيخُ المشرقُ منّي
بكَ يتباركُ كلُّ أطفالِنا"

"بكَ يتحرّرُ أسرى مثوى الأمواتِ
وبكَ الظّلامُ يَستنيرُ
وبكَ رَبّي الفقراءُ يَغتنون
والمحتاجون بواسطتِك يكتفون"

"كلُّ الجائعين، بك يشبعون
والأمواتُ بصوتِك يقومون
السّماءُ والأرضُ بك تهتفُ
"مباركٌ مُرسِلُك يا سيِّدَ الكُلِّ".

ܣܘܓܝܬܐ ܕܥܠ ܫܡܥܘܢ ܣܒܐ ܒܗ ܒܩܠܐ .
ܥܠ ܩܠܐ ܕܐܚܪܐ ܒܡܠܬ ܗܘܐ ܒܥܘܬܐ
ܒܪܝܟ ܗܘ ܡܫܝܚܐ ܕܒܥܘܒܗ ܥܠ
ܕܪ̈ܥܘܗܝ ܛܥܢܗ ܗܘܐ ܫܡܥܘܢ ✣

ܒܬܘܠܬܐ ܕܟܝܐ ܕܕܟܝ̈ܬܐ .
ܩܪܬܢܝ ܝܘܡܢ ܠܡܬܡܠܠܘ .
ܬܘ ܥܘܠܘ ܐܬܒܣܡܘ . ܥܠܝ̈ܡܘܗܝ ܕܓܢܘܢܐ .
ܡܢ ܗܕܐ ܫܪܘܬܐ .
ܕܐܬܩܢܬ ܒܬܘܠܬܐ ܠܡܙܡܢ̈ܐ ✣
ܕܢܚ ܡܢ ܐܡܐ ܕܚܕܝܐ ܒܗ .
ܙܠܝܩܐ ܕܢܗܪ ܠܥܠܡܐ .
ܕܠܐ ܘܢܦܩ ܡܢܗ . ܘܦܪܩ ܒܪ̈ܝܬܐ ،
ܒܡܘܠܕܗ ܐܥܪܩ ܚܫܘܟܐ .
ܘܒܕܢܚܗ ܫܪܝܬ ܐܦܠܐ ✣
ܛܥܢܬ ܡܪܝܡ ܝܠܘܕܐ .
ܕܗܘ ܐܘܠܕ ܠܐܕܡ ܒܚܟܡܬܗ .
ܒܚܠܒܗ ܐܬܪܒܝ . ܒܥܘܒܗ ܐܬܚܒܒ .
ܛܥܝܢܐ ܗܘܐ ܠܗ ܒܕܪ̈ܥܝܗ .
ܘܛܥܝܢ ܗܘܐ ܒܪܡܙܗ ܠܥܠܡܐ ✣
ܒܬܘܠܬܐ ܫܒܩ ܗܘܐ ܠܓܠܝܢܗ .

النّشيد العشرون

نشيدٌ آخر في سمعان الشّيخ.

اللازمة: مباركٌ المسيحُ الّذي على ذراعَيه حَمله سمعان.

البتولُ أطهرُ الطّاهراتِ
قد دعَتني اليومَ للتكلّمِ عنها
هلمّوا ادخلوا وتلذّذوا يا فتيانَ الوليمةِ
من هذه المأدبةِ الرّوحيّةِ
الّتي حضّرتْها البتولُ للْمدعوّين

قد أشرقَ من الأمِّ الّتي سُرَّ بها
الشّعاعُ المنيرُ البرايا
تَنازَلَ، خَرجَ منها وَفدى الخليقةَ
وبميلادِه طَردَ الظّلامَ
وبظهورِه بِدَدَتِ الظّلمةُ

قد حَملتْ مريمُ ولدًا
الّذي وَلَدَ آدمَ بحكمتِه
من حليبِها نما، وفي حضنِها عانقتْه
بين ذراعَيها حَمَلَتْه
هو الحاملُ العالمَ بإشارتِه.

من البتولِ قد جعلَ ظهورَه

ܟܕ ܢܦܩ ܠܡܣܥܪ ܠܥܠܡܐ .
ܘܚܠܦ ܡܪܟܒܬܐ . ܕܓ̈ܝܓܠܐ ܡܡܠܠܬܐ .
ܨܒܐ ܘܛܥܢܬܗ ܒܬܘܠܬܐ .
ܘܡܢ ܡܨܐ ܢܣܦܩ ܠܡܫܥܝܘܬܗ ✤
ܠܗܝܟܠܐ ܡܣܩܬ ܐܣܩܬܗ .
ܕܢܬܚܙܐ ܐܦ ܒܒܝܬ ܐܒܐ ܩܘܪܒܢܐ .
ܘܢܩܪܒ ܕܒܚܐ ܘܢܫܠܡ ܢܡܘܣܐ .
ܘܕܐܬܕܡܝ ܒܝܠܕܐ .
ܠܛܠܝܐ ܕܐܬܦܓܥ ܒܗܘܢ ✤
ܥܡ ܐܒܘܗܝ ܗܘܐ ܒܛܘܪ ܣܝܢܝ .
ܟܕ ܝܗܒ ܢܡܘܣܐ ܠܥܡܐ .
ܗܘ ܕܡܩܒܠ ܗܘܐ . ܕܒܚܐ ܘܚܘܣܝܐ .
ܘܛܥܢܐ ܛܠܝܬܐ ܠܗ .
ܘܡܩܪܒܝܢ ܩܘܪܒܢܐ ܡܩܪܒܐ ✤
ܩܒܠ ܕܒܚܐ ܡܢ ܠܘܝ .
ܘܩܘܪܒܢܐ ܡܢ ܟܗܢܐ ܟܠܗܘܢ .
ܗܘ ܡܩܒܠ ܕܒܚܐ . ܘܡܩܪܒ ܨܠܘܬܐ .
ܘܬܪܝܢ ܓܘܙܠܐ ܘܣܡܝܕܐ .
ܠܕܟܝܘܬܐ ܠܡܣܩ ܠܡܕܒܚܐ ✤
ܡܢ ܢܘܚ ܩܒܠ ܩܘܪܒܢܐ .

حين خرجَ يزورُ العالمَ

وبدلَ مركبةِ العجلاتِ النّاطقةِ

قد شاءَ أنْ تحملَه البتولُ

فمن يقدرُ أن يفيَها الوصفَ.

أَصعدتْه إلى مقدسِ الهيكلِ

كيما يظهرَ في بيتِ الآبِ قربانًا

ويقرِّبَ الذّبيحةَ ويتمِّمَ النّاموسَ

هو الّذي قد صارَ شبيهًا

في كلِّ شيءٍ بالأولادِ الّذين التقى بهم.

مع أبيه كان على جبلِ سيناءَ

قد أعطى الشّعبَ الوصيّةَ

هو الّذي كان يقبلُ القرابينَ وذبائحَ المغفرةِ

تَحملُه الآنَ صبيّةٌ

وعنه تُقَدَّمُ التّقادمَ.

قد قَبِلَ من لاوي الذّبائحَ

والقرابينَ من كلِّ الكهنةِ

هو قابلُ الذّبائحِ يقدِّمُ الآنَ الصّلواتِ

وفرخَي الحمامِ والسّميذَ

تقدمةَ طُهرٍ لاعتلاءِ المذبحِ.

من نوحٍ قَبِلَ القرابينَ

ܘܒܕ̈ܒܚܐ ܠܐܒܪܗܡ ܐܬܓܠܝ
ܘܠܐܝܣܚܩ ܒܩܘܪܒܐ . ܒܣܒܠܬܐ ܠܝܥܩܘܒ .
ܒܚܘܒܗ ܚܣܐ ܠܩܕ̈ܡܝܐ .
ܘܐܚܪ̈ܢܐ ܩܘܪܒܢܗܘܢ ܡܩܒܠ ܀
ܕܒܘܟܪ̈ܐ ܕܗܒܝܠ ܗܘ ܩܒܠ .
ܘܫܛܐ ܩܘܪܒܢܗ ܕܩܐܝܢ .
ܡܠܟܝܙܕܩ ܪܒܐ . ܒܕܡܘܬܗ ܟܗܢ ܗܘܐ .
ܘܒܡܥܣܪ̈ܐ ܘܣܡܝܕܐ .
ܡܩܪܒ ܠܗ ܝܘܣܦ ܠܗܝܟܠܐ ܀

ܗܘ ܝܘܡܗ ܠܐܒܪܗܡ .
ܓܠܝܗ ܘܒܐܝܠܢܐ ܘܐܡܪܐ .
ܘܝܗܒ ܠܐܠܝܥܙܪ . ܟܗܢܘܬܐ ܘܡܕܟܝܢܘܬܐ .
ܘܗܘ ܝܘܡܢܐ ܥܡ ܛܠܝ̈ܐ .
ܡܬܩܪ̈ܒܢ ܕܒ̈ܚܐ ܕܕܟܝܘܬܐ ܀
ܫܡܥܘܢ ܣܒܐ ܣܐܒܐ .
ܚܙܐ ܬܕܡܘܪܬܐ ܘܒܚܘܒܐ ܐܬܙܝܥ .
ܛܥܢܗ ܠܛܠܝܐ . ܬܗܐ ܒܗ ܘܣܓܕ ܠܗ .
ܘܩܪܒ ܗܘܐ ܠܗ ܒܥܘܬܐ .

وفي الذّبائحِ تجلّى لابراهيمَ
ولإسحقَ في التّقدمةِ، وظَهرَ ليعقوبَ بسلّمٍ
بحبّه قد غفرَ للأوّلينَ
ومن الآخِرين يقتبلُ قربانَه.

هو الّذي قَبِلَ بواكيرَ هابيلَ
ورذلَ تقادمَ قايينَ الّذي ما حَسُنَ لديه
وملكيصادقُ العظيمُ على صورتِه قد كَهَنَ
وبالعُشورِ وتقادمِ السّميذِ قد أصعدَه اليومَ
يوسفُ إلى الهيكلِ[١٦٥].

هو الّذي أظهرَ لإبراهيمَ يومَه العظيمَ
وبالشّجرةِ وكبشِها قد ظهرَ[١٦٦]
وأعطى إليعازرَ[١٦٧] حلّةَ الكهنوتِ والنّقاوةِ
هو اليومَ مع الأولادِ تُقَدّمُ عنه
ذبائحُ طُهرٍ لدخولِ المذبحِ.

سمعانُ الشّيخُ العجوزُ
رأى عجبًا وبالحبِّ قدِ اضطربَ
حَمَلَ الطّفلَ، ذُهل به وسَجدَ لَه
وقدّمَ لَه الطّلبةَ

١٦٥ راجع لو ٢، ٢٩.
١٦٦ راجع خر ٢٢، ١٣.
١٦٧ راجع ١ أخ ١٥.

ܕܚܙܝܐ ܥܝܢܝ ܕܫܠܡܟ ܐܬܬܢܝܚ ܀

ܐܣܝܪ ܗܘܐ ܒܪܘܚܐ ܘܡܣܟܐ .
ܠܡܫܝܚܐ ܫܡܥܘܢ ܒܗܝܟܠܐ .
ܒܓܠܝܢܐ ܪܒܐ . ܠܡܪܗ ܚܙܐ ܗܘܐ .
ܘܟܕ ܐܬܓܠܝ ܛܠܝܐ .
ܙܥ ܣܒܐ ܘܣܓܕ ܠܗ ܒܪܚܡܬܐ ܀
ܒܚܘܛܐ ܕܚܝܐ ܐܣܝܪܗ ܗܘܐ .
ܗܘ ܛܠܝܐ ܕܡܢ ܒܬܘܠܬܐ .
ܡܢ ܙܒܢܐ ܕܩܕܡܝܐ ܝܗܒ ܠܗ ܫܘܘܕܝܐ .
ܕܐܠܐ ܚܙܝܬܝܢܝ ܛܠܝܐ .
ܠܐ ܡܫܬܢܐ ܡܢ ܥܠܡܐ ܠܥܠܡܐ ܀
ܥܒܪܘ ܗܘܘ ܕܪܐ ܘܫܢܝܐ .
ܘܫܘܘܕܝܐ ܩܐܡ ܒܡܠܬܐ .
ܘܐܣܝܪ ܣܒܐ . ܘܩܐܡ ܘܡܣܟܐ .
ܘܡܛܐ ܝܘܡܗ ܕܓܠܝܢܐ .
ܘܪܓܝܓ ܠܗ ܘܐܣܟܝܗ ܕܢܫܪܐ ܀
ܗܐ ܚܙܝ ܥܝܢܝ ܠܚܢܢܟ .
ܐܝܟ ܡܠܬܟ ܕܒܣܪܬ ܫܪܝܢܝ ܡܪܝ .

أنِ "الآنَ إذ رأيتُك يا ربّي أستريح"[١٦٨].

سمعانُ أسيرُ الرّوحِ كان ينتظر

المسيحَ في الهيكلِ

وَبِوَحيٍ عظيمٍ كان ينظرُ سيّدَه

وحين ظهرَ الطّفلُ

اضطَربَ الشّيخُ وَضرعَ إليه بمحبّة.

بخيطِ الحياةِ قد أسرَه

الطّفلُ المولودُ من بتولٍ

وأعطاهُ من قديمِ الأزمانِ وعدًا

أنْ ما لم تَرَني طفلاً

لنْ ترحلَ من العالمِ.

وَمَرّتِ الدّهورُ والسّنونُ

والوعدُ قائمٌ بالكلمةِ

والشّيخُ مأسورٌ، واقفٌ منتظرٌ

وحانَ يومُ التجلّي

اشتاقَ إليه رجاهُ أنْ يُحرّرَه..

ها قد رأتْ عينايَ حنانَكَ

وبحسب وعدِك اترُكْني يا سيّدي؛

---

١٦٨ راجع لو ٢، ٢٩- ٣٢.

ܐܣܪܬܢܝ ܘܐܪܦܝܬܢܝ . ܘܒܪܟܬ ܠܝ ܒܢܘܓܪܐ .
ܫܪܝܢܝ ܡܢ ܚܝܐ ܕܐܬܚܙܝܬ ،
ܕܒܠܠ ܗܕܐ ܐܣܝܪ ܗܘܝܬ ܕܐܩܒܠܟ ܀

أَسَرتَني وَحَلَلتَني وَباركتَني بطولِ العمرِ
من الحياةِ أطلِقْ روحي فَقَد أبصرتُك
فلهذا كنتُ مأسورًا: لأَقبَلَك.

ܫܪܝܢܝ ܡܪܝ ܕܐܢܘܚ ܠܘܬ ܥܦܪܐ .
ܘܐܣܒܪ ܠܡܝܬܐ ܟܠܗܘܢ .
ܕܗܐ ܫܪܐ ܐܣܝܪܐ . ܡܪܝܐ ܫܕܪ ܠܗ .
ܣܒܪܬܐ ܠܟܠܗܘܢ ܡܝܬܐ .
ܘܡܪܝܐ ܠܗ ܡܚܝܢܐ ܕܟܠܗܘܢ ܀

أطلِقْني كيما أرتاحَ في الثّرى
وأبشّرَ كلَّ المقبورين
أنْ ها قد حَلَّ الأسرى
وأرسلَ الربُّ إليكم البشرى يا مائتين
إذْ قد جاءَ مُحيِيكم.

ܫܪܝܢܝ ܕܐܣܪܬܢܝ ܒܪ ܚܝܐ .
ܘܚܙܝܬܟ ܐܝܟ ܕܒܥܠܡܐ .
ܚܘܝܬ ܠܝ ܓܠܝܢܟ . ܘܪܒ ܒܚܙܬܟ .
ܐܙܠ ܐܬܬܢܝܚ ܒܝܬ ܡܝܬܐ .
ܘܡܣܒܪܐ ܐܢܐ ܠܟܠܗܘܢ ܀

حَرِّرْني بعدَ أنْ أسرتَني يا ابنَ الحياةِ
كيما أراكَ في العالمِ
أَرَيتَني تجلّيك، وعَظُمتُ برؤيتِك
(فاطلِقْني) لأذهبَ وأستريحَ بين الأمواتِ
لأُعلنَ البُشرى لهم.

ܬܗܪܐ ܪܒܐ ܠܦܪܘܫܐ .
ܘܒܗܬܬܐ ܠܚܢܦܐ ܘܝܗܘܕܝܐ .
ܕܣܒܐ ܠܛܠܝܐ . ܠܥܘܠܐ ܘܝܠܘܕܐ
ܡܦܝܣ ܗܘܐ ܕܢܫܪܝܘܗܝ ܡܢ ܚܝܐ .
ܕܗܘ ܐܣܪܗ . ܘܢܫܪܝܘܗܝ ܦܫܝܩ ܠܗ ܀

هو عجبٌ عظيمٌ للعقلاءِ
وخزيٌ للكفرةِ واليهودِ
فالشّيخُ العجوزُ يرجو طفلاً صغيرًا
كيما يطلقَه من الحياةِ
فهو إذ أَسرَه سَهُلَ عليه أن يحلَّه.

ܫܩܠ ܠܗ ܫܡܥܘܢ ܥܠ ܐܕܪܥܘܗܝ .

سمعانُ يَحملُ على يدَيه

ܘܣܪ̈ܦܐ ܘܥܝܪ̈ܐ ܒܨܒܬܐ .
ܠܥܕܬܐ ܫܘܒܚܐ . ܘܠܟܢܘܫܬܐ ܥܠܬܐ .
ܡܒܣܝܐ ܡܒܙܚ ܢܘܗܪܐ .
ܘܒܪܬ ܢܘܗܪܐ ܒܡܘܟܟܗ ܚܕܝܐ ܀

مَن بملاقطِ الجمرِ يمسكُه السّرافون والملائكةُ[169]

مجدٌ للكنيسةِ وعثرةٌ لمجمعِ اليهودِ

الّذي يَحتقرُ المنيرَ ويَهزأ به

وابنةُ النّورِ مسرورةٌ بتنازلِه.

ܬܘ ܠܟ ܪܚܡܗ ܕܝܗܘܕܐ .
ܘܠܐ ܡܘܕܐ ܕܐܠܗܐ ܐܬܝܠܕ .
ܠܡܢ ܐܦܣܘ ܫܡܥܘܢ . ܕܢܫܪܝܘܗܝ ܡܢ ܚܝ̈ܐ .
ܐܠܐ ܠܡܪܐ ܪ̈ܘܚܬܐ .
ܕܐܠܗܐ ܗܘ ܘܐܬܚܙܝ ܐܝܟ ܐܢܫܐ ܀

هلمَّ يا صَديقَ يهوذا

مَن لا يعترفُ أنّ اللهَ قد وُلدَ

ممَّن طلبَ سمعانُ إطلاقَه من الحياة

إلاّ إلى سيِّد الأرواحِ

الّذي هو اللهُ الّذي ظهرَ إنسانًا[170].

ܡܢܘ ܗܢܐ ܛܠܝܐ .
ܕܛܥܝܢ ܠܗ ܣܒܐ ܒܕܪ̈ܥܘܗܝ ܒܟܗܢܐ .
ܘܡܩܪܒ ܒܥܘܬܐ . ܩܕܡܘܗܝ ܒܟܫܦܐ .
ܘܡܘܕܐ ܒܚܘܒܐ ܕܗܘ ܐܣܪܗ .
ܘܒܚܘܒܐ ܕܢܫܪܝܘܗܝ ܡܬܟܫܦ ܗܘܐ ܀

من هو الطِّفلُ هذا

الّذي يحملُه بين ذراعَيه الكاهنُ

يرفعُ لَه الطِّلبةَ متضرِّعًا أمامَه

معترفًا بحُبٍّ آسرِه

وبمحبّةٍ يرجوه أنْ يطلقَه.

ܡܢܘ ܗܢܐ ܒܪ ܕܪ̈ܐ .
ܕܡܬܟܫܦ ܗܘܐ ܠܒܪ ܝܘܡܐ ܕܢܫܪܐ .
ܐܠܘܠܐ ܕܙܥܘܪ . ܣܒܐ ܡܢ ܛܠܝܐ .
ܠܗ ܒܥܘܬܐ ܡܩܪܒ ܗܘܐ .

من هو هذا ذو الأجيالِ

يطلبُ من ابنِ يومٍ أن يطلقَه

فلو لم يكنِ الشّيخُ أصغرَ من الطِّفلِ

لما قرّبَ له طلبةَ

---

١٦٩ راجع أش ٦، ٦.

١٧٠ حرفيًّا "كإنسان" وفي اللغة السريانيّة "ك" التشبيهيّة لا تعني، كما قد تعني أحيانًا في العربيّة، كأنّه إنسان، أو بشكل إنسان. هنا "ظهر كإنسان" تعني تجسّد فعليًّا، آثرتُ ترجمتها: ظهر إنسانًا تلافيًا للّغط اللغويّ.

ܕܡܢ ܚܘܡܪܐ ܕܣܝܒܘܬܐ ܢܫܪܐ ✣
ܠܗܘ ܕܥܛܝܦ ܗܘܐ ܒܥܙܘܪܐ .
ܐܬܟܫܦ ܗܘ ܣܒܐ ܡܒܪܟܐ .
ܕܝܠܦܗ ܗܘܐ ܕܡܢܘ . ܘܚܘܝܗ ܕܗܘ ܐܣܝܪܗ
ܘܐܦ ܡܟܫܦ ܗܘܐ ܠܗ ܕܗܘܝܘ ܗܘ .
ܕܫܡܫܐ ܘܐܕܡ ܩܕܝܡ ܗܘܐ ✣

ܠܘܠܐ ܓܝܪ ܝܕܥܗ ܗܘܐ .
ܕܗܘ ܫܠܝܛ ܥܠ ܕܪ̈ܐ ܟܠܗܘܢ .
ܘܠܗ ܗܘ ܦܫܝܩ ܠܡܐܣܪ .
ܘܗܘ ܫܪܐ ܠܥܠܡܐ . ܠܗ ܒܥܘܬܐ ܡܩܪܒ ܗܘܐ .
ܕܡܢ ܚܘܡܪܐ ܢܫܪܝܘܗܝ ܘܢܬܬܢܝܚ ✣

ܝܕܥ ܗܘܐ ܠܗ ܠܛܠܝܐ .
ܒܚܙܘܐ ܕܪܘܚܐ ܒܫܠܝܐ .
ܘܚܙܝܗܝ ܠܐ ܐܬܟܠܝ . ܕܢܩܪܒ ܒܥܘܬܐ .
ܘܐܪܝܡ ܩܠܗ ܕܡܘܕܐ ܗܘܐ .
ܕܠܐܠܗܐ ܗܘ ܕܐܝܟ ܐܢܫ ܐܬܚܙܝ ✣
ܢܐܬܐ ܢܫܡܥ ܡܨܥܝܐ .

إطلاقِه من عبءِ الشّيخوخةِ.

للطّفلِ الملفوفِ بأقمطةٍ
تضرّعَ ذاك الشّيخُ المباركُ
إذ أعلمَه من هو وأخبرَه أنّه آسرُه
فتضرّعَ لذاك الّذي
هو أقدمُ من الشّمسِ ومن آدمَ.

لو لم يكنْ قد عرفَه
متسلِّطًا على الأدهارِ
وَسَهلٌ عليه أنْ يأسرَ
وهو الّذي يَحلُّ العالمَ
لما قرّبَ أمامَه الطِّلبةَ
كي يطلقَه من عبءِ الشّيخوخةِ فيستريحَ.

قد عَرفَ (سمعانُ) الطّفلَ
برؤيا من الرّوحِ في صمتِه
رآه وما تردّدَ عن تقديمِ طلبةٍ
رافعًا صوتَه معترفًا
باللهِ الّذي ظَهرَ إنسانًا.

فَلْيأتِ ويَسمعِ الوسيطُ[١٧١] (بين الآبِ والعالمِ)

١٧١ راجع غلا ١٩،٣–٢٠ ؛ ١طيم ٥،٢؛ عب ٥،٨؛ ٦،٩؛ ٢٤،١٢.

ܒܥܘܬܗ ܕܗܘ ܣܒܐ ܡܝܩܪܐ .
ܟܕ ܡܪܟܢ ܪܫܗ . ܘܣܓܕ ܒܒܥܘܬܐ .
ܠܥܘܠܐ ܕܣܝܡ ܗܘܐ . ܥܠ ܐܝܕܘܗܝ .
ܕܢܣܥܘܪܝܘܗܝ ܢܛܠ ܠܗ ܒܪܚܡܬܐ ܀
ܫܒܘܩ ܕܚܙܝܬ ܚܢܢܟ .
ܡܬܟܫܦ ܫܡܥܘܢ ܒܥܐ ܗܘܐ .
ܘܗܘܐ ܒܬܘܕܝܬܗ . ܣܗܕܐ ܠܝܠܘܕܐ .
ܕܚܢܢܐ ܘܒܘܪܟܬܐ ܕܝܠܗ ܗܘܐ .
ܘܒܚܢܢܗ ܡܚܣܐ ܠܟܠ ܒܣܪ ܀

ܡܪܟܢ ܣܒܐ ܩܕܡ ܛܠܝܐ .
ܘܫܢܝ ܥܘܡܪܗ ܣܗܕܘ .
ܠܛܠܝܐ ܕܒܫܪܪܐ . ܥܬܝܩ ܝܘܡܬܐ ܗܘ .
ܘܥܠܘܗܝ ܕܘܝܕ ܣܗܕ ܗܘܐ .
ܕܐܢܬ ܛܠܝܐ ܐܝܬܝܟ ܗܘܝܬ ܡܢ ܩܕܝܡ ܀
ܐܦ ܗܘ ܣܒܐ ܚܟܝܡܐ .
ܕܥܠ ܐܝܕܘܗܝ ܛܥܢܗ ܒܗܝܟܠܐ .
ܚܪ ܗܘܐ ܒܗ ܒܛܠܝܐ .
ܘܝܕܥܗ ܕܥܬܝܩ ܗܘ .
ܘܐܦ ܕܥܬܝܩ ܝܘܡܬܐ .
ܡܬܟܫܦ ܗܘܐ ܠܗ ܕܢܫܪܝܘܗܝ ܒܪܚܡܬܐ ܀

طِلبةَ ذاك الشّيخِ الجليلِ
وهو يَحني رأسَه ويسجدُ طالبًا
من الطّفلِ الموضوعِ بين يديه
أن يلبّيَ حاجتَه راحمًا.

"أطلِقني إذ أبصرْتُ حنانَك"
قد تضرّعَ سمعانُ طالبًا
وباعترافِه صارَ شاهدًا لِلمولودِ:
إنّ الرّحمةَ والبركةَ تخصّانِه
وَبِحنانِه يَغفرُ لكلٍّ بشرٍ.

أَحنى الشّيخُ أمامَ الطّفلِ
وسنون عمرِه أدّتْ شهادةً
للصبيِّ الّذي بحقٍّ هو قديمُ الأيّامِ[١٧٢]
وعليه قد شَهدَ داودُ
أَنْ أنتَ يا صبيُّ منذ البدءِ كائنٌ[١٧٣].

و هذا الشّيخُ الحكيمُ
الّذي حملَه في الهيكلِ على ذراعَيه
قد نظرَ إلى الصبيِّ
وَعرفَه أنّه القديمُ
فتضرّعَ لعتيقِ الأيّامِ أن يطلقَه برحمتِه.

---

١٧٢ راجع دان ٧، ٩.
١٧٣ راجع مز ١١٠، ٣.

ܛܠܝܐ ܩܪܘܗܝ ܗܘܐ ܒܪ ܐܝܫܝ .
ܕܐܬܒܝܢ ܒܗ ܕܐܝܟ ܛܠܝܐ ܡܬܚܙܐ .
ܒܝܠܕܗ ܩܕܡܝܐ . ܠܐ ܛܠܐ ܡܢ ܐܒܘܗܝ .
ܘܟܕ ܐܬܐ ܠܝܠܕܐ ܬܢܝܢܐ .
ܩܪܘܗܝ ܛܠܝܐ ܕܝܠܝܕ ܗܘܐ ܡܢ ܡܪܝܡ ܀

ܫܡܥܬܗ ܡܪܝܡ ܠܒܥܘܬܗ .
ܕܗܘ ܣܒܐ ܕܪܘܚܐ ܡܙܝܥܐ ܠܗ .
ܘܚܕܝܬ ܫܘܝܬ ܠܗ . ܘܩܪܒܬ ܘܐܡܪܬ ܠܗ .
ܡܠܠ ܣܒܐ ܒܪܡܐ .
ܕܐܝܟ ܕܒܫܐ ܚܠܐ ܠܛܥܡܐ ܕܡܠܬܟ ܀
ܐܪܝܡ ܩܠܟ ܒܣܝܒܐ .
ܕܢܫܡܥܢ ܐܡܘܬܐ ܒܪܝܬܐ .
ܘܢܗܘܘܢ ܠܒܬܘܠܘܬܝ . ܣܗܕܐ ܒܒܥܘܬܟ .
ܕܕܠܐ ܙܪܥܐ ܘܙܘܘܓܐ .
ܕܢܚ ܛܒܐ ܕܦܪܘܩ ܠܒܪܝܬܐ ܀
ܐܪܝܡ ܩܠܟ ܒܫܦܝܪܐ .
ܘܩܫ ܩܢ̈ܝ ܟܢܪܟ ܕܢܙܡܪ .
ܘܐܬܥܫܢ ܣܒܐ ܒܝܐ ܠܟܡܝܪܘܬܝ .
ܕܒܢܝ ܥܡܐ ܡܨܚܝܢ ܠܝ .

ابنُ يَسَّى قد دعاهُ طفلاً
إذ عَرفَ أنَّه كالطِّفلِ يَظهرُ.
في ولادتِه الأولى ما كان من أبيه أصغرَ
وحين جاءَ للميلادِ الثّاني
دُعيَ طفلاً إذ من مريمَ قد وُلد.

قد سَمعتْ مريمُ طلبةَ
الشّيخِ الّذي حرّكَه الرّوحُ
سُرّتْ وتاقتْ إليه وَاقتربتْ وقالتْ له:
"تكلّم أيُّها الشّيخُ العجوزُ
إذ أَحلى من العسلِ مذاقُ كلمتِكَ[١٧٤]"

"ارفعْ صوتَك أيُّها العجوزُ
كيما البرايا و الأممُ تَسمَعْنَ
وتكونَنَّ لبتوليّتي بطلبتك شاهداتٍ
إذ من دونِ زرعٍ أو زواجٍ
قد أشرقَ الصّالحُ يَفدي البرايا"

"ارفعْ صوتَك الجميلَ
وانقرْ أوتارَ قيثارتك كيما تغنّيَ
وبغنائك الجميلِ عَزَّ اكتئابي
فبنو الشّعبِ يشتمونني

١٧٤ راجع مز ١٩، ١١؛ ١١٩، ١٠٣.

ܒܙܡܪܝ ܐܟܡܘ ܠܣܢ̈ܐܝ ܀
ܫܦܝܪ ܩܠܗ ܕܒܥܘܬܟܝ .
ܡܠܠ ܒܗ ܕܒܪܝܬܐ ܢܫܡܥܢ .
ܘܬܗܘܐ ܠܒܬܘܠܘܬܝ . ܣܗܕܐ ܫܪܝܪܐ .
ܕܒܒܬܘܠܘܬܐ ܐܬܝܠܕ .
ܗܘ ܕܢܚܬ ܕܢܦܪܘܩ ܠܒܪܝܬܐ ܀
ܡܐ ܫܦܝܪ ܗܘܐ ܡܡܠܠܐ .
ܕܛܠܝܬܐ ܘܕܣܒܐ ܡܝܩܪܐ .
ܘܣܗ̈ܕܐ ܠܬܕܡܪ̈ܬܐ . ܒܡܠ̈ܝܗܘܢ ܗܘܘ .
ܕܝܕܥܘ ܡܢܘ ܘܒܪ ܡܢܘ .
ܘܗܐ ܡܟܪܙܝܢ ܫܪܒܗ ܒܪܚܡܬܐ ܀
ܚܩܠܐ ܒܪܝܟܬܐ ܝܗܒܬ ܗܘܬ .
ܗܢܐ ܟܠܗ ܕܚܕܘܬܐ ܥܠܠܬܗ .
ܘܕܠܐ ܐܟܪܐ ܝܗܒܬ ܘܥܠܠ̈ܬܐ .
ܘܫܩܠ ܫܡܥܘܢ ܒܐܝ̈ܕܘܗܝ .
ܒܘܪܟ̈ܬܐ ܘܐܣܦܩ ܠܥܠܡܐ ܀
ܬܪ̈ܝܗܘܢ ܓܒ̈ܝܢ ܫܒܗܪܝܢ ܒܗ .

بغنائك أخزِ أعدائي"

"جميلٌ هو لحنُ طلبتِك

فتكلّمْ به كيما تسمعَ البرايا

وتُضحي لبتوليّتي شاهدًا صادقًا

إذ بالبتوليّةِ قد وُلد

الّذي نَزلَ ليفديَ البرايا"

ما أجملَ حوارَ

الصّبيّةِ والشّيخِ الوقورِ

إذ بكلماتهما قد صارا

شهودَ الأحداثِ العجيبةِ

وعرفاه من هو وابنُ من هو

وها هما بالرّحمةِ يعلنان قصّتَه.

الحقلُ المباركُ قد أَعطى

كلَّ غلالِ الأفراحِ هذه

ودونما زارعٍ (أنبتَ) الغلالَ والحزمَ[١٧٥]

فحملَ سمعانُ بيدَيه

البركاتِ وأَمَدَّ بها العالمَ.

كلا الجانبين يفتخران

---

١٧٥ فكرة وردت في النشيد ٢ المقطع ٤.

ܒܗܘ ܦܐܪܐ ܕܝܠܕܬ ܒܬܘܠܬܐ .
ܛܠܝܬܐ ܕܝܠܕܬܗ . ܘܣܒܐ ܕܚܫܩ ܠܗ .
ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܚܕܝܘ ܒܗ .
ܒܡܨܥܝܐ ܕܢܝܚ ܠܥܠܡܐ ❖

ܗܝܟܠܐ ܕܩܘܕܫܐ ܘܩܕܫ ܩܘܕܫܝܢ .
ܚܕܝܘ ܬܪܘܝܗܘܢ ܒܪܫ ܟܘܡܪܐ .
ܕܐܬܐ ܒܩܘܪܒܢܐ . ܘܩܒܠ ܒܥܘܬܐ .
ܛܥܝܢ ܗܘܐ ܕܒ̈ܚܐ ܥܡ ܝܘܣܦ .
ܘܡܕܟܐ ܒܙܘܦܗ ܠܥܠܡܐ ❖

ܥܢܩܘܕܐ ܕܚܝ̈ܐ ܛܥܢ ܫܡܥܘܢ .
ܒܝܬ ܐܝ̈ܕܘܗܝ ܡܢ ܓܦܬܐ ܒܬܘܠܬܐ .
ܘܠܒܝܬ ܚܘܣܝܐ . ܐܥܠܗ ܒܒܘܪܟܬܐ .
ܘܚܕܝ ܟܠܗ ܒܝܬ ܩܘܕܫܐ .
ܒܗܘ ܒܪܐ ܕܡܢ ܐܒܐ ܐܫܬܠܚ ❖

ܒܬܘܠܬܐ ܚܕܝܬ ܕܝܠܕܬܗ .
ܐܦ ܣܒܐ ܕܒܕܢܚܗ ܐܫܬܪܝ .
ܚܫܩ ܠܗ ܐܘܪܝܐ . ܕܣܥܪܗ ܒܩܘܪܒܢܐ .
ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܘܟܠ ܕܒܗܘܢ .
ܫܒܚܘ ܠܗ ܕܒܝܠܕܗ ܐܬܦܨܚܘ ❖

بالثّمرةِ الّتي ولدتْها البتولُ
الصّبيّةُ الّتي ولدتْه، والشّيخُ الّذي تاقَ إليه
السّماءُ والأرضُ سُرّتا
بالوسيطِ الّذي جعلَ الأمانَ في العالم.

هيكلُ المَقدسِ وقدسُ الأقداسِ
قد فرحا بسيّد الكهنةِ
الّذي جاءَ بالقرابين وقبلَ الطّلباتِ
حاملِ الذّبائحِ مع يوسفَ[١٧٦]
ويطهّرُ بزوفاه العالمَ.

عنقودُ الحياةِ قد حَملَه سمعانُ
بين يديه من الكرمةِ البتولِ
وإلى بيتِ الغفرانِ أدخلَه مباركًا
ففرحَ كلُّ بيتِ المَقدسِ
بالابنِ المُرسَلِ من الآب.

البتولُ قد سُرّت إذ وَلدتْه
مع الشّيخِ الّذي بظهورِه قد أُطلقَ
تاقَ إليه المذبحُ الّذي زارَه بالقرابين
والسّماءُ والأرضُ وكلُّ ما فيهما
سبّحوا ذاك الّذي بميلادِه ابتهَجوا.

١٧٦ راجع لو ٢، ٢٤.

ܐܒܐ ܟܬܒ ܗܘܐ ܐܓܪܬܐ .
ܒܝܕ ܥܝܪܐ ܘܫܕܪܗ ܠܢܨܪܬ .
ܠܘܬ ܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ . ܕܓܒܗ ܘܪܙܐ ܒܗ .
ܕܬܗܘܐ ܐܡܐ ܠܝܚܝܕܗ .
ܟܕ ܢܚܬ ܕܢܦܪܘܩ ܠܥܠܡܐ ܀

الآبُ قد كَتبَ رسالةً

بواسطةِ ملاكٍ وَأرسلَها للنّاصرةِ

إلى البتولِ مريمَ الّتي اختارَها وَسُرَّ بها

لتكونَ أمًّا لوحيدِه

حين يَنزلُ ليفديَ العالمَ[١٧٧] .

١٧٧ هذا المقطع الأخير يورده فقط المخطوط رقم ١٤٩ المحفوظ في باريس.

المحتوى



ISBN 9953-418-97-7

